العلامة العمراني

جهوده وحياته وقصص جديدة

(1340-1442هـ)

محمد مصطفى العمراني
العلامة العمراني
جهوده وحياته وقصص جديدة (1340-1442هـ)

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر
القاهرة – ش الشيخ معروف متفرع من شارع
شمبليون – عمارة ج - وسط البلد
تليفون: 20225743534+
البريد الإلكتروني : arweqhhhh@gmail.com

رقم الإيداع: /2022

الترقيم الدولي: ISBN:

الطبعة الأولى
2022



محمد مصطفى العمراني

العلامة العمراني

جهوده وحياته وقصص جديدة

(1340-1442هـ)

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر



مقدمة المؤلف

من يتأمَّل المنهج العلمي والمعرفي الذي اتبعه القاضي محمَّد بن اسماعيل العمراني-رحمة الله تغشاه-يجد أنَّ واقعَ اليمن اليوم يعاني من تمزُّقٍ في النَّسيج الاجتماعي؛ بسببِ الحرب، والانقسامِ السِّياسي، وتكريس الطَّائفية في النشءِ الجديد، والتَّعصب المذهبي والفكري والمناطقي؛ وبدوافع سياسيّة جعلتنا بأشد الحاجة إلى منهجِ القاضي العمراني؛ كونه يعالجُ هذه التَّمزقات الخطيرة في العقليةِ اليمنيَّة ويجنِّبُ البلد تداعياتها الكارثيَّة في الحاضرِ والمستقبل.

لقد عاشَ القاضي العمراني تجربة مريرة في بيئةٍ شديدة التَّعصُّب المذهبي والتَّحجُّر الفكري، وفي ظل حكم ملكي كرَّس ذلك الواقع المرير، ومع ذلك فقد تجاوز كل هذه التَّحديات، والعوائق وسعى للتَّعليمِ في المدرسةِ والمسجد، ومن خلال قراءاته المكثَّفة لكتبِ شيخ الإسلام الشَّوكاني وعلماء اليمن المجتهدين-من أمثال الجلال والمقبلي وابن الوزير وابن الأمير وغيرهم-استطاعَ أن يتحرَّرَ من ربقةِ التَّعصُّب والتَّقليد، وأن يتَّبع الدَّليل، وأن يسير على نهْجِ الشَّوكاني وابن الأمير والجلال والمقبلي ونشوان الحميري وغيرهم؛ حتى صارَ من أبرزِ علماءِ السُّنَّة في اليمن.

في بدايةِ طلبه للعلم كانَ يأخذُ الثَّمرة من الشَّجرة ويتجنبُ شوكها، أخذ العلم من مشايخ الهادوية وبعضهم كان شديد التَّعصُّب للمذهب، كان يتغاضى عن تجاوزاتهم، وإذا اضطرَّ للرَّدِّ عليهم يردُّ بأدب، ويناقشهم بالحجَّة دونَ أن يصلَ إلى الخصامِ معهم، أو يتطاول عليهم. وخلال فترة الأئمة واجه المتعصبين من المسؤولين والعامة الذين سعوا في أذيته والنَّيل منه، واجههم بحكمة، وسعى لتفويت الفرصة عليهم؛ فزارَ الإمام أحمد في تعز ليعرفه بمذهبه فأُعجِبَ به الإمام وبذكائه وعلمه وسرعة بديهته، لكنه لم يتمكَّن من استيعابه ضمنَ حاشيته فالقاضي العمراني صاحب مشروعٍ تنويري كبير وليس طالب وظيفة.

وبالرَّغم من أنَّ القاضي العمراني هو أول عالمٍ يعملُ على إحياء كتبِ ومخطوطاتِ شيخ الإسلام الشَّوكاني ويدرِّس كتبه في مساجدِ صنعاء، كما قام بتدريس كتب أعلام اليمن من المجتهدين الذين نبذوا التقليد والتعصب واتبعوا الدليل ورفعوا راية السُّنَّة في اليمن، وكل هذا كان في زمن الأئمة وفي زمن كان التعصب يبلغ ذروته من العوام ومن الأعيان ومن المسؤولين وبعض الأئمة؛ ومع هذا فقد استطاعَ تجاوز الكثير من الفِخاخ التي نُصِبَت له، والتَّعامل بحكمةٍ مع المتعصبين وخصوصًا من العوام، حتى بلغَ به الحال أحيانًا أن يُرسِلَ من يشتري حاجياته من السُّوق حتى لا يواجه المتعصبين الذين كالوا له تهم تخريب المذهب ومعاداة أهل البيت وغيرها من الاتهامات.

ورغم اجتهاد القاضي العمراني ورفضه للتَّقليد، ودعوته لاتباع الدليل؛ فإنه لم ينعزِل بينَ الكتبِ وفي حلقات الدَّرس في المساجد والجامعات والمعاهد، بل عاش في ذلك الواقع الصَّعب وعمِل على تغييره، كما عمِل في مقامِ نائبِ الإمام وليِّ العهد محمَّد البدر، فكان يعمل مع الأئمة دونَ أَن يقرهم على باطل أو ظلم أو يتزلَّف إليهم وينافقهم كما كان يفعل الكثير من النَّاس.

وبعد قيامِ الجمهورية عمِلَ القاضي العمراني في ديوانِ المظالم، ومجلس الشُّورى، ولم يكن يصمتُ عن باطلٍ، أو يسكتُ عن ظالم، بل كان ينصحُ ويوجِّه ويعترض في مجلسِ الشورى، ويتَّصِل بالرئيس والمسؤولين؛ لإعاقة أيّ قرار يخالفُ شرعَ الله.

وبالرَّغمِ من عمله الرَّسمي منذ عهد الأئمة، وبعد قيامِ الجمهورية، وبعد الحرب ودخول الحوثيين صنعاء؛ فقد ظلَّ يدرِّسُ ويفتي ويعيشُ مع النَّاس، يردُّ على استفساراتهم، وفتاواهم، ويوجه وينصح ويقدم كل ما يستطيع دون انتظارِ شيءٍ من أحد.

هذا العالم المجتهد: نَبذَ التَّعصُّب، واستطاعَ أن يصبحَ المرجعَ الأول لأبناءِ اليمن من مختلفِ المذاهب والتَّوجهات، فلم يجمعِ النَّاس في اليمن على عالمٍ منذ وفاةِ شيخ الإسلام الشَّوكاني كما أجمعوا على القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-كانت فتاواه على جميعِ المذاهب، فلم يتعصَّب يومًا لمذهب، وإنما ظلَّ يدعو إلى جمعِ الكلمة، ووحدة الصَّف، ويدعو للسَّلام ووقف الحرب، ونبذ الحزبية، والتَّعصب، والحرص على وحدة الأمة، وتضييق مواطن

الخلاف؛ ولذا كانت وصيته الأخيرة: "لا تتحزَّبوا. لا لحزبٍ ديني، ولا لحزبٍ سياسي". هذه هي وصية العالم المدرك لأمراضِ مجتمعه، الحريص على معالجتها بفهمٍ وفقه يجمعُ ولا يُفرِّق؛ منهج القاضي العمراني الذي يقيمُ الجسور مع الجميع ويترفَّع عن التَّعصب المذهبي والمناطقي والسِّياسي هو المنهج الذي سيمثِّل طوق نجاة لليمنيين، وذلك بإرساءِ قواعد التَّعايش المذهبي، والمناطقي، والسلم الاجتماعي، وإعادة تنقية التَّعليم والإعلام من بذور التَّعصب بشتى أنواعه؛ ليحافظ على هذا الجيل من أي عملية تفخيخ تستهدف عقلة وذهنه وتهدِّدُ حاضره ومستقبله.

كون القاضي العمراني-رحمةُ الله تغشاه-يمثلُ امتدادًا لمدرسةِ العلامة الشوكاني، وعلماء اليمن من المجتهدين ممن ذكرناهم سابقًا؛ فإنه بهذا الفقه والاجتهاد والفتاوى الوسطية والانفتاح على مختلفِ المذاهب يمثِّلُ ضرورة وطنية؛ فهذه المدرسة التي انحازت للدليل وتجاوزت التَّعصبات، والتَّقاليد، لابدَّ أن تستمر كونها ترسي دعائم السِّلم والتَّعايش بينَ أبناءِ اليمن.

ولعلَّ الجيل اليمني الصَّاعد لا يدركُ حجم المشاكلِ والتَّحديات التي عانتها الأجيال اليمنيَّة السَّابقة وخصوصًا في السَّبعينات والثَّمانينات لدرجة أنه كانت تحدث حوادث قتل واشتباكات مسلحة إذا أذَّنَ المؤذن ولم يقل: "حيَّ على خيرِ العمْل". ولذا فالضَّمانة بعدم العودة إلى تلك الإشكاليات الكبيرة الناتجة عن خلافاتٍ فقهية في الفروع، وتجنب الاشتباك المذهبي والمناطقي والفكري؛ هو بالحفاظ على مدرسة العلامة العمراني

كامتدادٍ لمدرسة العلامة الشَّوكاني وأئمة الاجتهاد في اليمن؛ فهي المدرسة التي جسَّدت الانفتاح الفكري، وتجاوزت التَّعصب والتقليد، واتبعت الدَّليل، ومدَّت جسور التَّواصل مع الجميع، وأرست دعائم التَّعايش والسَّلام والتآخي، والاحتكام إلى كتابِ الله وسنته كمرجعيةٍ لكلِّ اليمنيين.

محمد مصطفى العمراني

القاضي العمراني رجلٌ بأمة

أ. د. عبد السلام المجيدي[1]

برحيل شيخنا العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني. رحمة الله تغشاه. رحل العلم والتأصيل والتعليل والتدليل، ومات التحقيق والتدقيق: حوت سيرته الدرر والجواهر، وازدانت بذكره المآثر، وارتفعت بذكر اسمه المفاخر، وسالت بالثناء عليه المحابر، فانظر لصنعاء المزدانة بجنازة حافلة سدت الطرقات في يوم حزين يخاطبها تلميذه المثيل، فيقول:

صنعاءُ ما لَكِ!!
هذا الصبح مختلفٌ
ماذا أصابكِ من كربٍ وأحزانِ؟
أرى بعينيك أحلامًا ممزقةً
وبين جنبيك خطب هز أركاني
أين الجمالُ الذي عوّدتِ قافيتي
وصوتُ همسك يحيي نبض شرياني
أين الضياء وأنوار النبوة في

---

(1) علامة، ومقرئ، ومفسر، وداعية شهير، من كبار علماء اليمن، ولد عام: 1975م، ودرس الدراسة النظامية حتى أخذ الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان، ثم عمل مدرسًا في عدة جامعات يمنية، وخارجية، وألف الكثير من المؤلفات في التفسير، وعلوم القرآن، وهو حاليًا يقوم برئاسة مؤسسة بصائر القرآنية، ويعمل على مشروع كبير لتفسير القرآن الكريم بلغة العصر، انظر ترجمته بتوسع في الوجيز من سيرة فقيد أهل اليمن العزيز، تأليف الشيخ محمد بن نايف الكريمي، الطبعة الأولى عام: 1442هـ، الموافق: 2021م، طبعة إلكترونية، صفحة: (744).

محراب قلبكِ يا فردوسي الثاني؟

رحل تاج العلماء، وقضى غير مغير ولا مبدل ريحانة الفقهاء، ومضى إلى ربه راضيًا مرضيًا تاج الورعين الأتقياء.. نحسبه كذلك والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا:

أحـنُّ إلى تلـك السـجايا وإن نـأتْ   حنينَ أخي ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
وأُهـدي إليهـا مـن سـلامي مُشـاكلًا   نسيم الصبا جاءت بريَّا القَرَنْفُلِ

من هذا الجبل الشامخ الذي أطل على العالم من الركن اليماني؟

ولد شيخنا يوم الاثنين عام 1340 هـ، تصور هذا النور الإسلامي الذي أشرق على اليمن، فقلع أوتاد التعصب، ونسف جبال الجهل والعبث بالإسلام وأهله؛ قبل أن تكرَّ راجعة.. هل تعلم أن الشيخ العمراني كانت له اليد الطولى في ذلك.

إنه شيخنا ولا فخر: أمة في رجل يذكرك بقول ابن مسعود رضي الله عنه إذ يتذكر معاذ بن جبل، فيقول: «إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ»، قَالَ: ثُمَّ أَعَادُوا عَلَيْهِ فَأَعَادَ، ثُمَّ قَالَ: " أَتَدْرُونَ مَا الْأُمَّةُ؟ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَشْيَةَ، وَالْقَانِتُ: الَّذِي يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ".

ها نحن سير على هدى ابن مسعود، فنقول: إن العمراني كان أمة قانتًا لله حنيفًا، ولم يكُ من المشركين، ولا المبدلين، ولا المحرفين، بل كان ممن قال الله فيهم : (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) سورة الأعراف الآية 170.

وحدثنا أنه كان وهو فتى يتنقل بين مساجد صنعاء القديمة، ينشر نور العلم الصحيح مقابل "مُقالعة المتعصبين-باللهجة اليمنية"، وكان يكتب على كتبه:

مـن كـان يـؤمن بـالرحمن خالقـه فـلا يســب أبـا بكـر ولا عمـرا

في عام 1991م بعد أن وصلت صنعاء بسنة أشرق علي نور شيخنا -أكرمه الله في عليين-في جامع الزبيري، وبدأت دراستي عليه في نزهة النظر شرح نخبة الفكر، ثم تتابعت الدروس الجواهر تترى بين يديه:

وكانت عادته-رفع الله مقامه في عليين-أن يقرأ ويُعَلِّق ونحن نتابع ونسمع: فأقرأنا (الدرر البهية) وشرحها (الدراري المضية)، وكلتاهما لمن أسفرت عنه العلوم في مشرق الأرض ومغربها القاضي محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت 1250هـ).

ثم مضى في إقرائنا (نيل الأوطار) الكتاب الجامع الفريد الذي شرح فيه الشوكاني كتاب (منتقى الأخبار) للإمام أبي البركات ابن تيمية الجد، وهو من أوسع كتب أحاديث الأحكام.

ولا أنسى أن أذكر أن الشيخ لم يكتف بالدراري المضية حتى قرأ علينا (الروضة شرح الدرر البهية) لأبي الطيب محمد صديق بن حسن بن لطف الله القِنَّوجِي البخاري الحسيني أمير مملكة بهوبال (ت1307هـ)، وتعجب من ذلك؛ لأن صديق حسن خان كأنما نقل شرحه من الدرر البهية، لكن شيخنا-رفع الله مقامه-كان

يأبى إلا أن يسطر آيات الوفاء لمن احتفى بالتراث اليمني، ويعلمنا الاعتدال في الكلام عند النقل عن الأئمة الأعلام.

ومضت المجالس المنيفة، فإذا بشيخنا تمتد أنواره، ليحمسنا لقراءة نوادر الكتب، فشرع في كتاب (فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار) للإمام الحسن بن أحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الرّباعي الصنعاني (ت 1276هـ)، وهذا الكتاب أجمع كتب أحاديث الأحكام، وكان شيخنا يعبر عن ألمه لتضييع أهل اليمن لعلمائهم، فكتاب الرباعي أجمع من كل كتب أحاديث الأحكام، ولكن العالم عن غافلون؛ إذ لم ينهض اليمنيون لإبرازه وإعزازه.

وتوالت نجوم العلوم في تدريسه المأمون، فكان من الدروس التي لا أنساها: (وبل الغمام) وهو حاشية قاضي قضاة القطر اليماني محمد بن علي الشوكاني على شفاء الأُوَام في أحاديث الاحكام للأمير الحسين بن بدر الدين محمد الحسني.

ومن نوادر ما درَّسه من الكتب المبهرة التي تعجب ألا تجد الأيام بها سائرة: كتاب (توضيح الأفكار (حاشية فريدة في علم مصطلح الحديث لبدر الدنيا والدين محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت1182هـ) على كتاب: تنقيح الأنظار، لأعجوبة الزمان وبدره محمد بن إبراهيم الوزير (ت840هـ)، والكتابان من أعظم كتب الحديث تحقيقًا، ولكن أين من يخبر الدنيا بجدوى زمزمِ؟

ومن الكتب العظيمة التي تلقح الأفكار، وتسلك طلبة العلم وأهله في سلك الفقهاء، وتنمي الملكة الفقهية في الطالب مبكرًا كتاب الشوكاني العظيم: (السيل الجرار المتدفق على حدائق

الأزهار)، وما زلت أسائل نفسي؛ إذ لم أكن أجمع مسموعاتي على الشيخ في ثبَت وثيق-هل قرأ علينا شيخنا: كتاب (ضوء النهار المشرق على صفحات الأزهار) للحسن بن أحمد الجلال (ت1084)؟ أم كان ذلك لكثرة استشهاده به، وتكريره لمقامه؟ ومثل ذلك أسائل نفسي عن الكتاب الأعجوبة: (العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ) لصالح بن مهدي المقبلي (ت1108ه)، فإنني الآن لا أذكر هل أقرأنا شيئًا منه أم كان ذلك لكثرة إشارته له؟ فمعظم دراستي على شيخنا كانت قبل عام1997م.

أما إقراء الشيخ للبخاري وكتب الحديث، فهو أشهر من أن يُذكر لكثرة تكراره، وطلبت زيارته مرة في بيته مع أفاضل من الكويت منهم الشيخ: فيصل العلي-أكرمهم الله-يطلبون منه الإجازة، فاطمأن بنا المقام في مجلسه، ونلنا من أعاجيب أحاديثه وذكرياته العلمية شيئًا وددت أنني فطنت، فوثقته.

وافتتح لنا مرة القراءة في إرشاد الفحول، ولم أكمله معه لانشغالي بالدراسات العليا، ونسيت أن شيخي يقول: أنا خريج الجامع لا الجامعة، وليس الذكر كالأنثى، وكان إذ رآني ابتعدت عن مجالسه لذلك يسألني بعض مسائل، فإن عييت يقول: هيا (روح اقرا)، وبإشارة لطيفة يذكر المقصرين (أصحاب القراءة العوراء) كما يسميهم بما قاله الشوكاني في أول السيل الجرار: "وأما من لم يكن بهذا المكان ولا بلغ مبالغ أهل هذا الشأن ولا جرى مع

فرسان هذا الميدان فهو حقيق بأن يقال له : ماذا بعشك يا حمامة فادرجي؟!

لا تعذر المشتاق في أشواقه　　حتى تكون حشاك في أحشائه

لا يعرف الشوق إلا من يكابده　　ولا الصبابة إلا من يعانيها

وهو لا يورد هذه العبارة بأكملها لكنني سمعت منه البيت الأخير أكثر من مرة، أما التاريخ من مشرق العالم إلى مغربه فتعجب من استحضاره لدقائق من نكته وأخباره قلما تجدها عند غيره.

وصحبت القاضي-رفعه الله مكانا عليا، وكان به حفيًّا-في حجه غير مرة حيث كنت تراه وهو في الثمانينات يسير على قدميه متنقلًا من محل إقامته إلى الحرم بخفة لا تعهدها فيمن هو مثله، ثم يتكئ على عموده عند المؤذنية حيث يجتمع اليمانيون لتنهال عليه أسئلتهم، وهو لا يسأم من الإجابة على ما يرد منهم، وتجد بعضهم يميل بنزقه، وسوء خلقه في مساءلته فإذا به يذهب ذلك عنه بحلاوة أسلوبه، وجمال تناوله، وأسلوبٍ فريد عزيز، وفكاهته التي تصحبها ابتسامة هي الذهب الإبريز.

ولا تجد اليمن مجمعة على إمامة أحد كما أجمعت على إمامة محمد بن إسماعيل العمراني.. يحاول رسل الظلام أن يمحوا ذكر ذلك النور الساري.. أفيستطيعون، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: (من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب)؟ ها هي الجنائز بيننا وبينهم تشهد (وكفي بالله شهيدًا). يا مدائن العلم العامرة،

ورياض الفقه الوارفة، ويا محابر التعليم، ويا سُرُج التأويل: هل أرى في ضفافكم بسمة إمام أو تحقيق علّام أو تدقيق هُمام، أم خُتِمَ بعد شيخنا الباب بقفل ضاع مفتاحه فلا يُرام؟

لقد امتلأت دنيا اليمن بأحاديث شيخنا، وفتاواه ورسائله، وأقضيته التي تمتلئ شجاعة في الحق، وتفيض نفعًا للخلق، وكان من وصاياه التي لا أنساها لي يوم أتيته قبيل هجرتي من اليمن، وقد دهمتها ظلمات الفتنة كلامًا هذا معناه: أنا سكتُّ، وهذه فتنة، فالزم ما قمت به، واعتزلهم.. هل تعلمون: لمَ قال لي ذلك؟

لقد كان الشيخ عضو هيئة المرجعية، وهي هيئة علمية كنت مقررًا لها، وكانت تحاول الإصلاح بين الرئيس علي عبد الله صالح والخارجين عليه، فإذا رؤوس القوم من الطرفين قد أسكرهم عبث التلاعب المحلي والدولي، وظنوا أنهم مانعتهم علاقاتهم الدولية الشرقية والغربية من تدمير اليمن، ظنوا أن حذقهم ولقاءاتهم بالسفراء والسفارات تكفي لئلا يكون بيادق في أيدي غيرهم، فما عاد أحد منهم يفيئ إلى رشد أو يستمع لنصح، ومال الشيخ عن جميعهم، واعتزلهم بدلًا من أن يخوض فيما خاضه الخائضون.. وما زلت-والله-أعجب لهذه الكرامة في اتخاذ هذا الموقف حيث كان بريق الأحداث يعمي الآخرين.

لقد كان-كان الله به حفيًّا-مسددًا موفقًا، كان حصنًا من الحصون الصادقة التي حاربت البدع الآثمة، ووقفت دون مبالاة أمام الظلمات المتراكمة، ولم يلتفت لإغراء أي طرف من الأطراف

التي مضت خبط عشواء تسوقها أماني الطامعين -جعل الله له لسان صدق في الآخرين.

هو القاضي المبجل.. نور اليمن، وضياؤها يقدم على ربه: لم تغب عني ابتساماته العذبة، وحثه للتنقيب في دفائن الكتب المختبئة: يحدثك حديث الناقد البصير عن المذاهب الأربعة ثم عن اختيارات الزيدية، ثم عن آراء الهادوية والإباضية، ويكر على ما يستحق من تلك الآراء والمذاهب بالنقد الذي يعلي فيه شأن الكتاب والسنة، ولا يسوي بينها في الميزان، ويخبر كيف أن مذاهب أخرى لا يمكنك أن تسميها مذاهب، لأنها أنشأت ببدعتها وظلامها مصادر للتلقي تختلف عن مصادر التلقي في الإسلام.. ثم لا يبرح في كثير من مجالسه حتى يملأ قلبك من الآهات الصامتة على حال الإسلام وأهله، ويذكرك كيف كان يصبر على نشر أنوار الكتاب والسنة في الأرجاء.. كيف يملؤها بالضياء.

وإذ قد أوجعك قلبُك متألـمًا على حال المسلمين يعود إليك الوالد الأب الحاني مفتي اليمن وقاضيها فيملأ قلبك بالرجاء، ولا تبرح حتى تسمع منه نكتة عذبة، وطرفة مستملحة تعيد لك التوازن قبل أن تفقده... أفتلومني حين تراني أشعر باليتم إذ أتاني نعي عالمٍ ملك على الناس قلوبهم؟

فيا رب هذا عبدك محمد بن إسماعيل العمراني: اجمعني به في ظل عرشك، واجعلنا ممن يباهي بهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم القيامة، فيا مدرسة القضاء والفتوى ويا نبراس العلم في الدنيا: سلام عليك يوم ولدت، ويوم مت، ويوم تبعث حيًا.

يصدق فيك قول سعيد بن دحباج:

وفــد الحجــيج عــلى الكــريم ووفدت أنت على عظيم الشان

لبسوا البياض وما استعاروا زينة وكُسيت أنـت مُضـمَّخ الأكفـان

تركوا الديار وفارقوها خلفهم ورحلـت نحـو الواحـد الـديَّان

الكــل يرجــوا عفــوه ونوالــه والفــوز بالحســنى بخــير جنــان

فالطف بعبدك يا إلهي واجعل الـ ـفردوس سُكنى شيخنا العمراني

وارفع له الذكر الجميل وأسبغن فضــلًا عليـه وواسـع الرضـوان

ولدك المحب: عبد السلام بن مقبل المجيدي

الاثنين: 2 من ذي الحجة الحرام 1442هـ

القاضي العمراني
كما يراه تلميذه الأستاذ الدكتور فضل مراد(1)

تميز شيخنا العلامة العمراني-رحمة الله تغشاه-بأمور أساسية صاغته وصاغت حياته وصاغت فكره ونظره الفقهي وتعامله وحياته الإصلاحية التي عاشها مع الشعب اليمني وصاغت تواصله التدريسي على مدار 80 عامًا؛ حيث توفي شيخنا وعمره 102 من السنوات، فقد درَّس وعمره 21 سنة ومجموع تدريسه ثمانون عاما، تخرج على يديه سبعة أجيال من المفتين ومن الفقهاء الكبار ومن المدرسين ومن القضاة، كان مسجده عبارة عن ملتقى لكل فئات المجتمع، من السياسيين، من المستفتين، من الرجل البسيط إلى غيره من العلماء، لم يحط نفسه بهالة عظيمة أو ببروتوكولات معينة في لقاءاته فمن كان يريد أن يلتقي بهذا الرجل العظيم فليذهب إلى مسجده في الضحى أو في صلاة الظهر أو بين مغرب وعشاء ليلقاه.

أول مميزات شيخنا العلامة العمراني:

---

(1) من مواليد منطقة السلفية بريمة، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ الدكتور أحمد عبد الله عباس عام 1985م بالحديدة، ثم التحق بدار القرآن الكريم بصنعاء وأتم حفظه وقرأ القراءات السبع ثم العشر الصغرى من طريق الشاطبية والدرة ثم قرأ العشر الكبرى من طريق الطيبة على العلامة المقرئ إسماعيل عبدالعال، ثم التحق بجامعة الإيمان، وله العديد من المؤلفات من أبرزها: كتابه الشهير" المقدمة في فقه العصر" ومن مقدمته نقلنا هذه الترجمة.

1. صلته بالناس وحب الناس له.

2. هو مجتهد من الطراز الأول وقد أخذت عنه الفقه من أوله إلى آخره ولا أعلم له مسألة واحدة ليس له فيها رأي فقهي مستقل نابع من الكتاب، ومن السنة، ومن مقاصد الشريعة، ومن معرفته بالواقع حالا ومآلًا، وهذا هو الأمر الأول الذي جعله مرجعًا للناس.

3. الأمر الثالث هو: الوسطية والاعتدال؛ والوسطية والاعتدال هي روح هذا الدين تمثلت أبلغ التمثل وفي أبهى صورها في الإمام العمراني؛ حيث لم يجنح إلى الغلو وإلى التطرف وإلى الإرهاب الفكري وإرهاب الفتوى فلا أعلم له فتوى في الدماء أبدًا، لم يفت في مسائل الدماء والاقتتال والاحتراب الداخلي هذا رقم واحد، الأمر الثاني: ليس له فتوى تكفيرية طوال ثمانين سنة وهو يدرس، لا أعلم له ولا سمع له ولا علمت من تلاميذه الذين سبقونا-وأنا من الطبقة الثالثة أو الرابعة من تلاميذه-لا أعلم أنه كفر أو فسق أو بدع أو ضلل أحدا، كانت علاقاته مع الجماعات علاقة متزنة مع أنهم يعلمون أنه يخالفهم فيخالف الجماعات السلوكية ويخالف الجماعات الحركية ويخالف الجماعات السياسية والسلفية في لب مسائلهم التي يتمحورون حولها لكن مع ذلك نال احترامهم لأنه كان يستن بسنة القرآن في النصح وهو: ما بال أقوام وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كذلك لم يجنح لما يسمى بـ: "الاتجاه التساهلي" وهو تمييع الفتوى، أو اتباع النخبة، أو اتباع ضغط الجمهور، أو اتباع البلاط

السياسي فهو في الحقيقة: سلطان العلماء، لا عالم سلطة؛ لذلك لم تستطع السلطات المختلفة منذ أن عاصر الإمام يحيى، وعاصر الإمام أحمد، وعاصر الجمهورية من سنة 1962م إلى أن توفي في عامنا هذا 1442هـ؛ لم تستطع السلطات أو حاكم من الحكام أن يستخرج منه فتوى يمليها عليه.

لم يستطع الحوثيون أن يحتووه حينما خالفهم الرأي في كثير من المسائل وحاولوا أن يضغطوا عليه ضغوطات كثيرة جدا وصادروا مكتبته وزاروه واستفزوه وعينوا مفتيا من طلاب طلابه لكن مع ذلك الجمهور توجه إلى العلامة العمراني والقلوب توجهت إلى العمراني لذلك كان سلطان العلماء لا عالم السلطة.

ومن أهم صفات شيخنا العلامة العمراني الشخصية التواضع فما تواضع أحدا لله إلا رفعه فهو رجل متواضع تلقاه حيثما تجده وكان يهضم نفسه كثيرا ولا يقدم نفسه على أنه عالم بل كان يصف نفسه بأنه طالب علم، فقد رأيت إنسان التواضع في العمراني.

القاضي العمراني كذلك رجل تاريخ ومحدث كبير وهذا قليل أن يجتمع في الفقهاء، الكثير من الفقهاء تجدهم لا يهتمون بالتاريخ ولا يهتمون بالحديث ولكنه اجتمع له علم التاريخ واجتمع له علم الحديث ودارت عليه أسانيد الدنيا حتى رحل إليه العلماء واستجازوه، رحلوا إليه من مشارق الأرض ومن مغاربها يطلبون الأسانيد العالية التي تصلهم بأحاديث الكتب الستة وبغيرها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أنه لم ينغمس في

الحزبية ولكنه استطاع ان يصبغ الحزبيات وأن يصبغ السياسة بالصبغة الوسطية التي امتدت من مدرسة الشوكاني وابن الأمير الصنعاني ولم تستطع السياسة أن تغمسه فيها، ولأن اللعبة السياسية القائمة على المصالح الأهوائية؛ هذه يرفضها العمراني ويجب أن يرفضها كل عالم ولكن السياسة المطلوبة هي السياسة المصالحية المبنية على المبادئ الشرعية وهذه هي المطلوبة أن يتلكم فيها العالم وهي السياسة الشرعية.[1]

---

(1) هذه المادة حديث أدلى به الشيخ الدكتور فضل مراد، أمين سر لجنة الفتوى في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين لبرنامج: "سباق الأخبار" على قناة الجزيرة الفضائية وذلك تعليقا على تصدر خبر وفاة القاضي العمراني–رحمة الله تغشاه–في الأسبوع الثاني من شهر يوليو 2021م، وهذه المادة متاحة في اليوتيوب على هذا الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=DIJTIcQXeFA.

التَّاجُ المُذَهَّبُ اليَمانِي

القاضي مُحَمّدُ بنُ إسماعيل العَمرانِي

د. عامر الخميسي[1]

ماذا أقول عن القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني فهو التّاج المُذَهّب اليماني، أحدُ العلماء الأفراد، ورأسُ الفُقهاء الأمجاد، كبيرُ علماء اليَمن، ونفحةٌ من نفحاتِ الزّمن.

مَـلا ذكـرهُ الآفـاق شرقـا ومَغربـا ... فلـيس لـهُ نِـدٌ(بِقَطرٍ) ولا مصـرِ

سليلَ التّقى والعَدلِ والعلمِ والنّقا ... فَريدُ الذّكاء والمَجدِ والرّشدِ والقدْر

أخو هِمةٍ فاقَت على هِمَمِ العُلا ... وأوصافه تسمو على الأنجمِ الزّهرِ

أرقّ مـن المـاءِ الـزلالِ شـمائلا ... وألطَفُ من جِسمِ النسيمِ إذا يسري

إذا ازْدانَ ذو قَـدْرٍ عظـيمٍ بقـدرهِ ... ففيـه وفي(أشـياخه) زينـةُ الـدهرِ

وإن مَـرّ ذكـرُ الأكملـينَ فـذكرهُ ... كبسملةِ التالي غَـدتْ مَبـدأ الـذّكرِ

ما إن فتح عينه على الحياة وبدأ يستوعب ما حوله، حفزته همته ليعرف شيئًا عن أجداده الذين كان يفخر بهم ويسمع تنويه

(1) عامر طاهر علي الخميسي، من مواليد 1989 مديرية خيران بمحافظة حجة من الطبقة الأخيرة من تلاميذ القاضي العمراني لازمه وأخذ عنه بعد 2007 وأخذ عنه الأمهات الست وأجازه فيها شرحا وحفظا, وتتلمذ على القاضي في كتاب بداية المجتهد وفقه السنة وكتبا أخرى, وهو من حفاظ القراءات وأمهات كتب الحديث ويحفظ سبع ألفيات في مختلف فنون الشريعة ومتونا عدة, كاتب وأديب, متخصص في مقاصد الشريعة, عمل في الإفتاء على تلفزيون السودان ثلاث سنوات وكذلك إذاعة أم درمان ولديه العديد من المؤلفات, عندما أسس الدكتور فضل مراد مؤسسة فقه العصر اختاره أن يكون مديرا لها, حاليا يعمل مدرسا في جامعة بدر العالمية بالصومال.

الناس بهم، فعرف أن جده الشهيد كان أنبل تلاميذ القاضي الشوكاني، فكان هذا هو المدخل لقراءة كتب الإمام الشوكاني وتأثره بها، وقد ذكر أنه تأثر بكتب الشوكاني كون جده كان تلميذًا عنده، والسبب الثاني تسلسل كتب الشوكاني وتنوعها وثراؤها، فهي في فنون متعددة، وفيها منهجية مثلى لطالب العلم، فبدأ بأول كتاب وهو "وبل الغمام"، ومع أن هذا الكتاب في أصله حاشية لكن أبدع الإمام الشوكاني في التعليق عليه والترتيب للأدلة، فأصبح الكتاب من مراجع كتب الزيدية حينها، ثم بعد الانتهاء من هذا الكتاب أخذ كتاب البدر الطالع فقرأه كاملًا، فأعجب بالسرد التاريخي عند الإمام الشوكاني وحسن أدبه وجمال بلاغته، ولست أدري كيف فرحته وإعجابه وهو يقرأ ترجمة جده في البدر الطالع، ثم كان الكتاب الثالث الذي قرأه للشوكاني هو كتاب: "نيل الأوطار"، وهو عمدة كتب الشوكاني وخلاصة عمره وزبدة فقهه وفيه خلاصة اجتهاداته، فأعجب به وكرره مرات حتى أتقنه، ثم بعد ذلك انفتح على بقية كتبه فقرأها وأحاط بها، ثم وجد أن الإمام الشوكاني أثنى على بعض العلماء ووصفهم بأوصاف عجيبة مما تبين له أنهم نجوم متميزون، ونوابغ في ساحة الاجتهاد متفردون، فبدأ يقرأ لهم واحدًا واحدًا حتى أتى على كل كتبهم التي وقعت عليها يده، وتعرف على بعض أحفادهم وذراريهم وسمع الكثير من أخبارهم وزارهم في بيوتهم، ورأى مشاهد هؤلاء النجوم وآثارهم وأحبَّهم حبًّا بلغ مداه، وهؤلاء الأربعة هم: الجلال والمقبلي وابن الوزير وابن الأمير، وخامسهم الإمام

الشوكاني، اندمج معهم وكأني بهم وهو يعيش مع كتبهم يسامرهم ويحادثهم وقد نزل إلى قبور بعضهم، ونخل كتبهم وأبحاثهم واجتهاداتهم نخلًا، وأصبح يتحدث باجتهاداتهم في مجالسه ودروسه، وكان بعضهم مغمورًا حتى أتى القاضي العمراني فجعلهم حديث أهل اليمن؛ لما كان يكثر من ذكرهم وذكر اجتهاداتهم ومؤلفاتهم في الدروس والمحاضرات والجامعات.

بعد هذه الحياة العامرة معهم شاء الله أن يصطف معهم كنجم سادس من نجوم أهل اليمن، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وصدق فيه قول الشاعر:

رسى فوق هامِ النجم سامى مقامه ... فأضحى له بالفضلِ مرسى ومرسخُ
له الكلم اللاتي بها السمعُ يزدهي ... وتعنو له شمُّ العلى وهي شُمَّخُ
شمائلَ ما للمسك في الشم طيبُها ... بأنفاسها بردُ الشمال مضمَّخُ

القاضي العمراني موسوعةٌ في التاريخِ فما كنا نسألهُ عن دولة من الدول أو عصرٍ من الأعصار إلا ويندفع كالسيل لا يردّه راد ولا يصدّه صادّ، يحكي الحوادث كأنّه يراها، فهو ذاكرةُ التاريخِ الحيّة، ودفترُ الزمان المُتحدث، ولا أحسب هذه الأبيات إلا مفصلة عليه:

إذا ما روى الإنسانَ أخبارَ من مضى ... فَتَحسبه قد عاشَ من أول الدهرِ
وتحسبه قد عاشَ آخرَ دهرهِ ... إلى الحشرِ إن أبقى الجميلَ من الذكرِ
فقد عاش كل الدهر من عاش عالمًا ... كريمًا حليمًا فاغتنم أطول العمر

والقاضي العمراني من القلائل الذين متّعهم الله بطول العمر وحسن العمل فقد عاصرَ عشرة من ملوك ورؤساء اليمن، وزاد عمره على قرن من الزمان.

علمهُ كالروضِ الأنف، وكلامهُ كلآلئ الصُّدف، ودروسُه لا تخلو من الطّرف، ومجالسُه أبهى من التّحف.

انتهت إليه مَشيخة العلم في اليمن، فالكلّ يرجع إليه، يُفتي على كلّ المذاهب يبين لك المذاهب الأربعة بالتّفصيل، ثم يعقّب بمذهب الزيدية، ويذكر خلاف الهادوية، ويعرّج بك على مذهب الظاهرية، ويذكر ما قاله داود الظاهري وابن حزم وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن الأمير ولا يتوقف إلا عند الشوكاني وغالبا يرجح مذهب الشوكاني وهذا أسلوب القاضي في كل مسألة تُوجه إليه إلا ما ندر وتلاميذه يعرفون هذا.

وفي بعض الأحيان يذكر ما قاله رشيد رضا والألباني وابن باز وابن عثيمين والقرضاوي، وسمعته مرات يقول: ابن باز يشدد قليلا في الفتوى والقرضاوي يتساهل قليلا وأنا بينهما، ثم يبتسم، ويرجح أحيانا أحدهما ويذكر سبب الترجيح، وذكر أنه ناقش ابن باز مرات واعترض عليه في بعض المسائل، وكان القاضي-رحمه الله-دائما يصحّح ما صححه الألباني ويستشهد بتصحيح الألباني في جُلِّ الأحاديث التي من خارج الصحيحين وكأنه حافظٌ كتب الألباني عن ظهر قلبٍ مع أن كُتَب الألباني أغلبها أو جلها ما ظهرت إلا بعد الثمانينيات وما نُشرت إلا حديثا فكيف تفرّغ لها القاضي في آخرِ عمرهِ وأتقنها، أما الأحاديث الموضوعة فلا تسمع بحديث موضوع إلا ويُنبِيك من قال بوضعه فكأنّ كتاب

الموضوعات لابن الجوزي، والمنار المنيف لابن القيم، وتنزيه الشريعة للكناني، وكتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي، وكتاب الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني جميعها بين عينيه، وما يخطر على بالك من حديث ضعيفٍ أو موضوع إلا وعند القاضي منه تفاصيل؛ فبمجرد أن تُوجِّه له سؤالك يقوم باسترجاع الملفات من ذاكرته، وقدرته الذهنية فائقةٌ جدا فيسرُد لك من قال بوضعهِ أو ضعّفه حتى ولو بلغوا سبعة أو ثمانية من العلماء، ويذكر لك كتبَهم التي أوردوا فيها الحديث، ولماذا كلّ واحد منهم ذهب إلى تضعيفه أو وضعه.

يأتي إليه المستفتون من أقاصي البلاد، ويسأله الحاضر والباد وما حطّ أحد رحاله بمسجدهِ إلا أدرك أنه بلغ المراد.

فحقًا هو الموسومُ بالكوكبِ الدَّري ... بِـهِ ضـاءَ وجـهُ البـدرِ وازدادَ بِشرـهُ

وهيهـاتَ يخفـى البـدرُ في ليلـةِ البـدرِ ... لقد ضاقَ صدرُ الدهرِ عن كتمِ فضلهِ

آلَت إليه علومُ الحديث في اليمن فجدّد علومها، وأقامَ رسومها، ورفعَ منارها، وأقام أسوارها، وأرشد طلابها، وأتقن بناءها وإعرابها، والقاضي ليس بينه وبينه البخاري في الإسناد إلا ثلاثة عشر رجلا، ويروي عن شيخه العلامة عبد الواسع الواسعي جميعَ ما تضمنه كتابُه: «الدر الفريد» عن علماء اليمن، وحضرموت، ومصر، والهند، والشام، وغيرها من الأقطار، والقاضي عنده صبرٌ وجلدٌ على التدريس ويشعر أن متعته في ذلك، فما إن يكمل شرح صحيح البخاري إلا ويشرع في صحيح مسلم ثم لا ينتهي إلا بانتهاء الأمهات الست، وله شَجَن منقطع النظير بسبل السلام لابن الأمير فهناك مستراحه وهجيراه، وله حنين

وغرام لوبْل الغمام على شفاء الأوام، وأخبرني أحدهم أنّه لربما قرأ وطالع نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار أكثر من ستين مرة، فلله دره أي همّة بلغت به قمم المجد، وأي طموح أوصله إلى منازل السُّعد.

أمّا علوم الفقه: فحدث ولا حرج فقد أتقن المذاهبَ ونظم عُقودها ونَسَجَ بُرودَها، عانقها عناق المَشغوف، وأقبلَ عليها إقبال الملهوف، مَضى على نهج جَدّه وأَبيه، وكُل إمامٍ متقنٍ مجتهدٍ نَبِيه، إلى أن أصبح غُرةً زاهرة، وشامةً ظاهرة، يفتيك بأقوال الأحناف من كتبهم كما لو أنه حَنفي، وإن خالف الصاحبان بيَّن ذلك، ولا ينسى أن يقول: وشذّ زُفر، ثم يغوصُ لك في مذهب المالكية ويرتّب أدلتهم ويُحيلك على كتبهم التي ذكرت الخلاف مع تبيينه نقل ابن القاسم وقول ابن عبد الحكم وما ورد عند أشهب وابن الفرات، وبنفس السّياق يسلك معك في مذهب الشافعية والحنابلة فكأنه قرأ كتب أئمة المذاهب فاستظهرها ويُخَيّل إليّ أنّ المغني لابن قدامة والمحلّى لابن حزم بين عينيه يختار منهما ما يشاء ويدع ما يشاء فهو في استذكار المذاهب متقدمٌ على أقرانه، منفردٌ بعصره وأوانه، ولو شئت أن أقول ما أنجبتِ اليمن مثله في عصرنا لما جانبتُ الصواب، فهو فرد نادرٌ، وحق علينا أن نذكره بأجمل المفاخرِ، وأفضلِ المآثر، لأنّهُ تجمّل بلباس العلم وتحلّى، حتى فاز بالقدحِ المُعَلَّى.

بقي مواظبا في محراب الفتوى إلى أن توفي، ترقّى في سلم المعالي إلى أن أصبحَ هو العالي، فترى العامة والخاصة يقولون ماذا

قال العمراني وكأنّ قوله حجة بين الأنام، فهو البحر الطامي، والغيث الهامي.

عاش متواضعا للناس، ليّنا ذا أنس وإيناس، ولرّبما يسألُ السائلَ أحيانا عن منطقته وبلده فيخبره بتفاصيل صغيرة حصلت في غابر الأزمان ويُزجيها بالأمثالِ الشعبية، والمُطارحات النّدية، لا تمل مجالسته، ولا تترك مؤانسته:

إذا ما رأتْ عيناكَ بَهجةَ نورهِ رأتْ بدرَ تمٍ في منازل أسعدِ
إذا ما ذكرتَ الأكرمين فإنّه هو الكوثرُ الفيّاضُ والعارضُ النّدي

كان يمازحنا بقوله: أنا درستُ في الجامع وأنتم درستم في الجامعة وليس الذكر كالأنثى.

دخل القاضي العمراني البرلمان فكان لا يخشى من أحدٍ في قول الحق، وكان رئيسا للجنة المظالم، ودخل مجلس الشورى، وقد سجن بسبب تعليمه وخروجه عن المذهب الزيدي، وكم نال من الأذى بسبب تدريسهِ في جوٍّ مشحونٍ بالطائفية، وقصته مع السيد قاسم العزي معروفة مشتهرة في اتّهامه له وكيده عليه بحجة هدم مذهب آل البيت لكن القاضي انتصر بعزمه وإصراره متأسيا بما حصل قبله لكل علماء اليمن من أذى ومكرٍ وكيدٍ ومحن، ونالَ ما نالَ مؤخرا من الأذى حينما صادرَ الحوثيون مكتبته واستولوا عليها، لكن ما ضرّه وقد خدمَ دينه، وجدد أعلام الهدى، وأخرجَ جيلا متمكنّا واعيا، فطابَ ذكره، وتضوّع نَشرُه:

رسى فوق هام النجم سامى مقامه فأضحى له بالفضل مرسى ومرسخ
لك الكلم الآتي بها السمع يزدهي وتعنو له شمَّ العلى وهي شُمَّخ
شمائل ما للمسك في الشم طيبها بأنفاسها برد الشمال مضمَّخ

من أجملِ ذكرياتي معه دفتر كامل كتبهُ لي بخط يده يحتوي على العديدِ من المسائل والفتاوى هو عندي حسنة الدهر وبركة العمر، ولِورَعه في الفتيا رغم علمه الغزير يتوقّف أحيانا فقد سألته سؤالا ذات مرةٍ فقال: أنا متوقف في الإجابة عنه وتكرر هذا منه ثلاثا.. ومرات كثيرة يقول: اسألوا هذا السؤال الدكتور الديلمي، أو الدكتور زيدان، أو العلامة حسن الأهدل فعليهم المعوَّل، ولا يعرفُ الفضل لأهله إلا ذووه.

القاضي العمراني بقيةٌ من السلف، وعلمٌ من الخلف، عينُ الأعيان، وإنسانُ حدَقةِ بلد اليُمْنِ والإيمان، وريحانةُ روضة الفقه، وطِيبُ دوحةِ الورع والزهد والعمل، مَجالسهُ عامرة، وطُرَفه حاضرة، يَروي الطلاب من بحرِ علمهِ الواسع، ويشنّف آذانهم بفرائد فهمه الماتع، أجمعت القلوبُ على محبته، فمقره من العين السّواد، ومحله من القلب حبة الفؤاد.

القاضي العمراني عَمَرَ القلوب بعلمه فهو فَردُ عصره، وزينةُ دهره، ولو كتبَ فيه تلاميذُه المصنّفات ما أتوا على مآثره وحسبي هنا أن أشير إلى نفحاتٍ من حياته، وعبَق من سيرته.

نَشأ القاضي العمراني يتيما فقد مات والده وهو في الرابعة من العمر، فربّته أمه أحسنَ تربية واهتمّت به أفضل اهتمام وذاك هو شأن أئمة الإسلام كأحمد والشافعي ومالك، وكلّ مجتهدٍ نابغةٍ سالك، ثم أدخلته في عمر السابعة مدرسة الفُليحي فأفلحَ فيها أيّما فلاح، وقد أتقن فيها مبادئ العلوم، ثم انتقل إلى مدرسة الإصلاح فترقى في درجاتِ الصلاح-فرحم الله أمه العظيمة التي كانت

وراءَه–وقد نال فيها شهادة أرقى، وفي سنّ الرابعة عشر ولج العالَم الكبير وزاحم العلماء بالرّكب بدخوله الجامع الكبير بصنعاء، فجوّد القرآن وكان قد حفظه قبل الرابعة عشر فيما يبدو لي، وكان يتردد أيضا إلى جامع الفليحي فأتقنَ القرآن وحفظ هذه المتون وهي الأجرومية، ومُلحة الإعراب، وقطر الندى، والكافية في النحو، وقواعد الإعراب، وألفية ابن مالك ودرَس شروح هذه المتون على أكثر من عالم حتى تبحّر فيها، كما درَس أيضا مُغني اللبيب، وشرح الجوهر المكنون في البلاغة، وشرح التفتازاني، والمناهل الصافية في الصرف، ودرَس الكشاف للزمخشري، وقد تفنّن وبرع في هذه الكتب حتى أصبح متخصصا، وفي هذه الفترة التي تمتدّ إلى الخامسة والعشرين من العمر دَرَسَ أيضا نُخبة الفكر في المصطلح، وعلوم المواريث، وشرح صحيح مسلم وأبي داود والنسائي وموطّأ مالك، وسبل السلام ونيل الأوطار وشفاء الأوام، كما حفظ متن الأزهار، ودرس علم المنطق، ومتن الكافل، وشرح الغاية في الأصول، وشرح عمدة الأحكام، وأصول الأحكام، وغاية السول، وشرح الروض النضير، والبحر الزخار، وزاد المعاد، فهذه هي الكتب التي درَسها على يد مشايخه لم يدرس غيرها إلا ما كان على سبيل المذاكرة، واستعار جميع كتب رشيد رضا من مكتبة الجامع الكبير وهي خمسة وثلاثون مجلدا فأتى على آخرها، ثم فتح لنفسه المجال في التدريس فكان يُدَرّس صغار الطلبة وكان إذ ذاك في التاسعة عشر من عمره، فأتقن المتون من خلال تدريسه وتردد كثيرا على أكابر علماء صنعاء ولازم القاضي

عبدالوهاب الشماحي أكبر عالم في صنعاء بل أكبر عالم في المذهب الزيدي في اليمن حينها وهذا سر من أسرار نبوغه وهو الارتباط بالأكابر فاستفاد من علمه وأدبه، كما استفاد من القاضي زبارة، والقاضي العلامة يحي الإرياني والد رئيس الجمهورية الأسبق عبدالرحمن الإرياني، ثم عُيّن مدرسا في سن الخامسة والعشرين في أول مدرسة علمية افتُتحت في صنعاء وكان هو أصغر مُدرس فيها، فدرّس ما كان قد درَسه على يد أشياخه، ثم طالعَ كتب علماءِ اليمن ابتداء من مصنّف عبدالرزاق الصنعاني، ومرورًا بكتب العِمراني صاحب البيان، ونشوان، والمهدي، وابن الوزير، والجلال، والمَقبلي، وابن الأمير، والشّوكاني، بَيدَ أنه أُعجِب بالشوكاني؛ كونه شيخ جده ولقرب إسناده منه ولكثرة مؤلفاته وتسلسلها فأتقن ما فيها وتخصص في تدريسها والتعليق عليها بنظرٍ نقّاد، وخاطرٍ وقّاد، وبقيت معه يدرسها للطلاب ويشرحها ابتداء من فتح القدير والدراري وانتهاء بأدب الطلب والسيل الجرار ونيل الأوطار حتى أُطلق عليه لقب: مجدد علم الشوكاني، كما أنه طالع كثيرا من الكتب المعاصرة ككتاب فقه السنة لسيد سابق وقد قام بشرحه والتعليق عليه في جامع الزبيري وقد جمع تلك الترجيحات مع تهذيب فقه السنة الأستاذ البرلماني والداعية الموفق فؤاد دحابة، وهو كتاب مطبوع متداول، وجزى الله خيرا الدكتور عبد الرقيب عباد في إنشائه مؤسسة العمراني الصرح العلمي الشامخ الذي يعد امتدادا لمسيرة علمية مباركة، وقد كان القاضي يدرّس في المعهد العالي للقضاء وفي جامعة الإيمان وفي

مسجده ولم توقفه التسعون عن التّدريسِ والفتوى، ولازال مواظبا على مجلس الفتوى قبل الظهر بساعتين في مسجده إلى أن دَنَت منيّته.

يَقضي الطلاب بجانبه أمتع الأوقات فتراهم يأتون من مناطقَ بعيدة وأحياء مترامية لحضور درسه وكأنهم يقصدون نزهة جميلة-وما أجمل متنزهات القلوب-كما قال الشاعر:

يا صاح إن رمت المسير لمنزه فاقصد بسيرك نحو روضة دُمَّر
فهواؤها محيي الجنان وأرضها مثل الجنان وماؤها كالكوثر

فمجالسهُ روضةُ القلوب، ونزهة النفوس، وحياة الأرواح.

والقاضي العمراني تَبوَّأَ من العُلا أسنى الغُرَف، وتأثّل مجدُهُ في بحبوحةِ الشّرف، فهو إمام الكُل، ولو حصرَ اللسانُ أوصافه لكَل، تضوّعت مسكا بعبيرهِ البطاح، وانتشر نورهُ انتشارَ الصباح.

إمامٌ قد سما هامَ الثريا ونالَ من العلا أعلى القداحِ
إلى قصبِ المكارمِ حازَ سبقا وجارَى الغيثَ في بذلِ السماحِ
وبحرٌ نهرُ موردهِ فراتٌ جَرتْ بعبابهِ سفنُ النجاحِ

يَفِدُ عليه كبار علماء العالم الإسلامي لينالوا شرف مجالسته وإجازته ومدارسته، يفتح للناسِ قلبه وبيته وكم زرته مراتٍ في بيته فرأيت من توافدِ الناس عليه عجبا فهم لا ينفكّون عنه وهو لا يَصبر عنهم، يَسُره الساعات الطوال يَكتب الأجوبة لهم، ويقدر لهم أسفارهم البعيدة ومِحَنَهم الشديدة، فهذا يقول يا شيخ جئتك من رداع، وذاك يقول جئتك من حضرموت، وذاك يقول وأنا جئتك من تهامة، وآخر من إب وصعدة وعدن، وهكذا يُشكّلون بجانبهِ

لوحةَ طيفٍ من أرجاء اليمن، يسألونه في النوازل والمُعضلات ولربما في أحيان كثيرة ما جاءوا إليه إلا لإرشادٍ في مشكلة من المشكلات، وكم سمعتُ من هذا عجبا فالفتوى سيفتيهم أقربُ شيخ لكن يستأنسون برأي القاضي لعلهم يرشدون.

وقد استمر يفتي في إذاعة صنعاء أكثر من خمسين سنة ومفتيا للديار اليمنية قرابة أربعين سنة، وموئلا لطلبة العلم الذين يقصدون مسجده وحلقات العلم بين يديه قرابة ستين سنة.

أكـرم بـه حـبرًا إمامًـا عالمًـا — تطـوى القفـار لعلمـه المنشـور

اللّهم إنّه قَدم عليكَ فأكرم وِفادته، وتغمّده بواسع رحمتك، واسكب عليه شآبيب مغفرتك جزاء ما نافح وكافح عن دينك وأجر ما علّم ودرّس شريعة نبيك.

وبهذا الصّدد قلتُ في وداعه:

عظم المصاب بشيخنا العمراني — والحـزن خيَّم فـوق كـل يـماني

فالشـمس حـال الغـيم دون — والبـدر غـاب وفقـده أبكـاني

وسـهيلٌ طالعنـا تـوارى آفـلًا — وصـقيلنا أضـحى بـلا لمعـان

والقلب أضحى غارقًا في لجة — والعين أضحت دونـها إنسـان

وسفينة العلماء أضحى سيرها — تيهًـا تمـوج هنـا بـلا رُبَّـان

صـنعاء كيـف أفقـت للحـدث — هـزَّ الشـوامخ في ذرى عيبـان

وصباح حزنك كيف ولّى نوره — وغـدا ظلامًـا عـمَّ في الأكـوان

أوَّاه يـا صـنعاء والآلام قـد — رسمت بخدك دمعة الفقدان

أوَّاه يـا صـنعاء سرتِ مواكبـا — في لحظـة التشـييع والأحـزان

من للفتـاوى حين يربـد ليلهـا — مـن للعلـوم وحليـة التبيـان

مات الذي نشر العلوم أزاهرًا بحر العلوم العالم الرباني
شيخ الشيوخ سليل دوحة نهلت علوم الشرع في إتقان
من قام بالتجديد دون الخوف بطش الولاة وصولة السلطان
أحيا مقام الاجتهاد بعلمه وأعاد سيرة بدرنا الشوكاني
عِلْم الجلال أعاده والمقبلي وجاء يُحيي منهج الصنعاني
من كان مثل ابن الوزير تجردًا وسما على الأشياخ والأقران
أهدى لنا الفقه اليماني طاهرًا من سَيْب مزن المصطفى
ما كان قط مُشددًا متعصبًا بل كان سمحًا من ذوي
لو يعلم التُّرب الذي سيحله مَن ضيفه لرعاه في تحنان
ولفاح بالأطياب يعبق بالشذا وجرى النسيم عليه بالريحان
يا ربِّ أكرمه ووسِّع قبره واغمره بالأفضال والرضوان
وأثبه بالفردوس في أفيائها يلقى النعيم وغاية الإحسان

نبذة مختصرة عن الكتاب

الحمد لله أولا وآخر، لقد أكملت تأليف كتابي عن شيخنا القاضي محمد بن إسماعيل العمراني-رحمة الله تغشاه-فجر يوم الثلاثاء: 21 صفر 1443هـ، والموافق: 28 شهر سبتمبر 2021م فالحمد الله أولا وآخرا الذي بنعمته تتم الصالحات.

وقد أرسلت نسخة من هذا الكتاب إلى أولاد القاضي العمراني، والحمد لله أن التقييم الأولي للكتاب من قبلهم أثلج صدري ودفعني لمراجعته وزيادة إتقانه، والاهتمام بتحبيره وهذا أمر طيب.

الكتاب جهد فردي يوثق لجهود شيخنا العلمية وجوانب من حياته، وهو ثمرة تفرغ لأكثر من شهرين، قرأت خلال تلك الفترة الكثير من الكتب والدراسات وكل ما كتب عن شيخنا في الإعلام بالإضافة إلى مقابلاته الصحفية والتلفزيونية ومؤلفاته، والفعاليات التي تحدثت عنه بعد وفاته، بالإضافة إلى أحاديث طلابه عنه في فيديوهات ومداخلات ودراسات وغيرها، عشت معه في رحلة فكرية ممتعة وزينته بمقدمتين من أجمل ما كتب عنه.

في مقدمة الكتاب أوضحت أسباب تأليفي للكتاب وبماذا تميز شيخنا العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني-رحمة الله تغشاه-عن غيره من علماء اليمن وجوانب فرادته ما يجعله يستحق

أن يكتب عنه الكتب والدراسات والأبحاث والمقالات، كما اعتمدت ترجمته التي رواها لي في المقابلة الشهيرة التي أجريتها معه، وكتبت عن البداية العلمية له وأسباب عدم رحلته في طلب العلم، وانتقاله من التعليم وطلب العلم إلى التدريس، وعن أسلوبه في التدريس وكل هذا مما رواه القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-بنفسه في مقابلات عديدة وأحاديث متفرقة موثقة.

ثم تطرقت لرؤية القاضي العمراني لمرحلة التحصيل ومرحلة التدريس ووضحت أسباب قلة مؤلفات شيخنا العمراني وأبرز هذه الأسباب: أنه جعل التدريس والفتوى ونشر العلم الشرعي أولوية لديه عما سواها وكذلك لتواضعه الجم وخوفه من الريا والسمعة وبعده عن حب الظهور وغيرها من الأسباب.

ثم أوردت بعض ما تعرض له العلماء والقضاة من بيت العمراني من إقصاء وتنكيل ونهب للمكتبات التابعة لهم، ورسوخ قدم هذه الأسرة المباركة في مجال العلم والقضاء.

ثم تحدثت بتوسع عن جهود القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-في مجال الفتوى والمنهجية التي يتبعها في الفتوى، وأوردت أول فتوى له، وتحدثت عن دلالاتها، ثم تحدثت بتوسع كبير عن جهود القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-في مجال علم الحديث النبوي، فالقاضي العمراني فقيه محدث جمع بين الفقه والحديث، وجهود القاضي العمراني في التنبيه على الأحاديث الموضوعة والتحذير منها، وكيف بين شيخنا ووضح كتب الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وكيفية التعامل مع الأحاديث النبوية إذا

تعارضت وكيفية الجمع بين الحديثين المتعارضين وأوردت نماذج لما قاله الشيخ عن هذا الأمر.

كما أوردت أسلوب شيخنا في الجمع بين الأحاديث بالتاريخ والصلة بالقصة، ومتى كان شيخنا يرجع لترجيح حديث على آخر، ومتى يتوقف عن ترجيح حديث على آخر.

وتطرقت لدراسة لباحث مصري عن جهود شيخنا العمراني في مجال علم الحديث وخلاصات هامة مما كتبه كبار تلاميذه عن جهوده في هذا المجال.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى جهود شيخنا العمراني-رحمة الله تغشاه-في مجال الاجتهاد ونبذ التعصب والتحرر من ربقة التقليد واتباع الدليل والترجيح والاختيار، وشرحت بتوسع طريقته في التعامل مع المتعصبين مما تحدث به هو، ووضحت عقيدة القاضي العمراني ومذهبه لمن لا يزال يجهل هذه الأمور.

ولأن القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-كان موسوعة معرفية متكاملة فقد كتبت بتوسع عن سعة علمه في مجال التاريخ وأوردت نماذج من كتاباته التاريخية ونماذج للمعلومات والقصص التاريخية التي تفرد بها ورواها دون غيره وكيف كان ينظر لعلم التاريخ وأهميته لديه.

كما تضمن الكتاب رؤية القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-لعهد الأئمة وما حدث له من قصص التحريض عليه من قبل قاسم العزي، ومن الأمير الحسن-شقيق الإمام أحمد-الذي كان يكرهه بشدة، وأوردت قصة الوشاية به بسبب تدريسه كتب

السنة وقصة سجنه ومعلومات لم تنشر في هذا المجال، وقصة سفره إلى تعز ولقائه بالإمام، وبقائه هناك لفترة، ثم عودته إلى صنعاء في الطائرة، وما حدث له خلال تلك الرحلة، وما حدث له في مجلس الإمام بتعز.

ولأن القاضي العمراني شاهد على فترة هامة من حكم الأئمة نقلت عنه كما حدثني هو رؤيته لعهد الأئمة، وأوردت بعض جوانب معاناته بسبب دفاعه عن الصحابة والعلماء، وبعض قصص معاناته بسبب المتعصبين من العوام وغيرهم، وقصص تنكيل الأئمة ببعض العلماء والفقهاء، وغدرهم ببعض الشخصيات بكل دقة وإنصاف.

ولأن القاضي العمراني يعتبر امتدادا لمدرسة شيخ الإسلام الشوكاني وهو أول من درَّس كتبه بصنعاء، ولشيخ الإسلام الشوكاني مكانة خاصة لديه فقد خصصت فصلًا كاملًا عن هذا الجانب أوردت فيه: الترجمة التي اعتمدها القاضي العمراني لشيخ الإسلام الشوكاني، وحديثي معه عن أسباب شهرة الشوكاني، وأسباب نبوغه، وعن العلماء الذين مهدوا له، وحديث القاضي العمراني عن اجتهاد شيخ الاسلام الشوكاني، والقصص التي رواها عنه، وعن سند القاضي العمراني إلى شيخ الإسلام الشوكاني، ثم أوردت حديث القاضي العمراني عن مؤلفات الشوكاني وأيها المتقدم وأيها المتأخر وما هو الذي نعتمده إذا تعارضت آراؤه.

كما أوردت نماذج من استدراكات القاضي العمراني ـ رحمة الله تغشاه ـ على شيخ الإسلام الشوكاني، وقصة إخراج جثمانه من قبره، كما كتبت بتوسع عن فتاوى القاضي العمراني على مذهب الإمام الشوكاني.

وتحدثت بتوسع عن جهود القاضي العمراني في التعريف بعلماء اليمن المجتهدين الكبار أمثال: العلامة محمد بن ابراهيم الوزير، والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني, والعلامة الشيخ صالح المقبلي صاحب كتاب: "العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ"، وما كتبه القاضي العمراني عن هذا الكتاب، وعن قصة العلامة المقبلي مع المتعصبين في صنعاء ورحلته إلى مكة وقصته مع ابنته زينب، وعن العلامة الحسن الجلال، والعلامة نشوان بن سعيد الحميري، والعلامة صلاح الأخفش وغيرهم، وأوردت نماذج من كتابات القاضي العمراني عن هؤلاء العلماء الأعلام وجهوده في التعريف بكتبهم وفتاواهم في المسائل العلمية وجوانب من حياتهم.

كما أوردت في الكتاب العشرات من قصص تواضع القاضي العمراني جمعتها من عشرات المصادر الموثوقة، وأوردت نموذج لما كتبه أولاده عنه وهو مقال كتبه الدكتور عبد الغني العمراني عن والده القاضي العمراني وجهوده العلمية والفكرية، ونموذج لما كتبه طلابه عنه حيث أوردت أحاديث عنه لبعض مشاهير طلابه مثل: الأستاذ الدكتور فضل مراد، والأستاذ الدكتور عبد السلام المجيدي، والشيخ الدكتور عامر الخميسي.

كما كتبت عن ظرافة القاضي العمراني في مجالسه ودروسه وروحه المرحة وسرعة بديهته، وأوردت قصص ونماذج بعضها لم ينشر بعد وتحدثت عن جوانب هامة من حياته مثل: حرصه على الوقت ودعوته لتعليم المرأة في اليمن وإعطاءها حقوقها الشرعية، وأوردت قصة لقائي به والقصص التي رواها لنا في ذلك اللقاء والتي لم تنشر حينها.

كما تضمن الكتاب خلاصة دراسة نشرت مؤخرا عن: "فضيلة الإنصاف لدى القاضي العمراني"، وكتبت بتوسع عن جهوده العلمية في رحلات الحج كمفتٍ للحجاج اليمنيين، وقصة أول حجة له قبل ثورة 26 سبتمبر 1962م، كما أوردت عشرات القصص التي يرويها مما حدث له وشاهده في رحلات الحج، وهذه القصص الهامة والطريفة لم تنشر بعد.

وكتبت أيضا عن رؤية القاضي العمراني للإعلام والثقافة والصحافة، ورؤيته للقات وحكم الشرع فيه وأسباب رفضه تولي المناصب الرسمية وغيرها من القضايا الهامة.

الكتاب رحلة ممتعة وتميز بأسلوب رائع فيه الفوائد العلمية والقصص الشيقة والأحاديث الهامة وفيه من الجديد والمفيد ما يستحق أن يقرأ ويحتفى به، نسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

محمد مصطفى العمراني

لماذا القاضي العمراني؟

تزخر اليمن بالمئات إن لم نقل بالآلاف من العلماء والفقهاء فلماذا يستحق العلامة القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-أن يكتب عن المقالات والأبحاث والدراسات والكتب؟

بماذا تميز القاضي العمراني عن غيره؟

ما هي القيمة التي كان يمثلها القاضي العمراني؟

القاضي العمراني قبل أن يكون المجتهد الأول في اليمن هو صاحب قصة نجاح تستحق أن تروى وأن يكتب عنها المقالات والدراسات والكتب وأن تمثل حافزا للنجاح والتميز والتفرد.

طفل يتيم توفي والده وعمره أربع أعوام وفي ظروف قاسية في بلد يعاني من الفقر والجهل والعزلة والتخلف والتعصب المذهبي، وفي ظل حكم ملكي يكرس هذا الواقع المرير ومع هذا فقد تحدى هذا اليتيم كل هذه التحديات والعوائق وسعى للتعليم وبناء نفسه من الصفر فحفظ القرآن والمتون العلمية وجمع بين المدرسة والكُتَّاب فكان يدرس في المدرسة ويتلقى العلم على أيدي المشايخ في المسجد، يتنقل من مسجد إلى آخر، يكتب ويدون ويذاكر وينال الدرجات العالية في المدرسة ويتقدم على أقرانه في حلقات العلم في المساجد، همة عالية ونشاط كبير، ذكاء وتميز وذاكرة قوية وسرعة بديهة، استطاع أن يأخذ الثمرة من الشجرة

ويتجنب شوكها، كان يأخذ العلم من مشايخ الهادوية وممن هم في غاية التشدد والتعصب للهادوية ويرون مجرد قراءة كتب علماء اليمن من المجتهدين الكبار أمثال شيخ الإسلام الشوكاني والمقبلي والجلال والأمير وابن الوزير رحمهم الله جميعا خروجا عن المذهب الصحيح ومعاداة لأهل البيت ومن يقرؤها ضال منحرف عن طريق الحق ومن النواصب.

فكان يرد عليهم بأدب ويناقشهم بالحجة دون أن يصل إلى الخصام معهم أو يتطاول عليهم فحين تطاول شيخه العلامة محمد بن صالح البهلولي على شيخ الإسلام الشوكاني وعلى العلامة السيوطي وعلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رد عليه بأسلوب ذكي ما دفعه إلى التعهد بعدم تجريح العلماء والصحابة-كما سيأتي ذكر القصة كاملة في فصل معاناة القاضي العمراني بسبب دفاعه عن العلماء-ورغم مضي عقود على تلك القصة إلا أنه حين ظل يصف الشيخ محمد البهلولي بأنه العلامة الأصولي المفسر اللغوي ويثني على علمه رغم تعصبه الشديد الذي ينبه عليه.

استطاع القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-من خلال قراءته لكتب الشوكاني أن يتحرر من ربقة التعصب وأن يتبع الدليل وأن يصبح من مشايخ السنة في اليمن وأن يسير على نهج الشوكاني وابن الأمير والجلال والمقبلي ونشوان الحميري وغيرهم-كما سنذكر ذلك بتوسع في باب القاضي العمراني والشوكاني-وخلال فترة الأئمة واجه المتعصبين أمثال: قاسم العزي وأمثال الحسن ابن الإمام يحي حاكم صنعاء وغيرهما من

المتعصبين الذين سعوا في أذيته والنيل منه، واجههم بحكمة وسعى لتفويت الفرصة عليهم فزار الإمام أحمد في تعز ليعرفه بمذهبه فأعجب به الإمام وبكائه وعلمه وسرعة بديهته لكنه لم يتمكن من استيعابه ضمن حاشيته؛ فالقاضي العمراني كان صاحب مشروع علمي وليس طالب دنيا، وما كان ساعيا إلى مناصب كما كان ديدن أغلب من كانوا في حاشية الإمام حينها-كما سنذكر ذلك بتوسع في قصة زيارة القاضي العمراني للإمام في تعز.

القاضي العمراني هو أول عالم يعمل على إحياء كتب ومخطوطات شيخ الإسلام الشوكاني ويدرِّس كتبه في مساجد صنعاء، كما قام بتدريس كتب أعلام اليمن من المجتهدين الذين نبذوا التقليد والتعصب واتبعوا الدليل ورفعوا راية السنة في اليمن، كل هذا كان في زمن الأئمة وفي زمن كان التعصب يبلغ ذروته من العوام ومن الأعيان ومن المسؤولين وبعض الأئمة ومع هذا فقد واجه الكثير من التحريض والتعصب حتى بلغ به الحال أحيانا أنه كان يرسل من يشتري حاجياته من السوق حتى لا يواجه المتعصبين الذين كالوا له تهم تخريب المذهب ومعاداة أهل البيت وغيرها من الاتهامات.

سعى القاضي العمراني لاتقاء شر المتعصبين من العوام ومن الشخصيات المعروفة ومن الأئمة وجاهر برفض التقليد واتجه للاجتهاد واتباع الدليل، لم ينعزل بين الكتب وفي حلقات الدرس في المساجد والجامعات والمعاهد بل عمل في مقام نائب الإمام ولي العهد محمد البدر في تحرير إجابات مسائل فقهية وشرعية مع

مجموعة من العلماء والفقهاء، فكان يعمل مع الأئمة دون أن يقرهم على باطل أو ظلم أو يتزلف إليهم وينافقهم كما كان يفعل الكثير من الناس، وبعد ثورة 26 سبتمبر 1962م وقيام الجمهورية اليمنية ظل يتحدث عن الأئمة بإنصاف ومصداقية وحين سألته في مقابلتي معه: هل كان الأئمة يحاربون العلم الشرعي أو يشجعونه؟

أجاب: لم تكن الدولة-أيام الأئمة-تشجع التشجيع الذي يقول عنه أولاد الإمام، ولا كانوا ضد العلم كما يقال الآن كانوا متوسطي؛ بل كانوا منصفين والدليل على إنصافهم أن الإمام رفض منع تدريس كتب السنة واقترح عليه تدريس كتاب من كتب الهادوية مع كتب السنة حتى لا يثير العوام عليه-كما سنذكر ذلك بتوسع في فصل رؤية القاضي العمراني لعهد الأئمة-.

وبعد قيام الجمهورية عمل القاضي العمراني في ديوان المظالم وفي مجلس الشورى؛ فلم يكن يصمت عن باطل أو يسكت عن ظالم بل كان ينصح ويوجه ويعترض في مجلس الشورى ويتصل بالرئيس والمسؤولين لإعاقة أي قرار يخالف شرع الله، ورغم عمله الرسمي منذ عهد الأئمة وبعد قيام الجمهورية وبعد الحرب ودخول الحوثيين صنعاء فقد ظلَّ يدرّس ويفتي ويعيش مع الناس يرد على استفساراتهم وفتاواهم ويوجه وينصح، ورغم أن التدريس في المساجد صار من الأشياء التي اندثرت مع وجود المدارس والجامعات والمعاهد العلمية والمراكز الشرعية إلا أنَّ القاضي العمراني ظلَّ محافظًا على هذه الميزة حيث ظل أثناء إقامته

في صنعاء القديمة يدرس في جامع الفليحي، ثم بعد أن انتقل إلى منزله الجديد ظل في جامع الزبيري يدرس ويفتي حتى وفاته-رحمة الله تغشاه-.

القاضي العمراني موسوعة علمية فهو العالم المجتهد في الفقه والحديث والتاريخ والأنساب واللغة والفتوى وهو الأديب الظريف الذي يحفظ الكثير من الشعر والطرائف والنوادر والملح والذي اطلع على الكثير من الكتب والمجلات والصحف منذ عقود طويلة وراسل هذه الصحف والمجلات وكتب فيها واستغل كل وسائل الإعلام من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون لنشر العلم الشرعي بين الناس.

أحيا الله به السنة في اليمن فعمل على نشر السنة وقمع البدعة ونشر إنتاج العلماء المجتهدين أمثال شيخ الإسلام الشوكاني والعلامة الجلال والعلامة المقبلي وابن الأمير الصنعاني وابن الوزير وغيرهم من العلماء المجتهدين الذين نبذوا التقليد والتعصب المذهبي.

هذا العالم المجتهد نبذ التعصب وأستطاع أن يصبح المرجع الأول لأبناء اليمن من مختلف المذاهب والتوجهات، فلم يجمع الناس في اليمن على عالم منذ وفاة شيخ الإسلام الشوكاني كما أجمعوا على القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-كان فتاواه على جميع المذاهب فلم يتعصب يوما لمذهب وإنما ظل يدعو لجمع الكلمة ووحدة الصف ويدعو للسلام ووقف الحرب ونبذ الحزبية والتصعب.

لقد استفدت كثيرا أثناء تأليفي لهذا الكتاب، قرأت الكثير من المراجع وتعرفت على رأي القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه- في الكثر من القضايا والمسائل، قرأت الكثير من القصص الشيقة التي لم أقرأها من قبل، أطلعت على كم وافر من المعلومات المدهشة والحقائق والمواقف التي كنت أجهلها، لقد أدركت أن كتابة المقالات الصحفية والقصص الأدبية أمر وتأليف الكتب أمر مختلف تمامًا، لقد تعبت ولكنني استفدت، عشت مع القاضي العمراني منذ وفاته إلى حين الدفع بهذا الكتاب للطبع، أقرأ له وعنه وأستمع إلى برامجه في القنوات الفضائية وفي الإذاعة، أقرأ قصصه وأتألم لمعاناته وأندهش من سعة علمه وسمو أخلاقه وشدة تواضعه وأضحك لقصصه الطريفة وأعجب بردوده البديهية الساخرة وأكبر فيه كل هذا الحرص على وحدة الصف وجمع الكلمة وتضييق مواطن الخلاف وتحرره الفقهي والفكري وميله للاجتهاد ونبذه التعصب والتقليد.

كم أدهشتني روحه المرحة المحلقة التي تجسد سمو العظماء وبساطتهم في آن واحد، وكم استصغرت نفسي بجوار هذا الجبل الأشم والعملاق الذي حباه الله همة عالية أحيت أمة ومنحه الله نشاطًا كبيرًا وحرصًا عظيمًا على استثمار الوقت في الجديد والمفيد، وهذا الحرص الكبير على إفادة الناس وتفقيههم أمور دينهم.

القاضي العمراني عالم جليل قمة في التواضع والبساطة واللين واللطف، كل من عرفه من قرب أحبه وتعلق به لصدقه وعفويته وبساطته وروعة حديثه ولذا فقد كان الجلوس معه متعة

لا تضاهيها متعة لجميل حديثه وحلاوة ألفاظه وحسن مفاكهته فهو حين يتحدث يجذب إليه كل حاضر أو مشاهد ومستمع فقد تميَّز بأسلوبه الرائع المتفرد الممزوج بالدعابات الجميلة والقصص المشوقة والأحداث والمواقف التي يرويها فيستفيد كل من يسمعه.

ولذا حين توفى القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-في: الثاني من ذي الحجة 1442هـ، والموافق: 12 يوليو 2021م سار مئات الآلاف من الناس في جنازته بل بعضهم جاء من مناطق بعيدة لكي يشارك في جنازة القاضي العمراني وتحولت كل منازل اليمنيين إلى مجالس للعزاء في وفاته بعد أن أوصى بعدم إقامة قاعة للعزاء في وفاته وصلى أبناء اليمن عليه صلاة الغائب في كافة المساجد في اليمن وفي الخارج أيضًا.

ترجمة القاضي العمراني

ترجم كثيرون للقاضي محمد بن إسماعيل العمراني-رحمة الله تغشاه-فمنهم على سبيل المثال الدكتور عبد الرحمن الأغبري[1] في كتابه: "القاضي محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية"[2] والعلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة[3] في كتابه: "نزهة النظر في أعلام القرن الرابع عشر"[4]، كما وردت له ترجمة في: "موسوعة أعلام اليمن ومؤلفيه"[5] للدكتور عبد الولي

(1) الدكتور عبد الرحمن عبدالله الأغبري: ولد في مديرية حيفان بتعز بتاريخ 1/ 1 / 1963م وعمل في أكثر من جامعة يمنية ويعمل حاليا أستاذا في جامعة أديامان بتركيا وهو أول من ألف كتابا عن القاضي العمراني تحدث فيه عن جهوده العلمية والدعوية وعن أبرز شيوخه وطلابه ورحلته الطويلة في طلب العلم وفي التدريس والإفتاء وغيرها من الجهود، كما تحدث فيه عن مكانته العلمية واختياراته الفقهية.

(2) كتاب: (القاضي محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية) رسالة ماجستير من الخرطوم جمهورية السودان، من إصدارات مكتبة الإرشاد صنعاء الطبعة الأولى 2002م.

(3) المؤرخ محمد بن محمد بن يحيى زبارة الصنعاني، وُلد سنة 1301 هـ، والموافق: 1885م، هو مؤرخ وعالم من صنعاء، تولى مناصب رسمية في عهد الإمام يحيى، وهو صاحب كتابات مرجعية في تاريخ أعلام اليمن، قام بطباعة كتب شيخ الإسلام الشوكاني في مصر وبعض أعلام اليمن، كما قام بنشرها في مصر وغيرها، كان أمير القصر السعيد، وهو مستودع ذخائر ومؤونة الجيش اليمني، كما انتدبه الإمام يحيى في مهام رسمية إلى بعض الدول.

(4) انظر ترجمة القاضي العمراني في كتاب: (نزهة النظر في أعلام القرن الرابع عشر)، للمؤرخ العلامة محمد بن محمد زبارة جـ: 2 صـ: (510 . 511) . مكتبة الإرشاد . صنعاء، الطبعة الأولى 1979م.

(5) موسوعة أعلام اليمن ومؤلفيه للدكتور عبد الولي الشميري، من إصدارات مؤسسة الإبداع صنعاء، طباعة دار المؤلف للطباعة بيروت لبنان 2018م.

الشميري[1]، كما قام الشيخ عبدالله قاسم ذيبان[2] بالترجمة للقاضي العمراني في كتاب: "نيل الأماني من فتاوى القاضي العمراني"[3]، ووردت ترجمة القاضي كذلك في كتاب: "قصص وحكايات من اليمن"[4]، تأليف الدكتور محمد عبدالرحمن غنيم[5]، وترجم له أيضًا بتوسع الشيخ محمد نايف علي الكَريمي[6]، ترجمة مبسوطة في خمسة مجلدات، باسم: قطف الجنى

---

(1) الدكتور عبد الولي عبد الوارث الشميري، مفكر ودبلوماسي يمني من مواليد 1956 في شمير بتعز، عمل مندوبا لليمن في جامعة الدول العربية وسفيرا لليمن في مصر وجزر القمر، وهو رئيس مؤسسة الإبداع بصنعاء ورئيس منتدى المثقف العربي بالقاهرة، له الكثير من الإصدارات أبرزها: موسوعة أعلام اليمن ومؤلفيه.

(2) الشيخ عبد الله قاسم ذيبان، أحد أبرز طلاب القاضي العمراني عمل على جمع فتاوى القاضي العمراني الإذاعية وأصدرها في كتاب: (نيل الأماني من فتاوى القاضي العمراني)، له كتب أخرى منها: (البيان المقنع في إبطال حجة التشيع)، وكتاب: (تحريم اختلاط المرأة بالرجال في المؤسسات العامة).

(3) انظر: نيل الأماني في فتاوى القاضي العمراني، من إصدارات مكتبة الإرشاد بصنعاء، الطبعة الأولى، عام 2009م.

(4) انظر: قصص وحكايات من اليمن، تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن غنيم، طبعة دار الإيمان الإسكندرية، الطبعة الثانية 2013م.

(5) الدكتور محمد عبد الرحمن غنيم طبيب وعالم مصري من مواليد الزقازيق بمصر تتلمذ لسنوات على يد القاضي العمراني وعمل بالتدريس في مركز الدعوة العلمي بصنعاء عمل على جمع مؤلفات القاضي العمراني وإصدارها وله جهود علمية معروفة وقناة لتفسير الأحلام ومن مشايخه الدكتور علي السالوس والدكتور وهبة الزحيلي ورئيس أنصار السنة العلامة صفوت نور الدين والعلامة اللغوي محمد محمود شاهين، من إصداراته: (قصص وحكايات من اليمن)، و: (200 رؤية ورؤية، أغرب وأظرف الرؤى والاحلام) وغيرها، انظر: الوجيز من سيرة فقيد أهل اليمن العزيز، للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صفحة: (819).

(6) الشيخ محمد نايف علي الكريمي، مؤرخ، من مشايخ قرية سَاك، مديرية خارف، قبيلة حاشد، محافظة عمران، درس الدراسة النظامية حتى الماجستير، عام: (2020م)، وتتلمذ على بعض علماء صنعاء، واهتم بتراث علماء اليمن المجتهدين، وألف موسوعة: السمط الحاوي لسلسلة دراسات وأبحاث في تراث الإمام محمد بن علي الشوكاني، وشارك في عدة مؤتمرات علمية داخل اليمن، وخارجها، منها مؤتمر القراءات القرآنية بجامعة القرآن الكريم في حضرموت، ببحث: المقرئ محمد بن علي الأكوع وجهوده في الإقراء والتأليف، ومؤتمر الإمام عمر الخيام في الفلك الشرعي، بستة أبحاث طبعت باسم: المجموعة الفلكية اليمنية الأولى، وله غير هذه المؤلفات، والتحقيقات.

الداني من سيرة القاضي العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل العمراني[1]، ونشرها قبل وفاة القاضي العمراني بعام، ثم اختصرها إلى مجلدين باسم: الوسيط، ثم اختصرها أيضًا في مجلد واحد، بلغ: (1104) صفحة، باسم: الوجيز من سيرة فقيد أهل اليمن العزيز، وهو أحد المراجع المهمة هذا الكتاب.

وفي كتاب: (سفينة القاضي العمراني)،[2] إعداد السفير عبد الرزاق العمراني-نجل القاضي العمراني-وردت ترجمة القاضي نقلا عن كتاب: (العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته وجهوده العلمية)، للدكتور عبد الرحمن الأغبري؛ فقد تحرج السفير عبد الرزاق من الترجمة لأبيه وهو شخصية علمية وفقهية معروفة خاصة بعد أن طلب منه تواضعًا منه أن يبتعد عن الإطراء والثناء والمديح في الترجمة في كتاب السفينة؛ ولذا فقد اعتمد السفير عبد الرزاق على الترجمة التي وردت في كتاب (القاضي محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية) للدكتور عبد الرحمن الأغبري.

يقول الدكتور عبد الرحمن الأغبري هو :(أبو عبد الرحمن القاضي العلامة الفقيه المفتي ناصر السنة، وقامع البدعة صاحب

---

(1) جعلها في عشرة فصول-بعد المقدمات-الأول في ترجمة القاضي العمراني وأعلام أسرته، والثاني: في نشأته وطلبه للعلم، والثالث: في تراجم موسعة لمشايخه، والرابع: في إجازاته وأسانيده، والخامس: في مؤلفاته وما أُلِّف له، والسادس: في التعريف بالأماكن التي درس، أو درَّس فيها، والسابع: في 13 مبحثًا متعلقًا بسيرته، وعلمه، والثامن: في تراجم موسعة لجملة واسعة من تلاميذه، والتاسع: في مجموعة فوائد علمية مروية عنه، والعاشر: في وفاته، ومرثياته.

(2) انظر كتاب: (سفينة العمراني لطائف ومعارف)، إعداد السفير عبد الرزاق العمراني مما سمعه وتلقاه عن والده القاضي العمراني . دار النشر صنعاء طبعة 2013م.

التحقيق في العلوم والتدقيق في الرسوم، المشتغل بالعلم والتعليم طوال حياته: محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شايع العمراني اللقب، الصنعاني المولد والنشأة)[1]، كان مولده في: الثاني عشر من ربيع أول سنة 1340هجرية، والموافق الثاني عشر من شهر نوفمبر 1921ميلادية.

لقبه: اشتهر القاضي محمد بن إسماعيل بالعمراني مع أنه ولد ونشأ وتربى وتعلم في صنعاء، وسبب اشتهار لقبه بـ (العمراني) أن أصل أسرته من مدينة عمران[2]، وأول من انتقل من أسرته إلى صنعاء واستوطنها هو جده القاضي علي بن حسين بن صالح بن شائع العمراني[3]، في عهد الإمام المنصور حسين: (1139 –1161) هجرية، وعلي بن حسين العمراني هو أول من قرأ العلم في هذه الأسرة.

وصارت كلمة العمراني علما ولقبا له ولذريته إلى يومنا هذا، فهم منذ مدة يعدون من أهل صنعاء.[4]

وأسرة القاضي العمراني اشتهرت بالعلم والقضاء وقد ترجم لبعض أعلام أسرة العمراني شيخ الإسلام الشوكاني في

---

(1) انظر: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية) للدكتور عبد الرحمن الأغبري صد: 141.

(2) عمران: مدينة تقع في شمالي العاصمة اليمنية صنعاء وتبعد عنها بحوالي 50 كيلو وهي الآن مركز محافظة عمران، انظر المركز الوطني للمعلومات ـ اليمن.

(3) ترجم له ولده محمد بن علي بن حسين العمراني في: "اتحاف النبيه بتاريخ القاسم وبنيه" صـ: 98، إصدارات مؤسس الإمام زيد بن علي، وتوجد النسخة الأصلية من الكتاب بمكتبة القاضي العمراني، وترجم له الدكتور عبد الرحمن الأغبري في كتابه: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني وجهوده العلمية والدعوية) صد 146.

(4) انظر: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية)، للدكتور الأغبري، مرجع سابق، صد: 143.

(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) وترجم لهم العلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة في كتابه: (نزهة النظر بأعلام القرن الرابع عشر)، وفي كتابه: (نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر)، وترجم لهم خير الدين الزركلي في (الأعلام) والعلامة محمد بن الحسن الشجني في كتابه: (التقصار في جيد زمان علامة الإقليم والأمصار)، والعلامة عاكش الضمدي في: (حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر)، و: (الدكتور محمد عبد الرحمن غنيم في نهاية كتابه (قصص وحكايات من اليمن)، والشيخ محمد نايف الكريمي في الفصل الأول من كتابه الوجيز، كما ترجم السفير عبد الرزاق العمراني في كتاب (سفينة العمراني) لعدد كبير من أسرة العمراني من العلماء والقضاة والفضلاء، وهم كثر ولهم جهود كبيرة في العلم والأدب والقضاء والدبلوماسية والتدريس الأكاديمي وغيرها من المجالات الهامة.

وهذه ترجمة مختصرة لأولاد القاضي العمراني:

الدكتور عبد الرحمن العمراني ولد عام 1949م وتخرج من جامعة بغداد وحصل على الماجستير من جامعة السوربون في باريس وعلى الدكتوراه من جامعة القاهرة وهو أكاديمي أديب له ديوان شعر بعنوان "غريب من اليمن " وكتب أخرى أدبية منها كتاب (الزبيري أديب اليمن الثائر)، وقد توفي في 1 مارس آذار 2021م-رحمه الله-

الدكتور عبد الغني العمراني من مواليد 1954م حاصل على شهادة دكتوراه من الجامعة الأردنية في عمان عمل في المجال

التربوي في المدارس والمعاهد والجامعات ويعمل حاليًا أستاذًا في جامعة العلوم والتكنولوجيا وعميدًا لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية فيها وله كتب عديدة منها: "دليل الدارس إلى إعداد البحث العلمي" و "أصول التربية" و"أساسيات البحث التربوي" وغيرها.

الأستاذ عبد الملك العمراني من مواليد 1957م حصل على بكالوريوس علوم سياسية من كلية التجارة بجامعة صنعاء ودرجة ماجستير في العلوم السياسية من السودان وعمل في مكتب رئاسة الجمهورية لفترة ثم تفرغ للتجارة.

السفير عبد الوهاب العمراني من مواليد عام 1958م حاصل على بكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة بغداد بالعراق ودبلوم عال في السياسية الدولية، التحق بالعمل الدبلوماسي سنة 1984م وعمل بوزارة الخارجية اليمنية وفي عدة سفارات يمنية بالخارج، له كتاب شهير في أدب الرحلات بعنوان: "رؤية يمنية في أدب الرحلات" وهو نتاج عشرات الرحلات التي قام بها إلى شتى البلدان، وله كتاب بعنوان: "الاتحاد الأوربي والعلاقات اليمنية الأوربية" وهو كاتب تحليلات سياسية وفكرية متمكن وباحث رصين، ورحالة طاف عشرات البلدان وكتب عنها.

السفير عبد الرزاق العمراني من مواليد عام 1965م، حصل على بكالوريوس إدارة من جامعة صنعاء، التحق بالعمل الدبلوماسي عام 1988م في ديوان وزارة الخارجية وفي عدة سفارات يمنية في الخارج، في: (باريس، وفينا، وفي براغ، وعمان)،

شغل فيها منصب القنصل والقائم بالأعمال، له عدة كتب ودراسات منها كتابه الأشهر: (سفينة العمراني معارف ولطائف) مما سمعه وتلقاه عن والده القاضي العمراني والذي أجازه إجازة علمية فيما قرأه عليه وكتابه: (السفينة) استقينا منه هذه المعلومات عن أولاد القاضي العمراني بصفته أحدهم والأعلم بهم من غيره وجزاه الله كل خير على كتابه الممتع الشيق وعلى جمعه للفوائد المتفرقة التي كتبها القاضي العمراني والتي سمعها منه.

1- وللقاضي العمراني أربع بنات هن: عائشة وبلقيس وأروى وسعاد وجميع أولاد القاضي العمراني من زوجته الفاضلة لطيفة بنت محمد الهبل رحمة الله تغشاها.

وقد تزوج القاضي العمراني بعد وفاة زوجته الأولى من السيدة الفاضلة أمة الملك أحمد المطاع، وقد سُئل القاضي العمراني في برنامج تلفزيوني عن عدد زوجاته فاستغرب من هذا السؤال، ثم أكد أنه متزوج بامرأة واحدة.

البداية العلمية للقاضي العمراني

وردت سيرة القاضي العمراني من مصادر عديدة وكتب الكثيرون من طلابه عن بدايته العلمية، كما كتبوا ملامح من سيرته الذاتية ولكني سأورد هنا البداية العلمية للقاضي العمراني والتي رواها القاضي العمراني بنفسه لي[1]؛ حيث سألت فضيلته: هل لكم أن تعطوا القارئ نبذة عن سيرتكم الذاتية؟ وكيف كانت البداية العلمية لكم؟

قال القاضي العمراني رحمة الله تغشاه: (ولدت في صنعاء في حارة العلمي في بيتي الذي لا يزال بيتي إلى الآن في عام: 1340هـ، الموافق: 1922م، ومات والدي وعمري أربع سنين، وكفلتني أمي، ثم دخلت المدرسة الابتدائية ودرست القرآن الكريم، وأخذت شهادتين: شهادة من مدرسة الفليحي، وشهادة من مدرسة الإصلاح، ثم أخذت بعد ذلك أدرس في الجامع الكبير، وقرأت المتون كمتن الأزهار، ومتن الكافي في الأصول، وملحة الإعراب، وألفية ابن مالك، وغير ذلك، ثم درست على يد جماعة من علماء اليمن كثيرين كالسيد عبد الكريم بن إبراهيم الأمير[2] الذي كان

---

(1) نشرت المقابلة كاملة في صحيفة: " صوت الإيمان "، شهر مايو، 2010م، حين كنت أعمل مديرًا لها، وتناقلتها العديد من المواقع الإخبارية وسيأتي على ذكرها في باب: (لقائي بالقاضي العمراني) وهذا رابط لها نقلا عن المصدر أونلاين:

https://almasdaronline.com/article/9334

(2) هو العلامة عبد الكريم بن إبراهيم بن حسين بن علي بن يوسف الأمير الأديب والشاعر وقد ولد بصنعاء في العام 1330هجرية وأخذ عن عمه العلامة عبد الخالق=

يحرر جريدة الإيمان، والسيد عبد الخالق الأمير[1]، وقرأت أيضًا على القاضي عبد الله الجرافي[2]، والقاضي عبد الله السرحي[3]،

=الأمير علوم العربية والحديث والفقه وأخذ عن غيره من العلماء حتى صار من العلماء المبرزين في مختلف العلوم وقد عهد إليه رئاسة تحرير جريدة " الإيمان " التي كانت تصدر أيام الإمام وقد أخذ عليه القاضي العمراني العديد المختصرات العلمية مثل : متن الأزهار ومتن الكافل ومتن الألفية وملحة الإعراب للفاكهي، وشرح قواعد الإعراب للأزهري، وشرح ابن عقيل على الألفية وقد توفي عام 1421هـ الموافق نوفمبر 2000م.

(1) السيد العلامة عبد الخالق بن حسين الأمير ولد في صنعاء في عام: 1313، الموافق: يناير 1895م، ودرس على أيدي كبار العلماء فيها حتى برع في اللغة والفقه والأصول وتوفي فيها في عام: 1370هـ، الموافق 1951م، كان من العلماء المعروفين في صنعاء، وقد درَّس في المدرسة العلمية بصنعاء، وفي مسجد الفليحي، وعمل في هيئة الأوقاف، وقد قرأ عليه القاضي العمراني الروض النضير وكتاب صحيح مسلم وكتاب شرح الأزهار، وترجم له الدكتور عبد الولي الشميري في موسوعة أعلام اليمن، كما ترجم له المؤرخ العلامة محمد بن محمد زبارة في نزهة النظر بأعلام القرن الرابع عشر، والشيخ محمد نايف الكريمي في الوجيز، مرجع سابق، صـ: (134).

(2) هو القاضي العلامة عبد الله بن عبد الكريم بن محمد الجرافي ولد في صنعاء في شهر صفر 1319هـ، الموافق: 1901م، ودرس على أيدي مجموعة من أكابر علماء اليمن أمثال العلامة: حسين بن محمد أبو طالب، والقاضي علي بن حسين المغربي، والسيد العلامة أحمد بن علي الكحلاني، وشيخ الإسلام القاضي علي بن علي اليماني وغيرهم حتى صار من العماء الكبار اشتغل بالتدريس والتأليف وكان أحد أعضاء لجنة كتابة تاريخ اليمن أيام الإمام يحي حميد الدين وسافر إلى مصر وعمل على طباعة بعض المؤلفات اليمنية هناك أمثال كتاب: "شمس العلوم" لنشوان الحميري وغيره، وهو مؤلف كتاب: "المقتطف في تاريخ اليمن"، وقد توفي سنة 1387هـ وقد قرأ عليه القاضي العمراني موطأ الإمام مالك وكتاب (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار)، و:(سنن النسائي)، وأجزاء من كتاب: (سبل السلام شرح بلوغ المرام) وأجزاء من كتاب: (نيل الأوطار) للشوكاني، وقد أجاز القاضي العمراني إجازة عامة في جميع ما قرأ عليه وقد توفي في 1397هـ الموافق 1977م، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صـ: (146).

(3) القاضي عبد الله بن محمد السرحي، ولد بصنعاء عام: 1318هـ الموافق: 1901م، ودرس على يدي مجموعة من كبار علماء صنعاء حتى برع في مختلف العلوم وانشغل بالتدريس في مدرسة دار العلوم في جوامع صنعاء القديمة وعمل في القضاء عضوًا في محكمة الاستئناف بصنعاء، وكان المشرف على أول بعثة طلابية خرجت من اليمن إلى العراق عام 1355هـ وذلك بتكليف من الإمام يحيى، وقد قرأ عليه القاضي العمراني بعض من كتاب تفسير الكشاف للزمخشري وقد توفي في العام 1409هـ الموافق 1989م، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صـ: (153).

وعلى القاضي أحمد الكحلاني[1]، والقاضي حسن المغربي[2]، والقاضي يحيى بن محمد الإرياني[3] والد القاضي عبد الرحمن الإرياني الذي كان رئيسًا للجمهورية، والقاضي علي بن عبد الله الآنسي[4]، وجماعة من علماء صنعاء كالقاضي عبد الوهاب الشماحي[5] أكبر علماء اليمن في المذهب الزيدي، ثم بعد ذلك

---

(1) القاضي العلامة أحمد بن علي الكحلاني، ولد في صنعاء عام 1308هـ الموافق 1891م ونشأ بها وطلب العلم على أيدي نخبة من كبار العلماء منهم: العلامة علي بن علي اليماني والعلامة علي حسين المغربي والعلامة الحسين علي العمري حتى تميز وبرع في علوم اللغة والفقه والأصول وانشغل بالتدريس والقضاء وقرأ عليه القاضي العمراني في شرح الأزهار وشرح غاية السؤال وفي الكشاف وبعض سنن أبي داود، توفي عام 1386هـ الموافق 1966، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، صـ: (100).

(2) العلامة حسن بن علي المغربي، ولد في صنعاء عام: 1308هـ، الموافق: 1890م ونشأ بها وأخذ العلم عن والده العلامة علي بن حسين المغربي وعن العديد من كبار علماء صنعاء أمثال العلامة الحسين بن علي العمري والعلامة علي بن علي اليماني والعلامة زيد بن علي الديلمي وغيرهم حتى برع في مختلف العلوم وعمل في التدريس والقضاء وأخذ عليه القاضي العمراني في علم الفرائض وبعضًا من كتاب أصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان والبيان لابن مظفر وغيرها من الكتب، وقد توفي عام 1410هـ، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صـ: (113).

(3) القاضي العلامة يحي بن محمد الإرياني، ولد في منطقة إريان التابعة لمديرية القفر في جمادي الأولى سنة 1299هـ ونشأ بها ودرس على أبيه محمد بن عبد الله وأعمامه الحسين بن عبد الله وعلي بن عبد الله كما تلقى العلم على يد القاضي العلامة إسماعيل بن عبد الله العنسي الذماري حتى تفوق في العلوم، عمل في التدريس وفي عضوية ثم رئاسة محكمة الاستئناف بصنعاء أيام الأئمة وهو شاعر مبدع، وهو والد رئيس الجمهورية الأسبق القاضي عبد الرحمن الإرياني رحمهم الله وقد قرأ عليه القاضي العمراني الروض النضير وفي سنن أبي داود وفي البحر الزخار وبعضًا من الكشاف وبعضًا من شرح الغاية وبعضًا من كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، وتوفي سنة 1362هـ، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صـ: (234).

(4) القاضي علي عبد الله الآنسي، ولد في ذي العتر بعمران عام: 1300هـ، الموافق: 1883م، ثم انتقل بعد ذلك إلى شهارة ودرس على أيدي مشايخها حتى صار من العلماء الكبار وقام بالتدريس والإفتاء وتولى القضاء في قاع البون من مناطق عمران الآن ثم في محكمة الاستئناف بصنعاء، وقد أخذ عليه القاضي العمراني في علم الفرائض وتوفي عام 1377هـ الموافق عام 1958م، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صـ: (169).

(5) القاضي عبد الوهاب الشماحي، ولد في مدينة شهارة من محافظة عمران عام 1289هـ الموافق 1872م أخذ العلم على أيدي مجموعة من مشايخ الأهنوم وشهارة=

طُلبت لتدريس في المدرسة العلمية: "دار العلوم"، بصنعاء وعمري خمسة وعشرين عامًا، أي: قبل ستين عامًا، وأجازني بالتدريس عدد من العلماء أولهم:

الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي[1]، مؤلف كتاب: (الدر الفريد في مجمع الأسانيد)، كما أجازني القاضي عبد الله حميد[2]، والقاضي عبد الله السرحي، كما أجازني العلامة قاسم بن إبراهيم[3]، وأسانيدي إلى الشوكاني كالآتي: بيني وبين الشوكاني ثلاثة أشخاص فقط في عدة أسانيد فأنا أروي عن السيد العلامة

=وصنعاء حتى برع في الفقه والأصول وعلوم العربية، تولى أعمال شهارة ثم انصرف للتدريس فيها، وفي المدرسة الشمسية بذمار ثم درس بالمدرسة العلمية بذمار ثم تولى تدريس بعض أولاد الإمام يحيى ثم درس في جوامع صنعاء كالجامع الكبير وجامع الروضة، أخذ عليه القاضي العمراني بعض كتاب شرح الأزهار قبيل وفاته، وتوفي عام 1357هـ، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صـ: (165).

(1) الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي ولد في صنعاء عام 1295هـ الموافق 1878م ونشأ بها وتلقى علومه في صنعاء على أيدي بعض مشايخها ثم رحل إلى مكة ودرس على بعض علمائها ثم قام برحلات كثيرة إلى الهند والعراق ومصر والشام وغيرها وله حواشي وتعقيبات على كتب بعض العلماء وله مؤلفات علمية وتاريخية عديدة منها: (تهذيب العقول في علم الأصول) ومن أشهر مؤلفاته العلمية كتاب: (الدر الفريد في مجمع الأسانيد)، وقد قرأ عليه القاضي العمراني كتابه: "العقد الفريد في مجمع الأسانيد" وأجازه فيه وقد توفي عام 1379هـ الموافق 1960م، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صـ: (159).

(2) القاضي عبد الله بن عبد الرحمن حميد، ولد في صنعاء عام: 1328هـ، الموافق: 1910م، نشأ في صنعاء وحفظ القرآن ودرس على أيدي مشايخ صنعاء حتى برع في الفقه والقضاء والحديث واللغة، وكان ممن درس على يديه القاضي العمراني في جامع الفليحي؛ حيث قرأ عليه شرح ابن عقيل وشرح الجوهر المكنون وشرح الكافل في الأصول وبعض من شرح متن الأزهار وغيرها، وتوفي عام 1391هـ، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صـ: (144).

(3) العلامة قاسم بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم، يصل نسبه إلى الإمام المنصور القاسم بن محمد، ولد في قرية القابل بضواحي صنعاء عام: 1313هـ الموافق: 1896م، ودرس على أيدي علماء صنعاء حتى أجاد علوم الفقه والأصول والعربية، وعمل في القضاء والتدريس بصنعاء واستجازه القاضي العمراني فأجازه، وقد توفي عام: 1406هـ، الموافق: 1986م، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صـ: (177).

قاسم بن إبراهيم، عن القاضي إسحاق المجاهد[1]، عن القاضي محمد بن محمد العمراني[2]، عن شيخ الإسلام الشوكاني فجميع الطرق كلها بيني وبين الشوكاني ثلاثة من العلماء.

ويتحدث القاضي العمراني عن بدايته العلمية وكيف نشطت همته لطلب العلم: (طالما تردد إلى سمعي من كبار السن من القضاة والعلماء عبارة توبيخية: أنت ابن القاضي إسماعيل ابن القاضي محمد...)، لقد كان جدك من كبار علماء صنعاء، وكذلك جد أبيك، وكأنهم يستجيشونني ويحفزوني واللحاق بركب العلماء.

ومن هنا تاقت نفسي للعلم، فكان مني الجد والمثابرة على العلم منذ البدايات فبادرت للدخول في مدرسة الفليحي الابتدائية وأنا في التاسعة من عمري.

وللعلامة القاضي محمد بن علي بن العمراني الجد الأعلى للقاضي العمراني-والد جده-قصة يرويها الشيخ عامر الخميسي[3] أحد طلاب القاضي العمراني فيقول: (العلامة الشهيد القاضي

---

(1) القاضي إسحاق بن عبد الله بن أحمد المجاهد الصنعاني ولد بصنعاء 1280 هـ تقريبا ودرس على أيدي كبار علمائها تولى أعمال مناطق سنحان بأمر من الإمام يحي حميد الدين وعمل في مجال القضاء والتدريس، انتقل إلى هجرة كحلان وبقي هناك إلى أن توفي عام 1338هـ . انظر ترجمته في كتاب:(نزهة النظر برجال القرن الرابع عشر) للعلامة المؤرخ محمد زبارة صـ 184.

(2) القاضي محمد بن محمد العمراني ولد في صنعاء 1220 هـ ونشأ بكنف والده العلامة محمد بن علي العمراني وأخذ عنه كتب سنن الحديث ومستدرك الحاكم والدراقطني والكشاف وحواشيه وتتلمذ على شيخ الإسلام الشوكاني وأخذ عن بعض علماء زبيد ولما استشهد والده بزبيد رحل إلى مكة وظل هناك لسنوات يتلقى العلم ثم عاد إلى صنعاء وقد برع في علوم كثيرة وظل بها يعمل بالقضاء والتدريس حتى توفي عام 1302هـ، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صد: (36).

(3) . انظر: دراسة بعنوان: النبوغ والنجومية في حياة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني للشيخ عامر الخميسي في شبكة الألوكة على هذا الرابط:

https://www.alukah.net/sharia/0/149348/#ixzz7750ckIQ.

محمد بن علي بن العمراني من أنبل تلاميذ القاضي الشوكاني، ولم يأتِ محدث في الديار اليمنية بعد عبدالرزاق الصنعاني مثله، وقد فاق أقرانه وعلماء زمانه في الحديث، وقل نظيره في من تقدمه بقرون، وقد قرأ الأمهات الست على الشيخ الشوكاني، ثم تبحر فيها حتى كان يعتمد عليه الإمام الشوكاني في تخريج الأحاديث ونسبتها، وكان لا يُقدم أحدًا عليه من محدثي زمانه، بل كان القاضي الشوكاني يعتبره من أقرانه لا من طلابه ويثني عليه ثناء بالغًا، وذكر القاضي الشوكاني في البدر الطالع أن هذا الإمام شرح سنن ابن ماجه في كتاب سماه" عجالة ذوي الحاجة بشرح سنن ابن ماجه"، جعله أولًا كالتخريج ثمَّ جاوز ذلك إلى شرح الكتاب، وكان من أمره أنه أفتى بفتاوى أغضبت أئمة صنعاء -وهذا بعد وفاة القاضي الشوكاني- فامتُحن بسبب هذه الفتاوى، وسُجن، ثم خرج من السجن، ثم طلبوه ليقتلوه، فرحل إلى زبيد متخفيًا هاربًا من القتل، فاستقبله علماؤها بالترحيب وعقدوا له مجالس للتدريس، ثم رحل إلى "أبي عريش" واشتهرت عنه عبارة: "إني لأعد رجال الأمهات الست كما أعد أصابع يدي"، فاستفادوا منه في شروح أمهات كتب الحديث، وكان لا يبارى ولا يجارى، بل عده بعضهم في منزلة ابن حجر، ثم عاد إلى زبيد، وكان استشهاده فيها، ولا زال قبره إلى الآن خارجها، وكثيرًا ما يسأل القاضي القادمين من زبيد عن اسم تلك المقبرة خارج زبيد ويقول لهم: "جدي مدفون هناك"-رفع الله منزلته في عليين، وكتبه من

الشهداء وألحقه بالصالحين-وقد كان استشهاده بعد وفاة القاضي الشوكاني بخمس عشرة سنة تقريبًا.

كما كان لكتب شيخ الإسلام الشوكاني أيضا دور في تحفيز العلامة العمراني لطلب العلم حيث يقول: (طالعت كتب التراجم والتواريخ وأنا في بداية طلبي للعلم، وأول كتاب قرأته هو كتاب البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)[1]، فتشوقت لطلب العلم كثيرًا بعد مطالعتي لهذا الكتاب، لأكون مثل العلامة محمد بن إبراهيم الوزير[2]، أو العلامة محمد بن إسماعيل الأمير[3]، أو

---

(1) انظر الوجيز، للشيخ محمد نايف الكريمي، مرجع سابق، صـ: (82).

(2) العلامة محمد بن ابراهيم الوزير إمام المجتهدين ولد في هجرة الظهراوين بشظب بهمدان شمالي غرب صنعاء عام: 775هـ، مجدد زمانه، حامل لواء محاربة التقليد ولد في وقال عنه شيخ الإسلام الشوكاني: "إنه ممن يقصر القلم عن التعريف بحاله، وكيف يمكن شرح حال من يزاحم أئمة المذاهب الأربعة فمن بعدهم من الأئمة المجتهدين في اجتهاداتهم، ويضايق أئمة الأشعرية والمعتزلة في مقالاتهم، ويتكلم في الحديث بكلام أئمته المعتبرين مع إحاطته بحفظ غالب المتون، ومعرفة رجال الأسانيد شخصًا وحالًا وزمانًا ومكانًا، وتبحره في جميع العلوم العقلية والنقلية على حد يقصر عنه الوصف". قرأ على أكابر علماء صنعاء ومكة حتى برع في مختلف العلوم الشرعية وحمل لواء الاجتهاد وألف المؤلفات العظيمة والشهيرة مثل: (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) و: (إيثار الحق على الخلق) و (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان)، وغيرها وقد ترجم له الكثير من العلماء والباحثين، والمؤرخين وقد توفي عام: 840هـ، بمرض الطاعون ودفن بجوار مسجد فروة بن مسيك بحي شعوب بصنعاء.

(3) العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، أحد برز أئمة الاجتهاد في اليمن وُلد بمدينة كحلان قرب صنعاء عام 1099هـ الموافق 1687م، ثم انتقل إلى صنعاء وله إحدى عشرة سنة ودرس على أيدي علماء صنعاء ترجم له شيخ الإسلام الشوكاني في البدر الطالع فقال: (هو الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف أخذ عن علماء صنعاء كالسيد العلامة زيد بن محمد بن الحسن والسيد العلامة صلاح بن الحسين الأخفش والسيد العلامة عبد الله بن علي الوزير والقاضي العلامة علي بن محمد العنسي ورحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران وتفرد برئاسة العلم في صنعاء وتظهر بالاجتهاد". وله مع السلطات والمتعصبين محن وقصص تعرض لها، واشتغل بالتدريس والتأليف والإفتاء، وله الكثير من المؤلفات، منها: (سبل السلام شرح بلوغ المرام)، و: (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد)، توفي عام 1182هـ الموافق 1768م.

جدي محمد بن علي العمراني[1]، أو العلامة ابن تيمية الحراني، أو العلامة جلال الدين السيوطي..

ويضيف القاضي العمراني: (كنت أدرس بعد الفجر في مسجد خضر، وبعد الشروق في مسجد الفليحي، أو في مسجد قبة المهدي، وقبل المغرب في مسجد الوشلي وبين العشاءين في مسجد الفليحي)[2]، ثم أخذت القرآن الكريم على الأستاذ محمد النعماني، وغيره، وجودته على السيد محمد المؤيدي، والأستاذ محمد حمزة، والأستاذ لطف العطاب، وعن الأخيرين تعلمت إلى جانب فن التجويد مختصرات من العلوم الدينية ممثلة في منهج مدرسة الفليحي الابتدائية وهي: الأخلاق، والنحو، والخط، والإنشاء، والحساب، والهندسة، والجغرافية، والصحة؛ حتى أخذت في ذلك شهادة، ثم انتقلت بعدها إلى مدرسة الإصلاح في اليوم الذي افتتحت فيه.[3]

---

(1) العلامة محمد بن علي بن حسين العمراني، ولد عام 1194هـ في صنعاء ودرس علي أيدي علمائها الكبار حتى برع في العلوم وصار من المجتهدين، وترجم له شيخ الإسلام الشوكاني في البدر الطالع وأشاد به كثيرا فقال عنه: (برع في العلوم الاجتهادية وصار ممن يعمل بالدليل ولا يعرج على القال والقيل، وبلغ في المعارف إلى مكان جليل، وقد أخذ عني من جملة الطلبة، وهو قوي الذهن سريع الفهم جيد الإدراك ثاقب النظر يقل وجوده في هذا العصر..)، له كتاب في سنن ابن ماجة وقد استشهد في هجوم إسماعيلية قبيلة يام بنجران على مدينة زبيد بالحديدة عام 1264هـ الموافق 1848م، وقد وروى قصته كاملة السفير عبد الرزاق العمراني في كتابه: (سفينة العمراني . معارف ولطائف)، صـ 350 إلى صـ 357.

(2) انظر كتاب: (مسائل جبران سحاري وأجوبة القاضي العمراني؛ خمسون مسألة عرضت عليه في جامع الزبيري)، صـ 72.

(3) كانت مدرسة الإصلاح في ميدان التحرير حاليا بالعاصمة صنعاء وقد أصبحت مقرًا لوزارة التربية والتعليم ثم مقرًا لهيئة مكافحة الفساد والأساتذة: محمد النعماني ومحمد المؤيدي ومحمد حمزة، ولطف العطاب هم مدرسي مدرسة الإصلاح رحمهم الله ولم أجد ترجمة إلا للأستاذ محمد النعماني الذي ولد بصنعاء عام 1324هـ ونشأ بها وحفظ=

ويواصل القاضي العمراني حديثه: (في مدرسة الإصلاح أخذت ما تقدم ذكره من المختصرات الابتدائية، ولكنها كانت أرقى وأرفع من الأولى، وذلك عند الأستاذ غالب الحرازي، وعلى رأس السنة من دخولي هذه المدرسة كان خروجي منها بشهادة أعلى من الأولى وكانت هذه الشهادة التي حزتها مع زملائي في هذه المدرسة أول شهادات أعطيت لخريجيها، فكانت فيها أول دفعة تخرجت).

ويضيف القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-: (لقد قرأت أثناء دراستي في مدرسة الفليحي في مدرسة بير العزب وبير الشمس عند الأستاذ غالب الحرازي[1]، وفي مدرسة الروضة عند الأستاذ الحسن بن ابراهيم، وعندما بلغت الرابعة عشر من عمري سنة 1354هـ انتقلت إلى الجامع الكبير بصنعاء، ومسجد الفليحي، فجودت القرآن على المقرئ محمد بن اسحاق، والفقيه المراصبي، والعلامة الضرير الكبسي والفقيه حسين الأكوع، والسيد محمد

=القرآن والكثير من الأدب وكان من أشهر معلمي القرآن بصنعاء وكان يحضر مجالس العلم وأستفاد منها وتوظف في وزارة التربية والتعليم وكان صديقًا للقاضي العمراني وشيخه في أيام الدراسة الابتدائية وعاد للدراسة على يديه فدرس عليه شرح البخاري ومسلم وشرح العمدة وغيرها وترجم له: زبارة في "نزهة النظر" وعبد الرزاق العمراني في: "سفينة العمراني معارف ولطائف"، وقد توفي في: 9 ربيع أول 1407هـ، الموافق: 1987م، كما في الوجيز للشيخ محمد نايف الكريمي، مرجع سابق، صـ: (210).

(1) الأستاذ غالب الحرازي، أحد مدرسي القاضي العمراني في مدرسة الفليحي، يقول عنه القاضي العمراني: (درست على يديه في مدرسة الإصلاح الابتدائية، ومدرسة بير العزب وأنا في التاسعة من عمري وفي العاشرة والحادية عشر من عمري، ثم بعد ذلك رجع يدرس عندي لأنه كان يسكن في حارة قرب حارة الفليحي، فكان يصلي في جامع الفليحي ويحضر عندي من جملة الطلبة، إلا أنه لا يحضر معه كتابًا مثل بقية الطلبة، وبقي على هذا مدة طويلة)، انظر: صفحات من حياتي، مقابلة القاضي العمراني في قناة المجد الفضائية.

حميد الدين، وصار في الجامع الكبير ومسجد الفليحي وغيرهما من المساجد متنقلا بحثًا عن العلم وعن مشايخ العلم، فكان ينتقل من مسجد إلى آخر فكان يصلي الفجر في مسجد العلمي ثم ينتقل إلى مسجد خضير يدرس في كتاب الكشاف على يد القاضي عبد الله السرحي، ثم بعد شروق الشمس يتوجه إلى مسجد الفليحي وأحيانًا إلى مسجد طلحة، ويضيف القاضي: (قرأت على يدي مشايخي المتون كمتن الأزهار في الفقه الهادوي، ومتن الكافل في الأصول، وملحة الإعراب وألفية ابن مالك).[1] ويضيف القاضي العمراني: (كما أخذت على السيد عبدالكريم الأمير في شرح القواعد، وشرح الفاكهي على ملحة الإعراب، وشرح قطر الندى في النحو، وشرح السعد للتفتازاني في علم المعاني والبيان والبديع وغيره، وأخذت على الصفي أحمد بن محمد السنيدار[2] في مفهوم ومنطوق بعض متن الأزهار، وفي صحيفة علي بن موسى الرضا، وأخذت على العلّامة العزي البهلولي[3] في شرح الجوهر المكنون في

---

(1) انظر: (سفينة العمراني معارف ولطائف)، صـ: 27.

(2) العلامة أحمد بن محمد السنيدار، ولد في صنعاء وعاش بها ودرس على أيدي علمائها حتى أجاد الفقه والأصول واللغة واشتغل بالتدريس بالجامع الكبير، قرأ عليه القاضي العمراني في مفهوم ومنطوق بعض متن الازهار وفي صحيفة علي بن موسى الرضي، انظر الوجيز للشيخ محمد نايف الكريمي، مرجع سابق، صـ: (107).

(3) العلامة محمد صالح البهلولي، ولد عام 1324هـ في بيت وتر ببني بهلول بضواحي صنعاء ثم هاجر إلى صنعاء ودرس في مدرسة العلوم وعلى أيدي كبار علمائها حتى تفوق في الفقه وعلوم اللغة واشتغل بالتدريس وقد قرأ عليه القاضي العمراني شرح القطر للفاكهي، وشرح الجوهر المكنون وشرح الطبري على الكافل في الأصول وشرح التخليص في المعاني والبيان، وشرح عمدة الأحكام في الحديث وأوائل الكشاف، وبعضا من سنن أبي داود وأوائل غاية السؤال، وسيأتي ذكر قصة القاضي العمراني معه في فصل: "معاناة القاضي العمراني في الدفاع عن الصحابة والعلماء"، وتوفي في عام 1393هـ بحسب ما ذكره العلامة زبارة في: "نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر"، لكن الدكتور عبد الرحمن الأغبري في كتابه: "القاضي العمراني وجهوده العلمية والدعوية" ذكر أنه توفي=

علم المعاني والبيان والبديع، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك في النحو، وشرح الطبري على متن الكافل في أصول الفقه، وشرح السعد على التلخيص في علم المعاني والبيان والبديع، وشرح عمدة الأحكام، وفي أوائل غاية السَّؤُول في أصول الفقه، وفي أوائل كتاب الكشّاف في التفسير، وأخذت على الفخري عبدالله بن عبدالرحمن حميد في قواعد الإعراب، وشرح ابن عقيل، وشرح الجوهر المكنون والكافل، وتحفة الذاكرين، ونخبة الفكر، وبعض من المناهل الصافية في علم الصرف، وغير ذلك من الكتب، وأخذت على القاضي علي بن حسن المغربي بعضًا من كتاب قطر الندى في علم النحو، وشرح نخبة الفكر في علم مصطلح الحديث، وغير ذلك من الكتب. وأخذت على القاضي أحمد بن لطف الزبيري[1]، بعضًا من شرح القطر، وبعض شرح الفاكهي على الملحة، وشرح القواعد، وأخذت على السيد أحمد بن محمد زبارة في أوائل شرح الأزهار، وثلثي كتاب سبل السلام، وبعضًا من كتاب الشفاء للأمير الحسين. وأخذت على القاضي عبدالوهّاب المجاهد الشماحي بعضًا من الجزء الأول من شرح الأزهار، وبعضًا منه من الجزء الثاني، وأخذت على القاضي حسن بن علي المغربي في

=عام 1390هـ وذكر السفير عبد الرزاق العمراني في السفينة أنه توفي عام 1390هـ، وفي كتاب الوجيز للشيخ محمد نايف الكريمي أنه توفي في يوم الأربعاء 21 رمضان 1404هـ، انظر ترجمته بتوسع من الوجيز، مرجع سابق، صـ: (206).

(1) القاضي أحمد بن لطف الزبيري: من علماء صنعاء وقضاتها ومن أسرة بيت الزبيري المشهورة بالعلم والقضاء، وقد اشتغل بالتدريس والقضاء فدرس في جامع الفليحي كما عمل بالقضاء وقد أخذ عنه القاضي العمراني بعضًا من القطر والفاكهي وقواعد الأعراب للأزهري، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صد: (102).

الفرائض، وشرح الأزهار، وأصول الأحكام، وبيان ابن مظفر، وغير ذلك من الكتب، وأخذت على السيد عبد الخالق الأمير في شرح الأزهار، وفي الفرائض، وصحيح مسلم، وغير ذلك من الكتب، وأخذت على القاضي علي الآنسي في الفرائض، وأخذت على غير هؤلاء المذكورين من رجال الفروع والفرائض، وعن السيد محمد السراجي[1] في شرح الغاية، وفي شرح العمدة، وعلى السيد العلَّامة أحمد بن علي الكحلاني في شرح الغاية، وفي الكشّاف، وفي شرح الأزهار، وفي سنن أبي داود، وعلى القاضي العلَّامة يحيى محمد الإرياني في شرح الغاية في أصول الفقه، وفي الكشاف، وفي سنن أبي داود، وفي البحر الزخار، وفي الروض النضير وفي غيرها.

وبعد أخذه العلم على أيدي العديد من العلماء تمت إجازة القاضي العمراني من حوالي ثلاثين عالمًا إجازة عامة وخاصة من أكابر علماء اليمن ومن أشهرهم، من علماء اليمن في صنعاء وزبيد، والمراوعة، والحديدة، وكذلك بعض علماء العراق وقال أحدهم في إجازته له: (إن القاضي محمد بن إسماعيل العمراني إذا ما اعطي درجة علمية فهو فوق الدرجات والشهادات العلمية العالية، وهذا أقل ما يقال بحقه).

---

(1) العلامة محمد بن علي بن علي السراجي، ولد في صنعاء عام 1315هـ، الموافق 1898م، نشأ بصنعاء ودرس على أيدي كبار علمائها حتى أجاد علوم القرآن واللغة والفقه ودرس في جامع الفليحي وغيرها وقد أخذ عليه القاضي العمراني في شرح غاية السؤال في علم الأصول للحسين ابن القاسم وفي شرح عمدة الأحكام، توفي عام 1365هـ الموافق 1946م، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صـ: (212).

وكان الذين قد أجازوه قد أثنوا عليه مدركين ما يتمتع به من علم وتفقه ونبوغ، مع إخلاص في النية، فمما وصفوه به أنه: (العلامة، الفهامة الألمعي، النبيه، المدقق، الحافظ، الورع، التقي، الزاهد، المحقق، علم الأعلام، مفخرة اليمن، نسَّابة الزمن، عز الإسلام).[1] وتصل إجازات القاضي العمراني إلى ثلاثين إجازة من كبار علماء اليمن والأمة الإسلامية وقد ذكر نجله السفير عبد الرزاق في كتابه السفينة أسماء مشايخ القاضي العمراني الذين أجازوه ونوعية الإجازة والكتب التي درسها على أيديهم رحمهم الله.

(1) انظر: (سفينة العمراني معارف ولطائف)، صـ 30.

هل رحل القاضي العمراني لطلب العلم؟

يتساءل البعض: هل رحل القاضي العمراني لطلب العلم؟

وقد وجه الشيخ جبران سحاري تلميذ القاضي العمراني هذا السؤال للقاضي العمراني بقوله: هل كانت لكم رحلات علمية خارج صنعاء ولماذا؟

فأجاب القاضي: لم أرحل إلى أي بلد؛ أولا: لعدم الإذن من والدتي. وثانيا: لعدم الاستطاعة من ناحية المادة لأني نشأت يتيمًا لا أجد كتابًا واحدًا.

وعن هذا الأمر تحدث القاضي العمراني في حوار صحفي[1] فقال: (لم أذهب إلى أي مكان لا خارج اليمن ولا داخله، دراستي كانت في صنعاء، لم أخرج إلى زبيد ولا إلى جبلة ولا إلى ذي السفال ولا إلى المراوعة ولا صعدة ولا شهارة ولا خرجت إلى أي هجرة من هجر العلم ومعاقله في اليمن وإنما في صنعاء والروضة فقط).

ويضيف القاضي العمراني: (ما كنت لأفكر بالسفر مطلقًا، وذلك بسبب قلة ذات اليد، فالأيام التي كنا نعيشها كان وطءُ الفقر فيها علينا شديدًا، وكانت هذه الظروف تعم أهل اليمن، حتى أنني لم أستطع أن أؤدي فريضة الحج إلا بعد ثورة 1962م

---

(1) أجرى الحوار لصحيفة " إيلاف " اللندنية الإعلامي الدكتور محمد الخامري والحوار متوفر على شبكة النت على هذا الرابط:

https://elaph.com/Politics/2004/12/29906.htm.

والتي انتهى الحكم الإمامي على إثرها، ولم يحالفني الحظ في لقاء **أي من علماء مكة أو غيرها لقاءً علميًا)**[1]

ولي تعليق على هذا الأمر وهو أن القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-لقوة همته وشدة عزيمته ومثابرته في طلب العلم واجتهاده أستطاع أن يحصل على العلم الشرعي من العلماء بصنعاء، حتى صار من العلماء المجتهدين رغم بقائه في صنعاء وعدم سفره إلى خارجها وهذا يؤكد أن من أراد العلم الشرعي يستطيع أن ينال العلم وأن يصبح من العلماء المجتهدين وإن لم يرحل لطلب العلم.

الرحلة لطلب العلم هي لمن استطاع إليها سبيلًا، وفي هذا العصر صار العلم ميسرا لمن أراد وتوفرت الكتب الورقية وعبر شبكة الإنترنت ولكن غابت الهمة وضعفت العزيمة وصار طالب العلم المجتهد الذي يستغل وقته ويستغل الوسائل المتاحة في سبيل تحصيل العلم الشرعي هو النادر ندرة الماء في عرض الصحراء.

وأيضا لو لاحظنا فإن القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-كان يطلب العلم لدى العلماء وبعضهم إن لم نقل أغلبهم من الهادوية، وبعضهم كان من المتعصبين للهادوية ومن الذين يحملون أفكارًا مغلوطة عن أهل السنة ورغم هذا لكنه حرص على الاستفادة منهم رغم اختلافهم معهم في أمور لكنه حرص على أن يأخذ الثمرة من كل الأشجار وكان يختلف معهم بأدب ومع هذا

---

(1) انظر كتاب: "مسائل جبران سحاري وأجوبة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني" صـ 40.

حرص على ذكرهم والترحم عليهم وينقل فتاواهم وينصفهم ولم ينكر لهم محاسنهم وفضلهم عليه فكان يشيد بهم ويذكر لهم فضلهم ويذكر اختلافه معهم وذلك كما حدث في قصته مع شيخه العلامة محمد صالح البهلولي ورده عليه ونقاشه معه حتى اتفق معه على عدم الطعن في الصحابة أو التابعين وستأتي القصة بالتفصيل في فصل: (دفاع القاضي العمراني عن الصحابة والعلماء).

كما صبر القاضي العمراني على تعصب العوام وتحريضهم ضده فكان يتحاشى الاصطدام بهم ويتعامل معهم بحكمة وعقلانية ويتجنب إثارة الخلاف وكل ما يثير الفرقة والاختلاف ويسعى لجمع الكلمة ووحدة الصف ولم الشمل بكل السبل والوسائل الممكنة.

القاضي العمراني
من التعليم إلى التدريس

لم يدخر القاضي محمد بن إسماعيل العمراني وسعه في بذل العلم لمن يحرص على تحصيله، وسلك في ذلك كل الوسائل الممكنة، التقليدية منها والحديثة، وتعد الحلقات العلمية المسجدية أفضل قنوات بذل العلم عنده، وكانت أولى حلقات العلم التي عقدها في مسجد الفليحي سنة (1361هـ، الموافق: 1942م)؛ أي عندما كان عمره تسعة عشر عامًا.

يقول القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-: (وبينما كنت أختلف إلى مشايخي لآخذ عليهم كبار الكتب كنت أستعين بالله وأفتح حلقات علمية لطلاب أقل مني تحصيلًا في الكتب الأولية من المتون والمختصات التي تشمل كتب الفقه واللغة والحديث، وكان أول كتاب أدرسه كتاب شرح ابن عقيل؛ وبهذا الأسلوب حصلت على فوائد جمة وعلوم نافعة قيمة أكثر مما لو كنت مقتصرا على التحصيل فقط، لقد استفدت من التدريس أكثر من استفادتي من مشايخي لأنني كنت أحضر للدرس من جميع جوانبه خشية أن يسألني أحد الطلبة في مسألة لم أطلع عليها).[1]

---

(1) انظر كتاب: (سفينة العمراني معارف ولطائف)، إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ (33).

وفي معرض الإجابة عن سؤال وجه إليه من أحد طلابه، قال القاضي العمراني: (في الوقت الذي كنت أقرأ فيه شرح الأزهار، والكشاف، وكتب الحديث الكبار مثل نيل الأوطار للشوكاني وشرح العمدة لابن دقيق العيد والروض النضير، كنت في نفس الوقت أملي على الطلبة الصغار ما كنت حفظته وقرأته في الأعوام السابقة، كشرح القطر، وشرح الجوهر المكنون، وشرح الكافل لابن لقمان، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومجموع الإمام زيد ابن علي، وأمالي الإمام أحمد بن عيسى، والدراري المضية للشوكاني وغيرها من الكتب)[1] ويضيف القاضي العمراني في مقابلة مع قناة السعيدة[2]: (أول ما دَرَستُ في جامع الفليحي كتاب "شرح ابن عقيل" في النحو وكتاب" مغني اللبيب" أكبر كتاب في النحو، وبعد ذلك كتاب "الكافل في علم أصول الفقه"، وبعد ذلك دَرَستُ في كتب الحديث مثل كتاب "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" لشيخ الإسلام الشوكاني، وكذلك كتاب: السيل الجرار ووبل الغمام للشوكاني أيضًا، وكتاب سبل السلام لابن الأمير الصنعاني وكتاب "العدة على العمدة" وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، وموطأ مالك، وشمائل الترمذي وكتاب "الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار" للحازمي، وكتاب

---

(1) انظر كتاب: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية)، تأليف الدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ: (219).

(2) انظر الفيلم الذي بثته قناة "السعيدة" الفضائية بعنوان: "فيلم وثائقي عن الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني رحمه الله" على اليوتيوب في هذا الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=GWJxzgej2P0

"سبل السلام شرح بلوغ المرام" للأمير الصنعاني، وكتاب "عمدة الأحكام" لابن دقيق العيد).

واستمر عطاء شيخنا العلامة العمراني في مسجد الفليحي من سنة (1361هـ. 1942م) حتى سنة (1402هـ. 1982)، وهي مدة تبلغ أي 41 سنة، كما نقل السفير عبد الرزاق العمراني في كتاب السفينة، ويستثني من ذلك الست السنوات التي تلت قيام ثورة 1962م).[1]

وعن تدريس شيخنا العمراني في مسجد الفليحي يقول الدكتور عبد الرحمن الأغبري: (الجدير بالذكر أن هذا المسجد بالذات كان من أفضل المساجد في صنعاء من ناحية الحرية الفكرية والحرية في اختيار الكتب التي تدرس فيه، ذلك أن جُل المساجد في صنعاء آنذاك لا تسمح إلا لكتب الزيدية في ظل المذهب السائد في البلاد، وفي ظل التوجيه العام للدولة وهي جامدة عليه، ويا ويل من يشم منه رائحة أي مذهب آخر أو يعرف منه أنه يشيد بغيره من المذاهب، أو يتعرض بنقد إيجابي، أو سلبي لمذهب آل البيت. ولم يفت في عضد القاضي العمراني ما كان يجده من أهل عصره من محاربة له، بل ظل يواصل التدريس في حلقة العلم سنة بعد سنة حتى بعد الثورة، ولم ينتقل من ذلك المسجد إلا في منتصف الثمانينات، وقد بلغ من العمر نيفا وستين سنة بعد أن انتقل من

---

(1) انظر كتاب: (سفينة العمراني معارف ولطائف)، إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صد (35).

منزله القديم إلى منزله الجديد، وأبت عليه نفسه إلا أن ينفع طلبة العلم ففتح حلقة علمية في مسجد الزبيري).[1]

وبعد انتقال القاضي العمراني إلى السكن الجديد في شارع الزبيري مقابل المستشفى الجمهوري فتح حلقة علمية في جامع الزبيري استمرت (29) سنة، بدأها عام: (1403هـ، الموافق: 1983م) وحتى أصيب سنة: (1432هـ، الموافق: 2011م) بجلطة اضطر على إثرها إلى وقف الدروس في جامع الزبيري، الذي درَّس فيه أمهات كتب الحديث النبوي الشريف، وكتب الفقه الإسلامي، ففي الحديث درس صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجة، والترمذي، وموطأ مالك، وغيرها من كتب الحديث، وفي الفقه: كتب الإمام الشوكاني: نيل الأوطار، والسيل الجرار، ووبل الغمام، والدراري المضيئة لشيخ الإسلام الشوكاني، وكتاب سبل السلام للأمير الصنعاني، وفقه السنة للسيد سابق عدة مرات وغيرها من كتب الفقه، كما درَّس الكثير من كتب أصول الفقه، ومصطلح الحديث، والسيرة النبوية الشريفة.

أما التدريس الرسمي فقد خاضه القاضي العمراني منذ شبابه الأول، إذ انتدبه الإمام يحيى حميد الدين للتدريس في المدرسة العلمية: (دار العلوم)، التي أنشئت لتكون أكبر صرح علمي في اليمن آنذاك، وكان القاضي أصغر عضو هيئة تدريس بها؛ حيث كان عمره (25) عامًا، وقد استمر يدرس بها حتى عام: (1955م).

---

(1) المرجع السابق.

ثم انتخبته جامعة صنعاء مدرسًا فيها عند إنشائها سنة 1390هـ، فظل يدرس بها لمدة عامين ثم تركها لما رأى أن عمله فيها يشغله عن الانتظام في حلقته العلمية المسجدية، ولما تأسس معهد القضاء العالي في عام 1402هـ كان هو أول مدرس يتم تعيينه فيه وقد اعتذر إليهم في البداية مبديًا لهم أنه ليس أهلًا للتدريس في المعهد فأصروا عليه ودرس فيه مادة القضاء.[1]

كما قام القاضي العمراني بالتدريس في جامع الصالح، ومسجد بلال بن رباح رضي الله عنه، إضافة إلى قيامه بتدريس الفقه في جامعة الإيمان في صنعاء منذ تأسيسها في عام 1993م، إلى عام 2011م حيث أصيب بجلطة في رجله منعته من التدريس، لكن القاضي ظل يخرج إلى مسجد الزبيري ويعطي بعض الدروس ويستقبل الفتاوى ويجيب عليها ويلتقي بطلابه وبالناس وبعض الناس كانوا يزورونه إلى منزله وهم كثير فلم ينقطع القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-عن الناس إلا في مرضه الأخير والذي توفي على أثره.

وقد كتب نجل القاضي السفير عبد الرزاق العمراني في كتاب "سفينة العمراني"، عام 2013م: (تعرض الوالد لجلطة دماغية متوسطة في يوم الثلاثاء 26 / 4 / 2011م ولكن بحمد الله ورعايته ثم بمساعدة الأطباء واستمراره على التمارين الرياضية وجلسات التدليك تمكن من تجاوز آثار تلك الجلطة واستعادة

---

(1) انظر كتاب: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية)، تأليف الدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ: (222).

عافيته وصحته، عدا الضعف الذي لا يزال في قدمه اليمنى مما أثر في المشي حيث لا يزال يحتاج إلى العصا ومساعدة شخص إلى جانبه).[1] وقد شوهد القاضي مرارا وهو يخرج وبجواره شاب يساعده في المشي.

---

(1) انظر كتاب: (سفينة العمراني معارف ولطائف)، إعداد السفير عبد الرزاق العمراني في هامش صفحة: (11 و: 12).

القاضي العمراني في جامعة الإيمان

منذ افتتاح جامعة الإيمان في صنعاء في عام 1993م حين بدأت بكلية الإيمان في الأصبحي ثم انتقلت بعد ذلك إلى مبانيها المعروفة في الستين، شمال العاصمة صنعاء؛ منذ افتتاح الجامعة حرصت إدارتها على استقطاب أبرز العلماء في اليمن والعالم الإسلامي وكان من هؤلاء العلماء القاضي العلامة محمد بن اسماعيل العمراني الذي قام بالتدريس فيها لمادتي الفقه والحديث وقد استفاد الآلاف من طلاب الجامع؛ لحضورهم دروسه ومحاضراته فنقلوا علومه إلى الكثير من المناطق والبلدان في اليمن والعالم، وكان بعضهم يدرس على يديه في الجامعة ثم يذهب في المساء إلى جامع الزبيري ليستفيد أيضا من دروسه التي يلقيها هناك.[1]

وقد كان القاضي العمراني يكن للجامعة الكثير من الحب والتقدير؛ كونها أحيت العلم الشرعي في اليمن وكانت تحتضن الآلاف من طلبة العلم في داخل اليمن، وخارجها، وأذكر أن أحد طلبة العلم من أفريقيا عندما رآني أبيتُ في الجامعة أثناء الدراسة فيها وكان يظنني نجل القاضي العمراني بحسب التشابه في الاسم زجرني وقال: أنت لا تحتاج إلى الجامعة؛ لأن العلم في بيتكم.

---

(1) من هؤلاء تلميذه الدكتور أحمد بن محمد الوزير الوقشي، والبروفيسور أحمد بن محمد بن إسماعيل الجهمي المصباحي؛ الذي لازمه طوال عشرين عامًا في الجامع، والجامعة.

وكان يقصد أنني نجل القاضي العمراني وأنني يجب أن أتتلمذ على يد الوالد، ولا داعي لأن أجيء إلى الجامعة، وقد أوضحت له أنه لا يوجد صلة قرابة بيني، وبين القاضي العمراني؛ وهو الالتباس الذي كان البعض يظنه بسبب تشابه الاسم.

وقد سألت القاضي العمراني في المقابلة التي أجريتها معه عن جامعة الإيمان والاتهامات فقلت له:

شيخنا الفاضل ما هو تقييمك للدور الذي تقوم به جامعة الإيمان؟ وما رأيك فيمن يقدح فيها؟

فأجاب القاضي العمراني: أما القدح فلن يسلم منه أحد، وأنا عندي أن جامعة الإيمان جامعة للعلوم الشرعية، وأنها أحسن من غيرها من الجامعات، أما القدح فلن يضر ولم يسلم منه حتى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا صحابته رضوان الله عليهم، ومن جاء من بعدهم من العلماء والدعاة.

وسألته: شيخنا ما نصيحتكم لطلاب العلم الذين يضيعون أوقاتهم في الخلافات التي تنشأ بين الجماعات الإسلامية؟

فأجاب: أنا أنصح طلبة العلم قبل كل شيء بالتوسع في العلم ولكن عليهم أن يحذروا من التعصب.

ثم سألته: ما هي الكتب التي تنصح طلبة العلم باقتنائها ودراستها؟

فأجاب: أنصح كل طالب علم أن يقرأ كتاب: "أدب الطلب" للشوكاني وأنصح بالإخلاص لوجه الله في طلبهم للعلم الشرعي وبعدها سيرزقهم الله وسيأتي كل شيء.

لقد كان للقاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-مكانة كبيرة ومنزلة عالية لدى مشايخ جامعة الإيمان وكان الكثير منهم إذا وصلته فتوى يحيلها على القاضي العمراني وأتذكر أن بعض المشايخ سألناه في الفقه فقال:

اذهبوا إلى المشايخ الكبار، أمثال القاضي العمراني فكيف نفتي نحن في وجود أمثال القاضي العمراني؟!

وأتذكر أنني كنت عند الشيخ عبدالمجيد الزنداني-رئيس جامعة الإيمان-أيام عملي معه سكرتيرًا إعلاميًا، وقد بلغه أن وزارة التعليم العالي عممت قرارًا على الجامعات الأهلية بأن لا يقوم بالتدريس فيها إلا من كانت لديه شهادة دكتوراه، فكان الشيخ متبرمًا من هذا القرار ورأى أنه يستهدف التعليم الشرعي وضرب مثلًا بالقاضي العمراني قائلًا: يريدون أن يحرموننا من علم القاضي العمراني، وقد اقترح البعض عليه يومها أن تمنح جامعة الإيمان القاضي العمراني شهادة دكتوراه عن مجمل أعماله وتحل الإشكالية، ولكن الشيخ الزنداني-حفظه الله-رأى بأن القاضي العمراني أكبر من شهادة الدكتوراه ومن غيرها من الشهادات.

لقد كان القاضي العمراني يُكن لطلاب جامعة الإيمان كل الحب والتقدير وقد منح الكثير منهم إجازات علمية وقدم لهم كتبهم وأشاد بهم في محافل كثيرة.

أسلوب القاضي العمراني في التدريس

اكتسب القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-خبرة طويلة في التدريس[1]؛ الأمر شكَّل-إلى جوار الإفتاء-أبرز الأنشطة في حياته العلمية الثرية والتي استمرت لثمانية عقود، ونظرًا لهذه الخبرة الطويلة، وغزارة علم القاضي العمراني، وسعة اطلاعه، وطول خبرته، وقوة استحضاره لأدلة المسائل وقدرته على التأصيل فقد كانت له طريقة متميزة في التدريس، قال الشيخ محمد بن نايف الكريمي: (نهج القاضي العمراني في حلقات التدريس المسجدية منهجية بديعة، فقد كان يفتتح الدرس باسم الله وحمده والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يشرع في قراءة متن الكتاب، ويشرح ما أشكل منه، ويذكر الفوائد والتخريجات المتعلقة بالدرس، وإذا كانت القراءة في مسألة فقهية يستعرض الأقوال فيها، ويبسط مذاهب العلماء والفقهاء القدامى والبعض من المعاصرين في المسألة وغالبًا ينص على اختيار شيخ الإسلام الشوكاني من كتبه، وأثناء ذلك يذكر أدلة كل مذهب، ثم يذكر رأيه الراجح في أغلب الأحيان، وفي ترجيحاته يراعي فقه الواقع، وإذا خالف في ترجيحه جمهور العلماء، عضد ترجيحه

---

(1) انظر ما كتبه تلميذه الشيخ نعمان الوتر عن: أسلوب العمراني في التدريس في مقدمة كتابه: (العقيق اليماني بأسئلة نعمان الوتر وأجوبة القاضي العمراني)، إصدار دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع الاسكندرية ودار القمة الإسكندرية . الطبعة الأولى عام 2008م، وبتوسع في كتاب الوجيز للشيخ محمد الكريمي، صـ: (364).

باختيارات العلماء الكبار، والمعاصرين وبعض المجامع الفقهية، كما يختم غالب ترجيحاته وتقريراته بقول: "الله أعلم، وقد يستطرد لذكر بعض الشواهد التاريخية والقصص والطرائف المتعلقة من قريب، أو بعيد بتلك المسألة، أو يورد بعض المعلومات ويذكر مصدرها، أو ينسبها إلى قائلها-إن لم تدون في كتاب- وذلك لكي يروح عن طلابه ويبعد عنهم الملل والسأم لينشطوا في الدرس، وليعطي الطلاب أكبر قدر من الفوائد، وقد يتوقف القاضي العمراني في بعض المسائل التي ترد أثناء الدرس فيوجه نصائح متعلقة بها، ثم يستمر بالقراءة والتعليق إلى نهاية الدرس، كما يرشد الطلاب لأفضل الكتب التي صدرت وتناولت هذه المسائل التي وردت في الدرس، وهو في أثناء التدريس يتجنب الخوض في الخلافات المذهبية وما يثير الخلافات والفرقة بين مذاهب الأمة وجماعاتها، كما يقوم القاضي العمراني أثناء التدريس بتصحيح الأخطاء العلمية-إن وجدت-مع حسن الظن بمؤلف الكتاب، وحمله على أحسن محمل فلا يشنع عليه ويجرح فيه ولا يقدح في العلماء، بل يلتمس له العذر، والقاضي العمراني لتواضعه الجم وأدبه الرفيع ورقي أخلاقه لا يستكبر إن نبهه أحد التلاميذ إلى خطأ في الدرس، أو ترجيح خالف الدليل، أو تضعيف لحديث صحيح، أو استدلال بحديث ضعيف، يتراجع عن ذلك بكل بساطة وسعة صدر، وربما يشتد النقاش مع بعض طلبة العلم

الكبار في مسألة من المسائل فيقول لمناقشه: "لك رأيك ولي رأيي لا تحاول تقنعني برأيك ولا تحاول أقنعك برأيي ")[1].

وقد رأيت القاضي العمراني حينما سئل: ما حكم قراءة ياسين على الميت إذا مات؟

فأجاب[2]: اختلف العلماء فقال بعض العلماء يشرع قراءة ياسين لأن الحديث عنده صحيح، وهو: (اقرأوا على موتاكم ياسين)، ومنهم: ابن حبان والحاكم والشوكاني، ومن العلماء من قال لا يشرع قراءة ياسين على الميت؛ لأن الحديث عنده غير صحيح، ولأن جمهور المحدثين ضعفوا هذا الحديث فالقراءة ليست بمشروعة عندهم، فمن صحَّ عنده الحديث كالحاكم وابن حبان والشوكاني أو كان مقلدًا للشوكاني فليقرأ ياسين ولا حرج عليه، ومن كان علَّامة ولم يصح عنده الحديث، أو كان مقلدًا لمن لم يصح عنده الحديث فلا يقرأ ياسين ولا حرج فلا يقل أحد لآخر: أنه بدعة. ولا يقل الآخر للأول: أنه بدعة. من صحَّ عنده، أو قلَّد من صح عنده فليقرأ ياسين، ومن لم يصح عنده، أو كان مقلدًا لمن لم يصح عنده الحديث فلا يقرأ ياسين وإذا سمعهم يقرأون فيغلق فمه، وليس له أن يعترض على من معه دليل، هذه هي الخلاصة، هكذا وكلمة وعشر سواء.

---

(1) الوجيز من سيرة فقيد أهل اليمن العزيز، تأليف الشيخ محمد نايف الكريمي، مرجع سابق، صفحة: (364).

(2) شاهد فيديو للقاضي العمراني وهو في الدرس يجيب على سؤال: ما حكم قراءة سورة يس على الميت؟ على هذا الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=adbosfi4Hml.

قال الشيخ محمد نايف الكريمي: (ومن تواضع القاضي العمراني أنه لا يتعالى عن تدريس بعض مؤلفات تلاميذه وتشجيعهم بذلك حتى وإن لم يكن الكتاب بمستوى عالٍ من الإتقان والتحقيق وإن وصل في أي كتاب إلى مسألة دقيقة، ووجد في الحاضرين متخصص فيها، لا يمانع من الإرشاد إليه، أو الإحالة عليه، كما حصل عند وصوله في تدريس كتاب "زاد المعاد" لابن القيم، إلى كتاب "الطب النبوي" فأرشد الطلبة إلى تلميذه الدكتور محمد غنيم؛ لتمكنه في العلم الشرعي، وفي الطب النبوي، وكذلك في كتاب "التعبير والأحلام"؛ حيث أرشد أيضا إلى الدكتور محمد غنيم لتمكنه في هذا المجال. وقد يجيب عن بعض الأسئلة الشفهية والمكتوبة المتعلقة بالدرس، وإذا ورد في أثناء الدرس حديث بيَّن حاله ونبَّه على صحته، أو ضعفه، وقد ينقل تصحيح العلَّامة الألباني له، أو العلامة ابن حجر العسقلاني، وإن وجد فائدة ثمينة، أو تعليقًا بديعًا، أو تخريجًا مفيدًا في حواشي نسخته التي يقرأ منها قرأه غالبًا، وقد كان العلامة العمراني من الذين يلتزمون بالحضور دائما للدرس فلا يتغيب عن دروسه إلا لعذر قاهر من مرض أو سفر ونحوه)[1].

---

(1) انظر للتوسع كتاب: (الوجيز في سيرة فقيد أهل اليمن العزيز القاضي محمد بن اسماعيل العمراني) تأليف الشيخ: محمد بن نايف الكريمي، مرجع سابق، وهناك نسخة منه في مكتبة نور على هذا الرابط:

file:///C:/Users/MOHAMMED/AppData/Local/Temp/Noor-Book.com%20%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%B2%20%D9%85%D9%86%20%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9%20%D9%81%D9%82%D9%8A%D8%AF%20%D8%A3%D9%87%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B2%D9%8A%D8%B2.pdf

ومما ورد في كتاب: (الوجيز في سيرة فقيد أهل اليمن العزيز القاضي محمد بن اسماعيل العمراني)، عن أسلوب القاضي العمراني في التدريس أن القاضي إن شرع في تدريس كتاب وأشكل عليه، أو على تلاميذه فهم مسائل الكتاب، لا يمانع من إيقافه واستبداله، كما حصل معه حين شرع في تدريس كتاب "العلم الشامخ في تقديم الحق على الآباء والمشايخ" للعلامة صالح المقبلي[1]، حيث كثرت الإشكالات في غالب مناقشاته واجتهاداته على طريقة أهل الكلام، فأوقف الدرس في ذلك الكتاب، واستبدله بكتاب آخر، وكذلك كتاب: "بغية الأمل" للأمير الصنعاني في أصول الفقه، حيث كانت النسخة الموجودة في ذلك الحين كثيرة السقط، والتحريف، مما أدى إلى إيقافه.

(1) هو العلامة ضياء الدين صالح بن مهدي المَقْبَلي، ولد في قرية المَقبل من بلاد كوكبان بالمحويت، عام 1637م ونشأ في ثُلا، ودرس على كبار علماء اليمن حتى صار من العلماء كبار العلماء المجتهدين وهو مجدد نبذ التقليد، رحل بأهله إلى مكة سنة 1669 م من مؤلفاته: (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ)، و(المنار في المختار من جواهر البحر الزخار)، وسيأتي الحديث بالتفصيل عنه في آخر الكتاب.

دراسة عن طريقة
القاضي العمراني في التدريس

خلص الدكتور محمد عبد الله الحاوري في دراسته التي بعنوان "طريقة التدريس التي يعتمد عليها القاضي محمد بن إسماعيل العمراني في تدريسه"[1]، إلى نتيجة وخلاصة وتحليل لطريقة القاضي العمراني في التدريس، حصرها في النقاط التالية:

1- التكرار، ولكن بأساليب مختلفة وبأشكال متعددة، وفيه فائدتان: رسوخ المعلومة في ذهن المتلقي، وعدم الملل من المعلومة.

2- ضرب الأمثال، فالقاضي العمراني يجيد ضرب الأمثلة، ويتفنن في عرضها؛ لتقريب المسألة وترسيخها في ذهن الطالب.

3- استخدام القصة، فحفظه للعديد من القصص وأسلوبه الرائع المشوق في استخدامها في دروسه تكون جسرًا يعبر عليها المتعلم لفهم المراد، فالقصة غالبًا تكون مرغوبة للمتلقي، وتناسب كل الفئات العمرية، وتستمر في ذهن الطالب فترة طويلة؛ وكلما ذكرها الطالب ذكر الدرس الذي قيلت فيه.

4- إدخال الترفيه والمزاح الوقور، وهذا مستفاد من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في تعامله مع أصحابه؛ فيستخدم القاضي

---

(1) دراسة نشرتها مجلة جامعة صنعاء للعلوم التربوية والنفسية، مجلة أكاديمية محكمة نصف سنوية، تصدر عن جامعة صنعاء، وقد نُشرت الدراسة في المجلد: (8)، العدد: (2) يونيو ـ ديسمبر 2011م.

العمراني اللغز، والطرفة الأدبية، أو حادثة التلميح، أو غيرها من أساليب الترفيه على الطالب والتي تشده في نفس الوقت.

5- تفصيل المسألة والإطناب في محل الإطناب وهذا مستفاد من الأساليب التربوية النبوية.

6- التيسير في بعض الأمور الفقهية على المتلقي وتوجيهه إلى المسائل المهمة، كأن يقول في بعض المسائل: "المسألة بسيطة ولو اختلفت فيها المذاهب، لكن ينبغي التركيز على الأمور المهمة والقطعية".

7- الوعظ والإرشاد؛ فيعض بما تهتز له النفوس، وخاصة في لزوم السنة وحسن الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووعظه يأتي بما يناسب الحال والمقام وليس بشكل دائم ويجعلها كالملح في الطعام.

8- التنبيه إلى صحة الحديث وضعفه، وهذه فائدة جليلة لا تقدر بثمن وينبغي لكل من يدرس الفقه أن يأخذ هذا الأسلوب، فيجمع بين العلمين الفقه والحديث.

9- الحزم، فهو يلزم تلامذته أن لا يسألوا إلا عن موضوع الدرس.

10- الحب لتلاميذه، فهو يهتم بكل طالب علم ويسأل عمن غاب منهم.

وللقاضي العمراني الآلاف من الطلاب، والتلاميذ، من اليمن ومن مختلف الدول العربية والإسلامية وغيرها وقد خصص نجله السفير عبد الرزاق ملحق في نهاية كتاب: (سفينة العمراني)،

ذكر فيه أسماء أبرز طلاب القاضي العمراني، وهم اليوم من العلماء الأعلام ومن الشخصيات البارزة في اليمن، والعالم، كما ترجم الدكتور: عبد الرحمن الأغبري في نهاية كتابه (العلامة العمراني وحياته العلمية والدعوية) لمجموعة من طلاب القاضي، وأفرد الشيخ محمد نايف علي الكريمي المجلد الرابع من كتابه قطف الجنى الداني من سيرة القاضي العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل العمراني لتراجم جملة واسعة من تلاميذ القاضي العمراني، وقسمهم على أربع طبقات زمنية؛ الأولى من تتلمذ قبل ثورة 26 سبتمبر 1962م، والثانية من تتلمذ بعد الثورة، وقبل الوحدة في 22 مايو 1990م، والثالثة من تتلمذ عليه بعد الوحدة، وقبل ثورة فبراير 2011م، والرابعة من تتلمذ عليه بعد ذلك إلى وفاته، وهنا أترجم لثلاثة من كبار تلاميذ القاضي العمراني كنماذج تدلك على ما ورائها:

1- أ.د. العلامة: عبد الوهاب بن لطف بن زيد الديلمي، من كبار علماء اليمن المعاصرين، ولد عام: 1358هـ، ودرس على القاضي العمراني في مسجد الفليحي، والمدرسة العلمية، وأكمل دراسته الثانوية في مصر، والجامعية في المدينة المنورة، وعمل مدرسًا في أكثر من جامعة يمنية، كجامعة صنعاء، والإيمان التي تولى رئاستها فترة طويلة، وهو من كبار علماء الأمة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم، وقد نفع الله بعلومه، وسلوكه الكثير من الناس، وتوفي: صباح يوم الأربعاء: 14 شوال 1442هـ، الموافق: 26 مايو 2021م).

2- أ.د. البروفيسور: أحمد بن محمد بن إسماعيل الجهمي المصباحي، ينتهي نسبه بالصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، ولد في ربيع الأول 1396هـ، الموافق: 1976م، ودرس العلوم الشرعية على والده الفقيه العلامة الزاهد: محمد بن إسماعيل الجهمي المصباحي، ورحل لطلب الفقه الشافعي إلى زبيد، وتهامة، وقصد دار الحديث السلفية بدماج، وفيها درس الحديث النبوي، وأكمل طلبه للعلم في جامعة الإيمان، وفي حلقات علماء صنعاء؛ حتى أصبح من كبار علماء اليمن المنصفين؛ على نهج مشايخه الكبار كالقاضي العمراني، والدكتور عبد الكريم زيدان، وعمل مدرسًا في أكثر من جامعة يمنية، وخارجية، وحصل على شهادتي دكتوراه من اليمن، والسودان، وهو من العلماء المنصفين، المائلين عن التعصب، والتحزب، والتقليد، نفع الله به، وبعلومه.

3- أ.د. عادل بن حسن بن أمين الحرازي، ولد عام: 1972م، ودرس العلوم الشرعية في اليمن، والهند، ولازم علامة الهند الكبير: أبا الحسن الندوي، واستفاد منه علومًا كثيرة، ودرس الدراسة الجامعية إلى الدكتوراه في جامعة ندوة العلماء بالهند، وتنقل في الكثير من الأعمال الدعوية، والخيرية، والعلمية، وهو من العلماء الذين إذا رأيتهم ذكرت الله.

رؤية القاضي العمراني لمرحلة التحصيل والتدريس

سُئل القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-: أيهما أصعب بالنسبة لكم: التحصيل والطلب، أم التدريس والإفتاء، ولماذا؟

فأجاب القاضي العمراني: مرحلة الطلب والتحصيل أصعب، ولا سيما مع قلة ذات اليد وعدم وجود الكتب في أيام طلبي للعلم، وقد كان جدودي يملكون عدة كتب ولكن نهبت أيام الفوضى، كما تطلعون على ذلك في كتاب (فرجة الهموم والحزن في حوادث وأخبار اليمن)، لشيخي عبد الواسع الواسعي، فقد حكى أن الكتب التي نهبت على القاضي عبد الرحمن العمراني[1] ألف مجلد، وهكذا نهبت كتب والده القاضي محمد بن علي العمراني[2] بأمر من الناصر عبد الله بن الحسن، أما أنا فما كان معي، ومع الأسرة غير كتاب "شرح الأزهار"؛ ولذا تعبت أكثر أيام الطلب.

ويضيف القاضي العمراني: (كنت أستعير الكتب من العلماء، أو أتحين فرصة لقائي بهم حالة الدروس أو الجلوس معهم

(1) القاضي عبد الرحمن بن محمد بن علي العمراني، ولد في صنعاء بتاريخ: 1234هـ، ونشأ فيها، ودرس على أيدي كبار علمائها حتى أجاد مختلف العلوم الشرعية وألف عدَّة كتب منها، كتاب (مختصر السيل الجرار) للشوكاني، وتوفي: عام 1273هـ، انظر: نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، 2/ 38، المطبعة السلفية.

(2) سبقت ترجمته.

فآخذ الكتاب أو الصفحة بل أتصفحه وربما أستعيره فأحفظ ما فيه من مسائل وكذا).[1]

وعندما وجِّه له سؤال: ومن أين هذه الكتب؟ قال مجيبًا: (ما اجتمعت لي هذه الكتب إلا الآن وقد كبر سني ورقَ عظمي، وضعفت عن المطالعة همتي، وأكثرها هدايا).

ويذكر العلامة محمد بن علي العمراني أنه في عصر الإمام المهدي عبد الله ابن المتوكل أحمد ابن المنصور علي ابن المهدي عباس، قام أحد وزراء الإمام بمصادرة مكتبه وداره بحيلة، ولم يعلم المهدي عبد الله بذلك، ولم يبلغه العلامة الشوكاني بذلك، حتى علم المهدي من نفسه، فاعتذر له بعدم علمه، وكتب له مكتوبات عديدة؛ لإرجاع ما تم سلبه منه ولكن بعد فوات الأوان.

4- وفي 17 محرم 1267هـ بايع العلامة عبد الرحمن العمراني الإمام المتوكل عباس فأمر الإمام المنصور محمد بن عبد الله الوزير، بمصادرة منزل العلامة عبد الرحمن العمراني وما فيه من كتب وأثاث.

5- وفي عام 1948م دخلت القبائل المناصرة للإمام أحمد صنعاء ونهبت منازل آهالي صنعاء ومنها منزل العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني وما فيها من كتب.[2]

---

(1) انظر كتاب: القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني وحياته العلمية والدعوية)، تأليف الدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ: (190).

(2) انظر بتوسع مبحث: مكتبة بيت العمراني من كتاب الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صفحة: (451).

6- الحوثيون بعد دخولهم صنعاء قاموا بالاستيلاء على مكتبة القاضي العمراني للدراسات والملحقة بجامع بلال بشارع هائل، بحجة أن فيها كتبًا للوهابية والإرهابيين وداعش وقد أرسل القاضي العمراني رسالة إلى صالح الصماد-الرئيس السابق للمجلس السياسي للحوثيين والذي قُتل عام 2018-يطالبه بالتوجيه بالإفراج عن المكتبة الكائنة في شارع هائل، ولم يتم الإفراج عنها حتى وفاة القاضي العمراني رحمة الله تغشاه.[1]

وكأن نهب مكتبات آل العمراني سُنَّة مضى فيها الأئمة وسارت على نهجهم جماعة الحوثي للأسف الشديد! ونهب هذا العدد الكبير من الكتب من منازل آل العمراني في زمن كانت فيه المطابع قليلة والكتب نادرة يدل على مدى اهتمام هذه الأسرة المباركة بالعلم مدى معاناة القاضي العمراني في الحصول على الكتب في بداية الطلب حيث كانت الكتب نادرة ولا يستطيع الحصول عليها وعن هذا الأمر يقول الشيخ عامر الخميسي: (هناك سر من أسرار نبوغ القاضي العمراني هو أنه نسخ الكتب بيده، فنسخ شرح الملحة بيده، وبعض الطلبة في هذا العصر يريد أن يكون عالـمًا وما نسخ كتابًا، وما لخَّص كتابًا، فنقول له: يا أخي هل لخَّصت مثلًا شرح ملحة الإعراب؟ أو شرح قطر الندى؟ هل لخَّصت شيئًا من مغني اللبيب؟ القاضي العمراني تخيَّلوا معي: هذه الكتب كلها لخَّصها، أصلًا ما كانت الكتب تباع إلا في النادر! الآن

(1) انظر: المصدر أونلاين تفاصيل الخبر: الحوثيون يهددون بحرق مكتبة القاضي العمراني على هذا الرابط:
https://almasdaronline.com/article.82404/

أنت بضغطة زر تنزل أي كتاب من النت، عشرات الشروح على ألفية ابن مالك، كان في عصر القاضي لا يوجد عندهم شروح! كان يندر أن تجد عند أحدهم شرحًا وقد دفع فيه ثمنًا عاليًا باهظًا، فكان القاضي العمراني ينسخ هذه الشروح، فنسخ ألفية ابن مالك، ونسخ ملحة الإعراب، وشرح الفاكهي على ملحة الإعراب، وشرح قطر الندى، وشرح الكافل لابن لقمان، ومغني اللبيب، والجوهر المكنون في البلاغة، وكان لا يشرع في دراسة كتاب حتى ينهي نسخه، فأول ما ينتهي من نسخه يبدأ الشيخ عبدالكريم الأمير في شرحه له، فكان هناك صعوبة في تحصيل الكتب، وصعوبة في تحصيل المراجع؛ الأمر الذي يكلف طالب العلم في ذلك الوقت الرحلةَ إلى خارج بلاده؛ لأجل تحصيل الكتاب الذي يدرسه أو يتعلمه، وقد ذكر القاضي العمراني ذات مرة قصة لأحد زملائه نزل إلى إب ماشيًا على قدميه وعاد ماشيًا في عدة أيام لشراء كتاب، وعندما جاء وقت الدرس فتح الطالب الكتاب، وكان لا يوجد كتاب في الحلقة إلا مع ذلك الطالب، فحدق الطلاب فيه أنظارهم، وكثرت عليه الأسئلة من أين عثر على الكتاب، وعندما عرفوا أنه مكث أيامًا ماشيًا وراجعًا-ربما أكثر من عشرة أيام- ازدادوا دهشة وإعجابًا من صبره وجَلَدِه على المشي، فكان القاضي العمراني يذكر هذه القصة واسم صاحبها يبين فيه ندرة الكتاب، وكان إن دخل مكتبة الجامع الكبير يخبر أنه لا يجد إلا تلك الكتب التي قد امتلأت بالحشرات والكتن، فيَلقى من لسعها ولدغها

الشيء الكثير، فكان القاضي العمراني ينسخ بيده، ينسخ الكتاب أولًا، ثم بعد ذلك يأتي إلى الشيخ ليدرسه على يديه.

وهذه الكتب التي نسخها هي أمهات الكتب، منها في النحو شرح ابن عقيل، وشرح الفاكهي على ملحة الإعراب، وشرح وقواعد الإعراب للأزهري، وشرح قطر الندى لابن هشام، ومغني اللبيب، والكافل في الأصول، والكافية لابن الحاجب، وألفية ابن مالك؛ هذه أمهات كتب النحو، هذه الكتب استوعبها القاضي العمراني، نسخها، واستوعبها، ثم درسها على الشيخ، ثم درَّسها؛ ولذلك استطاع أن يكون بعد ذلك نجمًا، واستطاع أن يكون نابغة).[1]

وعن هذا الأمر يقول الدكتور عبد الرحمن الأغبري: (شيخنا العلامة العمراني هذا العلم الشامخ، ينتمي إلى أسرة احتفلت بالعلم وعنيت بحفظ السنة، حيث كان أبوه من القضاة، وكان جده من العلماء المحققين ومن أهل السند العالي؛ ذلك أنه كان من تلاميذ شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، بل ويشاركه في علو السند إلى محمد بن إسماعيل الأمير، وكذا كان جد أبيه محدثا محققًا وعالمًا جهبذًا، انتهى إليه علم الحديث في عصره، وكان المرجع والحكم في حلقة شيخ الإسلام الشوكاني إذا اختلفوا في مسألة حديثية أو فقهية.

(1) انظر: دراسة بعنوان: النبوغ والنجومية في حياة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني للشيخ عامر الخميسي في شبكة الألوكة على هذا الرابط:
https://www.alukah.net/sharia/0/149348/#ixzz7750cklQ7.

إذًا ماذا تنتظر من علمنا حينما نسلط عليه الضوء لمعرفة محيطه الذي عاش فيه، وما أخرج لنا زمنه الذي كان يحفل بالعلماء والأعلام، مع العلم بأن زمنه لم يكن كسابقه من العصور في كثرة العلماء وانتشارهم، ولقد كانت مساجد المدن اليمنية وقراها تحظى بملحقات العلم متنوعة العطاء، فهذا يدرس الفقه وذاك يدرس علوم العربية وآخر يدرس الحديث ورابع يدرس الأصول، وخامس يدرس المنطق وهكذا، ورواد العلم من البحور يتضلعون.

وشيخنا العمراني بدلوه يستقي، وبركبه يزاحم القوم، من أطايب الكلام والمعاني ينتقي، فلقد سبقه موكب حافل بالعقول الزاخرة والبصائر المستنيرة، سبقه أجداده أيضا الذين حفظ الله بهم سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم).[1]

لا شك بعد هذا أن شيخنا وعلمنا العمراني لابد وأن يتأثر بهذه البيئة العلمية، خاصة تلك القمم، عالية الهمم، أمثال ابن الوزير وابن الأمير الصنعاني والشوكاني والمقبلي والجلال؛ ولقد ذكر لي أنه كان ينهل من مؤلفاتهم بشغف ونهم بالغين، فكان لهم الأثر الكبير في حريته الفكرية ونبذه التقليد وتركه التعصب والجمود، وظهر منه ذلك أكثر حين بلغ من العلم درجة أهَّلته لأن يختار ويرجح، حتى أنه كان لا يتقيد في كثير من المسائل باختيارات مشايخه وترجيحاتهم، وهذا النهج-أقصد تركه التقليد-حيث أنه

---

(1) انظر كتاب: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني وحياته العلمية والدعوية)، تأليف الدكتور عبد الرحمن الأغبري صد: (162).

يدعو في معظم كتبه إلى هذا المنهج؛ خاصة لمن ملك أدوات الاجتهاد وعلى العموم، فإن شيخنا قد تميز بين أقرانه بقوة الإدراك ودقة الفهم، وجودة الحفظ، وهو عند الكتابة بخطه الجميل مليح العبارة، فصيح المنطق، يختار من الألفاظ أسهلها وأجزلها، ولا يجنح إلى التعقيد في التعبير.

أسباب قلة مؤلفات القاضي العمراني

رغم غزارة علم القاضي العمراني وثقافته الموسوعية وإجماع الناس عليه والقبول الذي يحظى به وكثرة طلابه إلا أنه مقل في التأليف إذ من المعروف أن مؤلفاته إما أن يقوم أولاده بجمعها وإصدارها أو يقوم طلابه بهذه المهمة كما حدث مع كتاب (نظام القضاء في الإسلام)[1]، حيث قام طلاب القاضي العمراني في المعهد العالي للقضاء بجمع محاضراته وتحريرها ونشرها في هذا الكتاب، والقاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-إذا وجد أن طلابه قد سجلوا محاضراته وفرغوها وقرروا نشرها لا يمانع في النشر لتعميم الفائدة للناس ولكنه لا يسعى هو إلى نشرها ويترك الأمر لطلابه وأولاده فإذا صار الكتاب جاهز لا يمانع هو في كتابة مقدمته وإحالة طلبة العلم إليه كما حدث معه عندما سأله تلميذه الشيخ جبران سحاري عن بعض جهوده ومشايخه فأحاله إلى

(1) كتاب: (نظام القضاء في الإسلام)، تأليف القاضي محمد بن إسماعيل العمراني وهو مجموعة محاضرات ألقاها القاضي العمران أثناء تدريسه بمعهد القضاء العالي بصنعاء وقامت إدارة المعهد بجمعها وطباعتها في كتاب عام 1984م وقد طبع عدة مرات.

كتاب (القاضي محمد بن إسماعيل العمراني وجهوده العلمية والدعوية)، للدكتور عبد الرحمن الأغبري؛ إضافة إلى إحالته كذلك إلى كتب الفتاوى التي جمعها الشيخ عبد الله قاسم ذيبان وصدرت بعنوان: (نيل الأماني في فتاوى القاضي العمراني)، وكذلك الكتاب الذي أصدره الشيخ نعمان الوتر بعنوان: (نيل الأماني بأسئلة نعمان الوتر وأجوبة القاضي العمراني).

ويقول تلميذه الشيخ عبد الرحمن العيزري:[1] (القاضي العمراني رحمه الله تعالى غلب عليه مجال التَّدريس على مجال التَّأليف، ومع ذلك فقد ضرب بسهمٍ طيِّب في مجال التأليف، فله مؤلفات وأبحاثٌ طيبةٌ مفيدة، ومع هذا فقد كان يرى أنَّ مؤلفاته لا ترقى لدرجة مؤلفات الأئمة، ويوجه بالاستفادة من كتب غيره، وهذا من تواضعه رحمه الله، وقد تحدَّث رحمه الله عن المؤلفات بشكل عام فقال: قد كثرت في مختلف الفنون فلا يحتاج لمثلي أن يؤلف، والتأليف يكون للعلماء الكبار، ونحن نحتاج لمن ينشر العلم ويدرسه، ثم قال: أين سيقف تأليفي بجانب مؤلفات المقبلي، وابن الوزير، وابن الأمير، والشوكاني، وابن حجر، والنووي؟!).[2]

---

(1) الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن صالح العيزري، ولد في صنعاء بتاريخ 1394هـ الموافق 1973م درس على أيدي بعض العلماء، وحضر بعض دروس القاضي العمراني، وجمع: " الاختيارات العلمية في المسائل الفقهية" للإمام الشوكاني ".

(2) انظر رسالة: (صفحاتٌ مضيئةٌ من سيرة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العَمراني)، تأليف الشيخ عبد الرحمن العيزري، منشورات مركز سلف للدراسات والبحوث على هذا الرابط: https://salafcenter.org/6077.

وبرأيي فالأسباب التي دفعت القاضي العمراني إلى الإقلال من التأليف هي:

1- التواضع الجم الذي عُرف به القاضي العمراني ونكرانه لذاته وعدم رغبته في الظهور والشهرة والأضواء فهو-رحمة الله تغشاه- كان يخشى على نفسه من تبعات وعواقب الشهرة والأضواء، ففضل-لورعه وزهده-أن يبقى مقل في مجال التأليف وقد أخبرني بهذا الأمر بنفسه فقال لي: من أنا حتى يكون لي مؤلفات؟!

2- انشغال القاضي العمراني بالتدريس والفتاوى حيث كان- رحمة الله تغشاه-يرى أن الأولوية للتدريس والفتاوى لنفع الناس ونشر العلم بينهم والإجابة على أسئلتهم وتفقيههم في أمور الدين.

3- القاضي العمراني كان يحث طلابه على تسجيل المسائل العلمية وتقييد المعلومات وحفظها لكي تثبت في الأذهان في حال المراجعة ولكي يتم نشرها وينتفع الناس بها بعد ذلك ولذا كان يعتب على الطلاب الذين يستمعون إليه ولا يسجلون ما يقوله وكان يردد قول الشاعر:

العلـم صـيدٌ والكتابـة قيـدها قيِّد صيودك بالحبال الواثقة
فمـن الحماقـة أن تصـيد غزالـة وتفكها بين الخلائق طالقة

ولذا فالقاضي العمراني كان يرى أن بناء الرجال وتعليم الأجيال أهم من كتابة المؤلفات وإصدار الكتب، وأن على طلابه نشر علمه وهذا ما حدث فهناك أكثر من 100 بحث منشور تم استفادته من دروس وفتاوى القاضي العمراني وهذا حتى الآن، وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن الأغبري حيث يقول: (وحاولت أن أستخرج من خلال ما ذكرت شيئًا لم أسبق إليه فيما

أعلم، كبعض رسائله وبحوثه ومقالاته وفتاواه؛ سواء الفقهية منها أو الحديثية أو حتى العقائدية-وجلها لا زالت مخطوطة-مع أنه في كل مرة عند محاولتي استخراج شيء منه يبدي اعتذارًا لطيفًا وينتحل جوابًا شافيًا، قائلًا: (ما عندي شيء ولست بشيء، ما هي إلا دعوة أمي لي)، ولا زلت أعتقد أنه لم يخرج لي كل ما عنده رغم محاولاتي الكثيرة، خاصة وأن علومه وجهوده أكثرها في هوامش كتبه كتعليقات على مصنفات من سبقوه، ومما زادني اعتقادًا بذلك أن بعض طلابه كان قد اقترح عليه أن يجمع فوائده التي كان يذكرها لهم أثناء دروسه في كتب حسب تخصص الفوائد، فعمل بهذا المقترح ولكنه فقد كثيرًا مما أودع كتبه هذه الفوائد، كما وجدت ذلك مكتوبًا في بعض مخطوطاته القديمة).[1]

كما أن فتاوى القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-في الإذاعة والقنوات الفضائية والصحف تم جمع بعضها والبقية في الطريق إلى الصدور على شكل كتب، إضافة إلى دروسه في جامعة الإيمان والمعهد العالي للقضاء وغيرها تم نشر الكثير من الحلقات منها في اليوتيوب والبقية في الطريق إلى النشر وهناك كما علمت قرابة 10 ألف ساعة بث سيتم نشرها وهذا خير كثير وفضل عميم ونور عظيم.

4- القاضي العمراني كتب الكثير من الهوامش والتعقيبات والتصويبات على كتب قام بتدريسها مثل كتاب: "فقه السنة"،

---

(1) انظر كتاب: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية)، تأليف الدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ: (17).

للعلامة سيد سابق وقد قام تلميذ القاضي العمراني الشيخ فؤاد دحابة بإصدار كتاب: "تهذيب فقه السنة"، وفيه التعقيبات والهوامش التي للقاضي العمراني على هذا الكتاب، وكذلك فعل بعض طلاب القاضي في كتب أخرى.

5- القاضي العمراني حريص على أن ينتفع الناس بعلمه وبما كتبه وما قاله في الدروس والفتاوى والبرامج الفضائية؛ ولذا فقد أقر نجله السفير عبد الرزاق العمراني على جمعه للمعارف واللطائف التي جمعها نقلًا عن والده، بما فيها التي خطها والده بيده والتي سمعها منه وأخرجها في كتابه: "سفينة العمراني"، وكتب لها مقدمة أيضا، وكذلك أقر القاضي العمراني نجله الدكتور عبد الغني العمراني على جمعه لمقالاته التي كتبها قبل ما يقارب 70 عاما وإصدارها في كتاب بعنوان: "مقالات القاضي العمراني"، وكتب لها مقدمة؛ وذلك لحرص القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-على أن يستفيد الناس من هذه المقالات، ولكن القاضي لم يكن يسعى بهذا الأمر من تلقاء نفسه لتواضعه الجم وخشيته على نفسه من تبعات الشهرة والأضواء كما ذكرت ذلك سابقا ولكن إن وجد غيره قد بذل الجهد لنشر علمه أقره على ذلك.

وقد نقلت بعض الفقرات مما كتبه الدكتور عبد الغني العمراني في مقدمة كتاب (مقالات القاضي العمراني)، حيث نشرته بعنوان: (القاضي العمراني كما يراه نجله)، وسيأتي في الصفحة التالية.

القاضي العمراني كما يراه نجله

كتب الدكتور عبد الغني محمد بن إسماعيل العمراني عن والده القاضي العمراني كلمات رائعة، أحببتُ هنا أن أنقلها لروعتها، ولكونه أعلم بوالده وحياته وجهوده من طلاب القاضي ومحبيه، حيث يقول: (القاضي محمد بن إسماعيل العمراني رحمة الله تغشاه غني عن التعريف فهو أحد أعلام اليمن وعلمائها الأجلاء، أفنى حياته في طلب العلم وتدريسه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ممن حمل حركة الإصلاح ونشر السنة في اليمن قبل ثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962م وحتى وفاته رحمة الله تغشاه.

كما أنه من رواد الفكر التنويري في اليمن فقد تأثَّر فكره برجال التجديد الفكري في اليمن منذ القرن التاسع الهجري، أمثال السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير، مؤلف كتاب: "إيثار الحق على الخلق"، والسيد الحسن بن أحمد الجلال[1]، مؤلف كتاب "ضوء النهار"، والشيخ صالح المقبلي، صاحب كتاب: "العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ"، والسيد محمد بن

---

(1) السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال، ولد في رغافة بين صعدة وعسير عام 1014هـ الموافق 1604م وقد هاجر إلى صنعاء ومناطق أخرى ودرس على أيدي كبار علماء اليمن حتى صار من أبرز العلماء المجتهدين والأعلام المجددين، حارب التقليد والبدع ومال إلى الاجتهاد والسنة وألف الكثير من المؤلفات ومن أبرز مؤلفاته كتاب (ضوء النهار المشرق على صفحات الأزهار) وقد توفي عام 1084هـ الموافق 1673م.

إسماعيل الأمير الصنعاني، مؤلف كتاب: "سبل السلام شرح بلوغ المرام"، وشيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني، مؤلف كتاب: "نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار"، وغيرهم من المصلحين الذين لا يعرف قدر علومهم واجتهاداتهم إلا من درس مؤلفاتهم؛ كما كان متأثرًا بالإمام محمد عبده(1)، وتلميذه الشيخ رشيد رضا(2)، وقرأ تفسير المنار، وكان كثير الاطلاع عل مجلة المنار التي أصدرها الشيخ محمد رشيد رضا، وبخاصة فتاواه المبثوثة في ثنايا هذه المجلة، وكان يجد صعوبة شديدة في اقتنائها، لذلك كان غالبا ما يحصل عليها عن طريق الإعارة.

حفظ والدي القاضي محمد بن إسماعيل العمراني-رحمة الله تغشاه-العديد من المختصرات في الفقه والعربية منذ نعومة أظفاره، وتتلمذ على العديد من مشايخ اليمن في تلك الفترة، وتلقى منهم مختلف العلوم في الحديث والتفسير وعلوم العربية في كثير من مساجد صنعاء، مثل: جامع الفليحي، والجامع الكبير،

---

(1) الإمام محمد عبده حسن خير الله، ولد بطنطا محافظة الغربية بمصر عام 1849م ثم درس فيها والتحق بالأزهر سنة 1865م وقد أخذ شهادة العالمية سنة 1877م، واشتغل بالتدريس بالأزهر ودار العلوم والألسن، وكتب مقالات وشارك في ثورة عرابي ولما تمت محاكمة عرابي ورفاقه ومن ساعدوه ومنهم الشيخ محمد عبده تم اتهامه بالتآمر ونفيه إلى بيروت عام 1883م وهناك أصدر مع جمال الدين الأفغاني مجلة: "العروة الوثقى"، ثم عاد إلى مصر عام 1899م، وعيّن مفتيًا لمصر ويعتبره كثيرون من رموز النهضة العربية والإسلامية ومن دعاتها ومن رموز التنوير والمجددين في الإسلام وتوفي في الإسكندرية بتاريخ 11 يوليو 1905م.

(2) محمد رشيد بن علي رضا، ولد عام 1282هـ الموافق 1865م في قرية القلمون بلبنان ثم درس بمدارس القلمون وطرابلس، ومال إلى دراسة العلوم الشرعية حتى صار من المبرزين فيها، كما يعتبر من رواد الإصلاح الإسلامي، كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا تتلمذ على يد الشيخ محمد عبده أثناء إقامته ببيروت، أسس مجلة: "المنار"، توفي بمصر 1354هـ الموافق 1935م.

وجامع طلحة، وجامع الوشلي، وجامع خضير، وجامع العلمي، وجامع قبة المهدي وغيرها من مساجد صنعاء، وفي الجامع الكبير، ومسجد الشعبة بمدينة الروضة أيام الخريف.

ولم يتوقف رحمه الله على ما درسه عن مشايخه، لكنه توسع في فنون العلم بالمطالعة الحرة، فقد كان شغوفا بالقراءة والاطلاع بالرغم من شحة الكتب في تلك الفترة وعدم مقدرته على الشراء إذ أنه نشأ يتيما فقيرًا، وإنما كانت تصله عن طريق الإعارة من مكتبة الجامع الكبير، أو من بعض من كان يقتني الكتب من أسر العلم الموسرة في مدينة صنعاء.

سخر القاضي محمد بن إسماعيل العمراني جل حياته في التدريس سواء في حلقات العلم في مساجد مدينة صنعاء، مثل مسجد الفليحي الذي درس فيه لمدة طويلة تربو على 22 سنة من سنة 1359هـ حتى سنة 1402هـ، ثم في مسجد الزبيري الذي ظل يدرس فيه إلى أواخر حياته، أو المدرسة العلمية: (دار العلوم) التي أنشئت في عهد الإمام يحي ملك اليمن عام 1344هـ، أو في جامعة صنعاء وجامعة الإيمان والمعهد العالي للقضاء، ففي بعض الفترات يكون له المسجد خمسة دروس في اليوم، درس قبل المغرب، ودرس بين المغرب والعشاء، وثلاثة دروس بعد الفجر على مدار الأسبوع، وبعض الفترات ينقطع عن التدريس يومي الخميس والجمعة، ناهيك عن المحاضرات التي يلقيها في جامعة الإيمان أو المعهد العالي للقضاء.

كما تصدر فضيلته للإفتاء منذ أن كان عمره خمسًا وثلاثين سنة عبر إذاعة صنعاء، كما أنه يستقبل أي سائل يأتي إليه مباشرة، ويجيب عليه مشافهة، أو كتابة؛ إذ أنه يجيب في اليوم الواحد على أكثر من ستين ورقة، غير الأسئلة الشفهية.

وقد تميَّزت فتاواه بالوسطية والاعتدال وعدم التعصب لمذهب فقهي أو رأي بعينه، فهو يبين أقوال أهل العلم والمذاهب في المسألة الواحدة باسطًا للأدلة، موضحا ترجيحه بين الأقوال دون تعصب لأي مذهب من المذاهب، وهذا ما جعل فتاواه محل قبول ورضا من جميع اليمنيين وغيرهم على اختلاف مناطقهم ومذاهبهم.

وللقاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني-رغم انشغاله بالتدريس والفتيا-الكثير من الكتب والرسائل التي لا يزال معظمها مخطوطًا لم يطبع حتى الآن؛ بسبب تواضعه وإخلاصه وعدم رغبته في الظهور والتصدر والسمعة، ومن الكتب المطبوعة كتاب: نظام القضاء في الإسلام، وكتاب: المجموعة الحديثية والتاريخية، وكتاب: المجموعة الأدبية، جمعها الدكتور محمد غنيم، وكتاب: "الأوائل"، كما جمعت فتاواه وترجيحاته، في كتب كثيرة منها: كتاب: "نيل الأماني في فتاوى القاضي محمد بن إسماعيل العمراني"، في ثلاثة مجلدات كبيرة، جمع وترتيب وتخريج الشيخ عبد الله بن قاسم ذيبان، وكتاب نيل الأماني بأسئلة نعمان الوتر وأجوبة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني"، تأليف الشيخ نعمان بن عبد الرحمن الوتر في مجلد واحد، وترجيحات القاضي العلامة

محمد بن إسماعيل العمراني ضمن كتاب: "تهذيب فقه السنة"، للسيد سابق الذي هذبه الشيخ فؤاد محسن دحابة[1]، وترجيحاته التي جمعتها الشيخة أمة الله الكحلاني[2]، في ثلاثة كتيبات: الأول في الطهارة والصلاة والثاني في الصوم، والثالث في الحج والعمرة وغيرها.

وتميَّز والدي فضيلة القاضي محمد بن إسماعيل العمران- رحمة الله تغشاه-عن غيره من العلماء المعاصرين له في اليمن بعدة صفات قلما تجتمع في عالم، أهمها: الإخلاص والتواضع، وروح الفكاهة، والذكاء، كما أنه رزق قوة حافظة، وسعة إحاطة للحوادث التاريخية وأسماء الأشخاص والمناطق على مستوى اليمن وعلى مستوى العالم الإسلامي.

---

(1) فؤاد محسن دحابة: برلماني يمني ومن طلاب القاضي العمراني ولد في صنعاء عام 1975م ودرس فيها حتى نال شهادة بكالوريوس تربية لغة عربية وترشح في الانتخابات البرلمانية اليمنية التي أجريت عام 2003م وفاز عن حزب الإصلاح في الدائرة 13 بأمانة العاصمة، انظر: مرصد البرلمان اليمني على هذا الرابط:

http://ypwatch.org/members.php?go=member&id=13.

(2) الشيخة أمة الله محمد عبد الله الكحلاني: ولدت بصنعاء في 15 شعبان 1398هـ الموافق أغسطس 1977م وهي من طالبات العلم اليمنيات، أصدرت ثلاثة كتيبات عن ترجيحات القاضي العمراني في: باب الصلاة وباب الحج وباب الزكاة وقد توفيت بحادث مروري أمام جامعة الإيمان، عام: (2005م)، فرحمها الله رحمة واسعة، انظر الوجيز للشيخ محمد الكريمي، صفحة: (877).

القاضي العمراني
عقود من الفتاوى الوسطية

منذ صدور أول فتوى للقاضي العمراني وعمره حينها: 35 عامًا، إلى وفاته وهو العالم اليمني الوحيد الذي صار مرجع أبناء اليمن في الفتوى وقد استمر برنامج فتاوى في الإذاعة لأكثر من ثلاثين عاما حيث كان القاضي العمراني هو من يجيب غالبا عن الفتاوى التي تصل إلى هذا البرنامج.

ثم خصصت له الفضائية اليمنية برنامج أسبوعي للفتاوى بعنوان: "مع أولي العلم"، كان يقدمه المذيع الراحل يحي الدرة رحمه الله، هذا إضافة إلى الفتاوى التي كانت تصل إليه عبر الهاتف الذي لم يكن يتوقف عن الرنين من كثرة الاتصالات عليه من كل مكان في اليمن ومن مختلف أنحاء العالم حتى أوقف الهاتف في منزله لكثرة انشغالاته.

وحيثما حل يلاحقه الناس بالفتاوى شفهيًا، أو عبر الرسائل حتى اشتهر بأنه مفتى الجمهورية اليمنية وإن لم يتول المنصب رسميا وقد أوردت في باب (تواضع القاضي العمراني) رفض القاضي العمراني أن يكون المفتي الرسمي للجمهوري؛ رغم عرض الرئيس السابق علي عبد الله صالح عليه هذا المنصب وإلحاحه عليه وبعد ذلك طالبه الرئيس بترشيح أشخاص فرفض وبعد أن عرض عليه الرئيس عدة أشخاص أيَّد القاضي العمراني

أن يكون العلامة الجرافي مفتيًا للجمهورية، وقد كان العلامة الجرافي يحيل إليه الكثير من الفتاوى رحمهما الله.

جسَّد القاضي العمراني في فتاويه الوسطية والاعتدال فكان كما يقول عن نفسه وسطا بين تساهل العلامة القرضاوي وتشدد العلامة ابن باز، وقد كان يفتي على جميع المذاهب ويفتي لأهل كل مذهب سني وفق مذهبهم، وكان يتحمل الكثير من المشاق ويصبر على الناس، ويروي الدكتور عبد السلام المجيدي-أحد تلاميذ القاضي العمران-أن القاضي رحمة الله تغشاه كان يوما في مسجد الزبيري يلقي درس علمي وكان أحد الحاضرين لديه سؤال ويريد أن يفتيه القاضي فكتبه على ورقة ورمى بها فلم تصل للقاضي فكتبه مرة أخرى ورمى بها فلم تصل للقاضي لأن الحلقة العلمية كانت كبيرة، وفي المرة الثالثة كتبه على الورقة ثم وضع فيها حصى ورمى فجاءت في وجه القاضي الذي تألم وصبر ولم يزد عن قوله: لا تكونوا ترموا بالورق هكذا. ثم أجاب عن السؤال وواصل الدرس رحمة الله تغشاه.(1)

كان محاصرًا بأسئلة أبناء اليمن وغيرهم من خارج اليمن، فهو يفتي في الدروس، وفي الجامع، وفي المحاضرات بالجامعة، وفي معهد القضاء، وفي منزله وحيثما حل يفتي وينصح ويوجه الناس.

---

(1) روى هذه القصة الدكتور عبد السلام المجيدي أحد كبار تلاميذ القاضي العمراني في ندوة عن القاضي العمراني، ضمن برنامج: "أسمار وأفكار"، نقلا عن الشيخ بلال فيصل البحر، وهي ضمن كتاب: (مراثي القاضي العمراني على عتبات الفراق، والمشهور باسم المبتدأ من تراث القاضي العمراني)، جمع الشيخ العلامة: عبد الرحمن علي حسن الآنسي، ويوجد فيديو في اليوتيوب على هذا الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=1F9nsJE_9XI.

وقد ذكرت خلال مقابلتي معه أننا ذهبنا إلى منزله ووجدنا أنه يمضغ كمية قليلة من القات–وهذا قبل 15 عاما من وفاته– ومن الساعة الرابعة عصرًا إلى الخامسة فقط، وخلال هذا الوقت كان يجد رزمة كبيرة من الفتاوى بانتظاره فيقرؤها ويجيب على كل فتوى بخطه وكان خطه الجميل بمثابة قرار رسمي وكان الناس يتعاملون مع فتوى القاضي العمراني بمثابة القول الفصل الذي لا قول بعده، وفتواه حكم ملزم.

لم يثق أبناء اليمن بعالم كما وثقوا بالقاضي العمراني، يأتي إليه أبناء اليمن زرافات ووحدانا من مختلف المناطق، حضرموت أو من تعز أو من حجة أو من الحديدة لكي يفتيهم فيقرأ القاضي هؤلاء الذين كانوا يأتون إليه لا يعني أنه ليس في مناطقهم علماء وفقهاء ولكنهم لا يثقون إلا بالقاضي العمراني ولذا يتجشمون عناء السفر إليه من مناطق بعيدة ولا يرضون إلا بعد أن يروا فتواه بخطه على ورقة السؤال نص السؤال، أو يقرأ تلميذه له السؤال فيكتب القاضي فتواه بخطه على الورقة فتكون الرد الشافي والقول الفصل، وتكون الحكم النافذ والقول الفصل.

يقول نجله السفير عبد الرزاق في كتاب: "سفينة العمراني"[1]: (تصدَّر فضيلة الوالد للإفتاء في سن مبكرة في فتاوى إذاعة صنعاء منذ نشأة برنامج فتاوى واستمر أكثر من 35 عاما حتى ألغي برنامج فتاوى الإذاعي ووفاة معده أحمد العماري وأبرز مقدميه وهو عز الدين تقي، وقد تميَّزت فتاواه عن غيره من المفتين بالاستقلالية وعدم التقيد بمذهب معين؛ فيوضح في المسألة أقول

---

(1) انظر: كتاب "سفينة العمراني معارف ولطائف"، جمع وإعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ: (37).

أهل العلم من مختلف المذاهب بما فيها المذهب الهادوي، ثم يقول ورأيي الشخصي كذا.. دون تعصب أو تحيز لأي مذهب، هذا النهج محل رضا وقبول من الجميع.

وقد قام الشيخ عبد الله بن قاسم ذيبان-جزاه الله خيرًا- بجمع ما استطاع ممن فتاوى الوالد الإذاعية وحققها ورتبها وأخرجها في ثلاثة مجلدات سماها: "نيل الأماني من فتاوى القاضي محمد بن إسماعيل العمراني". أما عن استفتاءاته اليومية التي يلقاها من الناس سواء بالكتابة فكثيرة جدا ففي بعض الأيام تصل إلى مئة سؤال وأقلها تصل إلى ثلاثين سؤالًا، ولا زال على هذا الحال إلى يومنا هذا رغم كبر سنه ومرضه-كان هذا في عام 2013م-، مما جعل الناس يطلقون عليه مفتي الجمهورية في حين أن هناك مفت رسمي للجمهورية معين بقرار جمهوري، وكان الوالد عضوًا في دار الإفتاء اليمنية، لكنه أول ما يقرأ الفتوى يشطب كلمة مفتي الجمهورية، حتى بعد وفاة القاضي العلامة محمد بن أحمد الجرافي مفتي الجمهورية اليمنية-رحمه الله تعالى-وعادة ما تلجأ إليه بعض المجلات الدورية والصحف اليومية وترسل إليه الفتاوى ليجيب عليها ولازال إلى قبيل وفاته يجيب عليها ونظرًا لحالته الصحية صار في الآونة الأخية يستعين بتلميذه الشيخ محمد نعمان الصلوي[1]، كان هذا الحديث في عام 2013م.

(1) محمد نعمان الصلوي، ولد عام: (1984م)، وطلب العلم على جماعة من العلماء، وحضر دروس القاضي العمراني من عام: (2000م)، وعيَّنه القاضي العمراني بعد مرضه عام: (2011م)؛ نائبه الوحيد في الإفتاء بمسجد الزبيري، وصحيفة الثورة، وغيرها، والتدريس بالمسجد، وجامعة الإيمان، ورشحه ليكون الأمين الشرعي بدلًا عنه في الحي الذي يسكن عنه، وهو من الطلاب الأثيرين عند القاضي العمراني، وألف كتاب الفوائد في علم الفرائض، وكيفية صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وغير ذلك.

وكان كثيرا ما تنتدبه وزارة الأوقاف للسفر مع بعثة الحج اليمنية؛ ليكون مفتي الحجيج ومرشدهم الأول في مناسكهم؛ لما له من اطلاع واسع على فقه جميع المذاهب، فقد انتدب لرئاسة اللجنة العلمية للبعثة حوالي: (22) سنة.

وقد سُئل[1] القاضي العمراني رحمة الله تغشاه: كم سؤالًا تجيبون عليه خطيا باليوم والليلة-تقريبا-فضلا عن الأسئلة الشفهية المباشرة أو طريق الهاتف؟

فأجاب القاضي العمراني: خطيًا: ما بين 40 إلى 50 يوميًا-في الغالب-وقد يكون في بعض الأحيان أقل أو أكثر ما بين فتوى وتزكية وشفاعة وتقديم، وهاتفيا ما بين 5 و 7، وقد يكون أقل أو أكثر وهي في غاية السهولة عندي إذا كانت في عطلة المعهد العالي للقضاء وعطلة جامعة الإيمان، مثل هذه الأيام التي مكثتم فيها في صنعاء، أما إذا كانت في أيام الدراسة في جامعة الإيمان وفي المعهد المذكور فإن الإجابات تكون صعبة جدًا؛ لأني أدرس في الجامعة وفي المسجد أو في المعهد وأحتاج إلى مراجعة بعض الدروس، وأحتاج للإجابة عن 40 أو 50 سؤالا في كل يوم، زيادة على التدريس الرسمي في الجامعة أو المعهد والتدريس الشعبي "الروحي" في المسجد، سائلًا العون من الله، علمًا بأن بعض الفتاوى تكون بيد المواطنين، وبعضها على الجملة لبعض المساجد في ملزمة تضم ما بين 10 أو 20 سؤالًا، وبعضها لمحلق صحيفة

(1) انظر كتاب: "مسائل جبران سحاري وأجوبة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني" صـ: (77).

الثورة في رمضان أو في يوم الجمعة، بعد الفجر أجيب عن الفتاوى في المسجد، وقبل الشروق أدرس درسين في المسجد مسجد الزبيري، وفي السابعة أدرس في المعهد العالي للقضاء في بعض الأيام، وفي بعض الأيام في جامعة الإيمان إلى قرب الظهر، وبعد الظهر أنام، وبعد العصر أجيب على الفتاوى، وبعد المغرب أدرس، ولكن لما مرضتُ قرر الطبيب التخفيف علي من الدروس بعد الفجر لكن أبدلته بدرس قبل المغرب بساعة وكسور، وبقيت دروس الجامعة والمعهد على ما هي عليه، والفتاوى أكتبها في الليل.

أول فتوى للقاضي العمراني

وصَلَت إلى محطة الإذاعة اليمنية الأولى من الحديدة، من المستمع: (بلال فتاج مجلي)، أحد الصوفية هناك، عدة أسئلة، فقدمتها الهيئة إلى وزارة المواصلات، يومئذٍ: (سيف الإسلام القاسم)، فأرسلها إليَّ راجيًا مني الجواب عن كل واحد منها، فأجبت بالأجوبة التالية، وأذيعت في: (جماد الأول سنة 1368هـ)، أما الأسئلة فهي كما يلي:

1- هل تصح الصلاة في الطائرة، وكيف صفتها؟

2- هل تصح الصلاة في السيارة، وكيف صفتها؟

3- هل يجوز للمسلم اليمني أن يعمل بخبر دخول شهر الصوم، إذا سمعه من محطة: (لندن)؟

4- هل يسجد السامع لتلاوة سجدة من الراديو، أو أسطوانات الفونغراف؟

5- من هو المارج الذي خلق من نار، هل هو إبليس، أو غيره؟

6- متى خلق إبليس، هل قبل الملائكة، أو بعدهم، وهل الجن يموتون كالإنسان؟

7- من أول من خلق من الملائكة، ومتى يموتون، وأين يقبرون؟

8- هل للكافر ملك يكتب الحسنات؟

9- هل يعلم الميت الذي رآه الحي في المنام أنه التقى بالحي، أم لا؟

10-وهذه هي الأجوبة:

أما مسألة الصلاة في الطائرة، هل يكون حكمها عدم الصحة، أم لها حكم السفينة، فالجواب عنه:

أنها كالسفينة، فما ذكره العلماء من الأحكام في الصلاة في السفينة الجارية، نقول به: تجري على الماء، والطائرة تطير في الهواء، وهكذا كل ما يطير في الهواء، كالقبة الهوائية، المسماة بالبالون.

2- وكذا يجاب عن قول السائل الكريم بعد ذكره مسألة: (الصلاة في الطائرة)، وكذا: (الصلاة في السيارة)، مثل حكمها في السفينة، فما قاله العلماء من الأحكام في الصلاة في السفينة، نقول به في الصلاة في السيارة، إذ لا فرق بينهما، إلا أن الأولى تجري في البحر، وهذه في البر، وهكذا كل ما يجري في البر سواء كان من نوع الأنومبيلات، أم من نوع الترامات، أم من نوع القطارات.

7- إذا سمعنا المذيع بلندن في الراديو مثلًا يقول: الليلة ثبت شهر رمضان، أو سمعناه قرأ آية السجدة، فهل يلزمنا الصوم، وليبين لنا سجود التلاوة نحن بالحديدة أصلًا، وكذا إذا سمعنا آية السجدة من صندوق الغناء، كيف الحكم؟

فالجواب عنه بأنه:

لا يلزمنا الصوم عند سماع ذلك الخبر حتى يراه في أقطارنا عدلان، أو عدل واحد على الخلاف في ذلك، وذلك لأن مطلع مدينة لندن غير مطلع مدينة الحديدة، فالأيام في لندن مخالفة في الأوقات لأيام الحديدة، كما هو معلوم لدى كل من له أدنى عناية بهذا الشأن، فأين مدينة الحديدة من عاصمة بريطانيا؟!

وإليك الدليل على ذلك:

أخرج مسلم، وأبو داود، والترمذي عن كُرَيب مولى ابن عباس، أن أم الفضل بعثته إلى معاوية بالشام، قال: فقدمت الشام، فقضيت حاجتها، واستهل عليَّ رمضان، وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني عبد الله بن عباس، ثم ذكر الهلال، ثم قال:

متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة. فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم، ورآه الناس، وصاموا، وصام معاوية. فقال: لكنَّا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين، أو نراه. فقلت: أولا تكتفي برؤية معاوية، وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

وإذا كان حبر الأمة ابن عباس-رضوان الله عليهما-لم يعتمد وهو بالحجاز على رؤية أهل الشام مستندًا في ذلك أمر الرسول-صلى الله عليه وآله وسلم-لهم ذلك، فبالأولى، والأحرى عدم اعتمادك أيها السائل الكريم، وأنت بالحديدة على رؤية أهل لندن، وغيرها من البلدان البعيدة عن بلادنا.

وهذا مبني على القول: باختلاف المطالع، وأنه لا يلزم أهل بلد غيرها رؤية أهل بلد غيرها، وقد اختلف العلماء في ذلك على مذاهب ستة، ذكرها ابن حجر في: (فتح الباري).

حكى الإمام المهدي في البحر الزخار، عن الإمام يحيى، والهادوية: أنه إذا اختلفت الجهتان ارتفاعًا، وانحدارًا، كأن يكون أحدهما سهلًا، والآخر جبلًا، أو كان كل بلد في إقليم، لم يلزم أهل أحد البلدين العمل برؤية أهل البلد الآخر.

هذا القول: أرجح المذاهب لدينا، وحجتنا حديث: (كُرَيب) المذكور آنفًا، وللبعض من الفقهاء، وشُرَّاح الحديث كلام طويل في تأويل هذا الحديث، وصرفه عن ظاهره، ولكن جميع تلك التأويلات احتمالات لا تدفع الظاهر من الحديث، لا سيما والعلم الحديث قد قرر كروية الأرض، واختلاف المطالع باختلاف الآفاق، وتباعد الأقطار، والأمصار، خصوصًا إذا كان أحد البلدين في قارة، والآخر في قارة أخرى، كميناء اليمن، وعاصمة بريطانيا.

8- وأما السؤال عن سماع آية السجدة من جهاز الراديو، أو من أسطوانات الفونوغراف الذي سمَّاه السائل في سؤاله: (صندوق الغناء)، فالجواب عنه سهل، وذلك بأن نقول:

أما السجود عند سماع تلاوة سجدة القرآن مما شُرِع؛ لإظهار الخشوع، والخضوع، والامتثال، ومن سمع تلاوة السجدة من المذياع، أي جهاز الراديو، ومن ألواح الحاكي، أي أسطوانات الفونوغراف، صدق عليه أنه سمع تلاوة سجدة القرآن، فكان الظاهر أن نحكم بمشروعية السجود عند ذلك السماع، كما قد أفتى به السيد: محمد رشيد رضا في مجلة المنار، ولكنا نحكم بعدم المشروعية لسماع تلاوة آية من آيات السجود، أن يسجد التالي لآية السجدة قد تلاه في صلاة، أو محطة، أو أسطوانة ما دام هذا التالي لم يسجد.

ومهما يكن فمشروعية السجود للسامع مشروطة بسجود التالي؛ ليكون السامع مؤتمًا، والتالي إمامًا، والمعلوم أننا عند سماعنا

لتلاوة الحفاظ الذين نسمع تلاوتهم لآية السجدة من جهاز الراديو، واسطوانات الفونوغراف لا نراهم يسجدون، فلا يشرع لنا السجود، ولنتبرك الآن بإسماعك أيها السائل الكريم بعضًا من الأحاديث النبوية الصحيحة الدالة صراحة على ما ادعيناه:

الحديث الأول: عن زيد بن ثابت، أنه قرأ على النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–: (والنجم إذا هوى) [سورة النجم:1]، فلم يسجد النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–، فلما سأل، أي زيد بن ثابت –رضي الله عنه–، النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–عن السبب في عدم سجوده، قال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم: (كنتَ إمامًا، فلو سجدت، سجدتُ معك)، أخرجه البيهقي. فقد ترك النب –صلى الله عليه وآله وسلم–السجود بعد سماعه لتلاوة السجدة من زيد؛ معللًا هذا الترك بعدم سجود زيد بن ثابت–رضي الله عنه–عند تلاوته لها.

الحديث الثاني: عن عطاء بن يسار–رحمه الله–أن رجلًا قرأ بآية من القرآن فيها سجدة عند النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–، فسجد الرجل، وسجد النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–معه، ثم قرأ آخر آية فيها سجدة، وهو عند النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–، فانتظر الرجل أن يسجد النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–، فلم يسجد! فقال الرجل: يا رسول الله: قرأت السجدة فلم تسجد! فقال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–: (كنتَ إمامًا، فلو سجدتَ، سجدتُ)، أخرجه الشافعي في مسنده هكذا مرسلًا، وأخرجه أيضًا أبو داود في المراسيل.

الحديث الثالث: رواه الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، بمثل حديث عطاء، رواه البيهقي، ولكن الراوي عن الزهري: أبو سلمة، ومقال.

الحديث الرابع: عن زيد بن أسلم –رضي الله عنه–، قال: إن غلامًا قرأ عند النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–السجدة، فانتظر الغلام النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–، أن يسجد، فلما لم يسجد، قال: يا رسول الله: أليس في هذه السورة سجدة؟! قال: (بلى، ولكنك كنت إمامنا فيها، فلو سجدتَ، لسجدنا)، أخرجه ابن أبي شيبة، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ورجاله ثقات، إلا أنه مرسل. فهذا الحديث قد روي عن زيد بن ثابت عند البيهقي في السنن، وعن عطاء بن يسار عن الشافعي في المسند، أبو داود في المراسيل، وعن أبي هريرة عند البيهقي، وعن زيد بن أسلم عند ابن أبي شيبة.

فهذه الأحاديث الصحيحة مصرحة بعدم مشروعية السجود للسامع، مهما كان التالي لم يسجد مطلقًا، ونحن حينما نسمع تلاوة السجدة من جهاز الراديو، أو من اسطوانات الفونغراف لم نرَ التالي بتبع تلاوة السجدة بسجدة فلا يشرع لنا السجود عند ذاك.

9- أما عما يتعلق بالجن، والملائكة، فالجواب عنها يحتاج إلى مقدمة، وهي:

أن مسائل الملائكة، والجن، والموت من المسائل المهمة العظيمة التي لا يجوز لأي مؤمن الجزم بحكم من أحكامها إلا

مربوطًا بدليل صريح من القرآن العزيز، أو السنة النبوية المطهرة، المأخوذة من كتب الحديث الصحيح، التي ألفها الأئمة الثقات من رجال الحديث المختصين، الذين لا يقبلون من الأحاديث النبوية إلا أحاديث الثقات ممن يساويهم في العدالة، والضبط بأسانيد متصلة، ليس فيها أي على، أو شذوذ، كما أنهم يردون كل حديث اتصف بالإرسال، أو العضل، أو الانقطاع، أولئك أئمة الحفاظ الذين لا يقبلون أساطير جهال الإخباريين، وخرافاتهم، وإسرائيلياتهم، التي حشيت بها كتب التفسير، ومجلدات التاريخ.

والمحققون من أئمة الكلام، والتفسير، والآثار لم يتعرضوا لمسائل الجن، والملائكة، والموت الآتي ذكرها السائل في أسئلته هذه؛ طالبًا منَّا الإجابة من رأينا فيها، مستندين إلى أوضح الدليل الصحيح.

وربما ذكر البعض من أولئك المحققين بعضًا من تلكم المسائل المذكورة، ولكنهم في الغالب لا يربطونها بدليل صحيح من كلام الله –تعالى–، أو من كلام رسول الله–صلى الله عليه وآله وسلم–، المنقول إلينا من وجهٍ صحيح.

ولا يخفى عليك أيها السائل الكريم أن أمثال هذه المسائل العظيمة مما لا مسرح فيها للاجتهاد، ولا مجال فيها للرأي، والقياس، والاستنباط، كما أنه لا يقبل فيها قول لأحد من رجال العلم، ما لم يستند فيه إلى ظاهر آية، أو حديث شريف صحيح، وفي ذلك هو القرآن الكريم، وأحاديث الرسول المعصوم –صلى الله عليه وآله وسلم–، مهما وردت من طريق صحيح، قال تعالى:

(وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)، [سورة النساء:59]، وهاك الجواب عن الأسئلة الثلاثة الآتي تتعلق بالجن:

فالأولى منها، هو عن الجآن الذي خلقه الله تعالى من مارج من نار، من هو؟ هل هو إبليس، أو الجن، والشياطين، أم هو غيره؟

والجواب عنه: أن المراد به إبليس، والدليل على ذلك السنة الصحيحة المبينة لما أُجمل في القرآن الكريم، وذلك البيان، هو ما أخرجه مسلم في صحيحه عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– أنه قال: (خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجآن من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم)، رواه مسلم. فقد بيَّن الحديث أن المراد بالجآن في الآية الكريمة، هو: إبليس لا غيره مما عسى أن يُقال في تفسير الآية الكريمة. وقد أخرج الإمام محمد بن جرير الطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة أنه قال: الجآن هو إبليس. وقال الإمام محمد بن جرير في تفسير قوله تعالى: (والجان خلقناه من قبل من نار السموم)، [سورة الحجر:27]: عنى بالجآن هنا إبليس.

الثاني: هل إبليس خُلق قبل الملائكة، أم بعدهم؟

والجواب عنه مبني على مقدمة، وهي: أن العلماء اختلفوا في جنسية إبليس، هل كان من جنس الملائكة؟ أم من جنس الجن؟ فمنهم من قال: (بالأول). ومنهم من قال: (بالثاني).

فمن قال: إنه من الملائكة احتج بالاستثناء في قوله تعالى: (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس)، وقال: إن الاستثناء من غير الجنس خلاف الأصل.

ومن قال: إنه كان من الجن، لا من الملائكة، كالزمخشري، واحتج بقوله تعالى: (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)، [سورة الكهف:50].

وأجابوا عن دليل الأولين: بأن الاستثناء منقطع، لا متصل، والانقطاع وإن كان خلاف الأصل، ولكنه خرج لقرينة تدل على ذلك، وهي الآية الكريمة المصرحة بأنه كان من الجن.

كما أجاب الأولون القائلون: بأن إبليس من الملائكة، يطلق عليهم لفظ الجن؛ لاجتنابهم، واستتارهم من الأعين.

وقالوا: لما قد ورد من ذلك في القرآن، أيضًا في قوله تعالى: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا)، [سورة الصافات:158]، والجِنة هنا هم: الملائكة؛ لأنهم قالوا: أن الجِنة بنات الله؛ بدليل قوله تعالى: (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثًا)، [سورة الإسراء:40].

وكتب التفسير ملأى بمثل هذا مما لا نرى الإطالة بذكره الآن؛ لخروجه عن المقصود.

إذا تقرر هذا، فعلى القول الأول: يسقط السؤال عمن خُلق أولًا، الملائكة، أم إبليس؛ لأنه على القول المُصرح بأن إبليس من جنس الملائكة فلا أولية بينه، وبين الملائكة؛ لأنه واحدًا منهم خلقه الله معهم قبل أن يخلق الثقلين.

أما على القول بأنه من الجن، أو أنه أبو الجن فلعله لم يخلق إلا بعدهم، وذلك مبني على مقدمتين، وهما:

أن القائلين: بأنه ليس من الملائكة يقولون إنه أبو الجن، والشياطين، كما أنه يقولون: أنه الجن لم يخلقوا إلا بعد خلق الملائكة؛ استنادًا إلى ما ذكره الإمام: محمد بن جرير الطبري، والمسعودي، وغيرهما من المؤرخين أن: خلق الجن كان متأخرًا عن خلق الملائكة، فتكون النتيجة هي: أن خلق إبليس كان بعد خلق الملائكة. هذا يمكن أن يُقال. ولكن الأولى عندي في هذه المسألة، وغيرها من مسائل الملائكة، والجن: الإيمان الجملي بما جاء عنهم في القرآن الكريم، والسنة المطهرة الصحيحة، وذلك بأن نعتقد أن إبليس مهما كانت جنسيته: عبد أمره الله بالسجود لآدم، فأبى، واستكبر، فطرد من رحمة الله، وسكن الأرض، وكان من المهملين، واتخذ له من أمته الجن، والشياطين سبيلًا إلى غواية الناس، ولا نحكم عليه بأنه كان في الأصل ملكًا عظيمًا، وأنه لم يُخلق إلا جنيًا، ونعتقد أيضًا أن الجن خلق خلقهم الله قبل خلق الإنس، فأمرهم بالعبادة له –سبحانه وتعالى–، كما أمر الإنس: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)، [سورة الذاريات:56، 57] من دون تعرض لتأريخ خلقهم، ومتى كان، وهل كان قبل الملائكة، أم بعدهم، وهل كان خلق أبيهم إبليس بعد الملائكة –عليهم السلام–، أم قبلهم؛ لأن ذلك من المسائل اللاتي لم يتعبدنا الله بها، وحسبنا أن نؤمن بما جاء عن الجن، والملائكة في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف من

دون تعرض إلى اعتقاد جزئيات لم تربط بدليل صحيح، ينبني عليه مثل هذا الاعتقاد، فمن آمن بالجن، وإبليس على الصفة المأخوذة من الكتاب، والسنة، ولم يتعرض لتأريخ الخلق لإبليس، وبيان الجنسية له، فقد اتبع الحكمة، وفصل الخطاب، ومن وقف مباحثًا، ومسائلًا عن جزئيات علوم خفية استأثر الله بعلمها، فقد اتبع غواية الشيطان: (إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا)، [سورة الإسراء:53]، وقد جاء في الصحيح من حديث عمر –رضي الله عنه– أن جبريل –عليه السلام– سأل النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– عن الإيمان، فأجاب–صلى الله عليه وآله وسلم–بقوله: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره، وشره)، وأما السؤال عن الجن هل يموتون أم لا؟

فالجواب عنه: أنهم كغيرهم، يحيون كما يحيون، ويموتون كما يموتون، ويفنون كما يفنون، والآيات في الكتاب العزيز مصرحة بأن: (كل نفس ذائقة الموت)، [سورة الأنبياء:35]، وأن كل من على الأرض فانٍ، ولا بقاء لأحد سوى ربنا ذو الجلال، والإكرام. ولا تلتفت إلى ما أخرجه الإمام: محمد بن جرير الطبري، عن وهب بن منبه أنه قال: قد سئل عن الجن: هم أجناس؟

فأما خالص الجن، فهم ريح لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يموتون، ومنهم: أجناس يأكلون، ويشربون، ويموتون، ومن هذه الأصناف: السعالي، والغول، وغيرهما. وهذا القول من وهب بن منبه محض رأي لم يربط بدليل، ولا شبهة دليل، فلا ينبغي لأي إنسان أن يشغل نفسه بالاحتجاج عليه. ولا بأس بأن نتبرك بتلاوة

بعض آيات من الذكر الحكيم مما يدل على ما قررناه، قال تعالى: (أولئك الذين حقَّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين)، [سورة الأحقاف:18]، قال أهل التفسير: في هذه الآية دليل على أن أمم الجن تموت، وتفنى كالأمم من الإنس. وقال تعالى: (ما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجانحيه إلا أمم أمثالكم ما فرَّطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)، [الأنعام: 28]. وقال تعالى: {كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنَّة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور). وقال تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه). وقال تعالى: (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام). فكل قول: بأن هناك نوع من أنواع المخلوقات كبيرة كانت، أو صغيرة، طائرة كانت، أو زاحفة: لا تموت، فهو قول هراء، وهو كلام فاسد فلا معنى له، فكل شيء صائر إلى العدم، وإلى الزوال إلا وجه الله ذي الجلال، والإكرام.

وأما السؤال عن الملائكة، وعن أول من خلق منهم، فلم يرد في الكتاب، والسنة فيما أعلم، بل ولا في كتب التأريخ تعيين ذلك، وإذا أتى في بعض الأساطير فلعله لا يصح، وفي الحقيقة لم يتعبدنا الله-سبحانه وتعالى-إلا بالإيمان بأنهم (عباد مكرمون) الأنبياء[1].

(1)انظر: كتاب: (مقالات القاضي العمراني)، صد: (240).

القاضي العمراني العلامة المحدث

اشتهر القاضي العمراني بأنه الفقيه المجتهد ولكن القاضي العمراني جمع إلى الفقه علم الحديث وعلوم أخرى فقد كان-رحمة الله تغشاه-من كبار العلماء المحدثين فقد قرأ في بداية الطلب صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن كما قرأ كتب مصطلح الحديث وكان أول من درس صحيح البخاري ومسلم في صنعاء أيام الأئمة، ولم يكتف القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-بتدريس صحيحي البخاري ومسلم بل ودس كتب السنن مثل سنن ابن ماجة والترمذي وأبو داود، كما قام بتدريس علم مصطلح الحديث فدرس كتاب " الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث" هو كتاب من كتب علم الحديث، ألفه الحافظ ابن كثير، وكذلك قام بتدريس كتاب " نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر " أحد كتب الحديث ألفه الحافظ ابن حجر العسقلاني، كما قرأ بعض الكتب المتعلقة بالحديث والسنة، مثل (الشفاء) للقاضي عياض، (وزاد المعاد) لابن القيم، وبعض كتب السيرة.

يقول عنه نجله السفير عبد الرزاق العمراني: (يعتبر الوالد من المغرمين بعلوم أهل السنة عمومًا والحديث على وجه الخصوص، درسا وتدريسًا).[1]

---

(1) انظر: كتاب: (سفينة العمراني معارف ولطائف)، إعداد السفير عبد الرزاق العمراني، صـ: (42).

وللقاضي العمراني أسانيد عالية في كتب الحديث، ومنها سنده إلى صحيح البخاري، حيث يروي عن شيخه الواسعي، عن العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، عن العلامة عيدروس بن عمر، عن العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، عن العلامة محمد بن محمد بن سنة الفلاني، عن العلامة أحمد بن العجل اليماني، عن القطب النهرواني، عن الطاووس، عن بابا يوسف الهروي، عن الجمال الفرغاني، عن ابن مقبل الختلاني، عن محمد بن يوسف البربري عن الإمام الكبير البخاري.

كما للقاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-رسالة في الرد على مقالة حول صحيح البخاري بعنوان: (رد على من قال: ليس كل ما في البخاري صحيح بل فيه افتراء ومنكر)(1)، فنَّد فيها أقوال المهاجمين لصحيح البخاري من الذين قالوا: إن في البخاري افتراء ومنكر. ورد عليهم، وبيَّن ضلال مذهبهم.

والقاضي من الذين تعلقوا بالصحيحين، حفظًا ودرسًا ودفاعًا وشرحًا وبيانًا، وله رسالة في تنقيح الأحاديث الموجودة في كتاب (البحر الزخار)، ورسالة في أغلاط العلماء في أسماء الرواة، كما له عدة مقالات تتبع فيها أخطاء الإمام الشوكاني من الناحية الحديثية، وله كذلك رسالة عاب فيها على المؤلفين في الفقه لعدم

---

(1) انظر كتاب: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية)، تأليف الدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ: (249)، ومبحث: القاضي العمراني محدثًا بارعًا، من كتاب الوجيز، للشيخ محمد نايف الكريمي، مرجع سابق، صفحة: (453).

اهتمامهم بصحة الأحاديث في كتبهم، بل يذكرون الأحاديث على ما نقلوها عن غيرهم، من غير تحقيق ولا تمحيص[1].

وقد ثار القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-عندما علم بأن البعض يهاجمون العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني-رحمة الله تغشاه-وينتقضون منه وقال ردا على سؤال: ما رأيك فضيلة الشيخ بمن ينتقصون من العلامة الألباني ويقولون عنه ذاك باحث لا محدث ولا بعالم؟

فأجاب القاضي العمراني بقوله: ثكلته أمه، وعدمته عشيرته؛ هذا الذي قال عن الإمام الألباني-أمير المؤمنين في الحديث والسنة النبوية-: ليس بعالم ولا بمحدث! هذا الرجل لا ندري ما نسميه هو: إما مغفل أو متعصب.

وأضاف القاضي العمراني: "الألباني أمير المؤمنين في الحديث في هذا العصر الحديث"[2].

ومما يناسب هذا المقام ما أورده الدكتور عبد الرحمن الأغبري عن قراءة القاضي العمراني لكتب العلامة الألباني رحمه

---

(1) انظر: فقه الحديث في منهج العلامة العمراني للباحث د عامر أبو سلامة في موقع: " رابطة أدباء الشام، على هذا الرابط:
http://www.odabasham.net/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A9/28565-%D9%81%D9%82%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A-.

(2) انظر: فيديو للقاضي العمراني على اليوتيوب بعنوان: (الألباني أمير المؤمنين بالحديث لعلامة اليمن العِمراني) على هذا الرابط:
.https://www.youtube.com/watch?v=_LSFgvtBsV4

الله حيث قال: (ثم لا أنسى أن أذكر مطالعته لكتب الألباني الحديثية وغيرها من كتب المحدثين، الأمر الذي أنعكس على فتاواه ودروسه وارشاداته، وربما كان هو أول من طالع كتب الشيخ الألباني في اليمن والله أعلم، فأصبح القاضي محمد بعد هذا كله لا يرفع إلى التقليد رأسًا، ولا يرى في مخالفة الكثير من شيوخ أهل زمانه باسًا، متجافيًا عن كل بدعة تشوب دينه، عاملًا بالدليل، وغير معرج على القال والقيل، مجتهدًا في كثير من المسائل، منكرًا على بعض مشايخه كل ما لا يمت إلى الحق بطائل؛ فواجه نتيجةً لذلك كثيرًا من المتاعب والمصاعب والمشاكل، حتى غمط حقه وأنكر فضله بين أنصاف العلماء المتعممين المتزلفين لعوام الناس، فضلًا عن خواصهم بالترويج للمذهب وإن كانوا يعرفون أن الحق في غيره، مظهرين أن الحق في مذهبهم، فيروون له الأحاديث المنكرة، متجاهلين بذلك صحة الإسناد، فكم من حديث مكذوب في كتبهم مخالفين به الأمهات الست؛ وللقاضي محمد تعليقات على كتبهم).[1]

(1) انظر: كتاب: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية)، تأليف الدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ: (192).

تنبيه القاضي العمراني على الأحاديث الموضوعة

نبَّه القاضي العمراني في فتاواه وفي دروسه ومحاضراته على مئات الأحاديث الموضوعة والضعيفة وحذَّر منها حيث كتب في مجلة الشقائق اليمنية سلسلة بعنوان: (التحذير مما لم يكن بصحيح من الأحاديث).[1]

وقد أفرد نجله السفير عبد الرزاق العمراني في كتابه "سفينة العمراني" مرسى كاملا للأحاديث الموضوعة والضعيفة ضعفًا شديدًا حيث أورد مئات الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي حذر منها القاضي العمراني ونبه عن حالها وقد قسَّمها إلى:

أولا: الأحاديث الموضوعة والضعيفة ضعفا شديدا والتي قيلت في فضل القرآن الكريم، وفضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفضل آله وأصحابه وبعض الأوقات والأماكن وعددها حوالي 76 حديثا.

ثانيًا: الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة ضعفًا شديدا في مسائل العبادات وعددها 35 حديثا.

---

(1) مجلة "الشقائق" اليمنية كانت تصدر عن قسم الطالبات بجامعة الإيمان وكان القاضي العمراني ينشر فيها سلسلة التنبيه مما ليس بحديث وفي كتاب (سفينة العمراني معارف ولطائف)، أورد السفير عبد الرزاق العمراني المئات من هذه الأحاديث الموضوعة.

ثالثًا: الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة جدا في فقه العبادات وعددها 39 حديثا، كما أورد مئات الأحاديث الموضوعة والضعيفة جدًا في مواضيع أخرى وهذه مجرد نماذج جمعها السفير عبد الرزاق وأحال من يريد التوسع إلى كتب فتاوى القاضي العمراني ومؤلفاته.

وتحدث القاضي العمراني عن المدلسين في علم الحديث والرواة الذين رووا أكثر من ألف حديث وتسلسل مشيخة علماء الحديث وأئمة المذاهب وسبب تسمية الإمام أبو حنيفة بهذا الاسم وأصل أئمة الحديث وأقسام الحديث ومراتب أهل الحديث وروى قصة بقي ابن مخلد في الوصول للإمام أحمد بن حنبل-رحمهما الله تعالى-وطلب العلم عليه وقصة أربعة من أئمة الحديث وتحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري ومن هو الحافظ ومن هو الحجة في علم الحديث وتحدث عن أبي عبيد القاسم بن سلام.

القاضي العمراني يتحدث عن كتب الأحاديث الموضوعة والضعيفة

وقد استدرك القاضي العمراني على كتاب "وبل الغمام على شفاء الأوام" لشيخ الإسلام الشوكاني فأكد أن ما أورده الشوكاني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (جبلت القلوب عل حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها) فيقول القاضي العمراني: إن هذا الحديث في عداد الموضوعات؛ لأن في سنده إسماعيل بن أبان وهو وضاع كما نص على ذلك الكثير من علماء الجرح والتعديل، منهم: يحيى بن معين والبخاري وأحمد بن حنبل والأزدي وابن حبان وغيرهم، وإذا لم يكن موضوعًا فسيكون من باب الضعيف الشديد الضعف أو الواهي.[1]

ويقول القاضي العمراني: (وانظر إن شئت ما قاله العلماء الكبار مثل: ابن الجوزي في العلل المتناهية، والسمهوري في الغماز على اللماز، والملا علي القاري في الأسرار المرفوعة، وابن طاهر في تذكرة الموضوعات، والكرمي في الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، والسندروسي في الكشف الإلهي في شديد الضعف والموضوع والواهي، والأزهري في تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين، والغماري في المغير على موضوعات

(1) انظر: كتاب: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته العلمية والدعوية)، تأليف الدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ: (314).

الجامع الصغير، ومحمد الأمير المالكي الكبير في النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية، والقاوقجي في اللؤلؤ المرفوع في الحديث الموضوع، والألباني في ضعيف الجامع الصغير، وفي كتابه: الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، وغيرهم ممن ألف في الأحاديث الموضوعة، ومنهم الإمام الشوكاني نفسه في كتابه المشهور (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة)، الذي ألَّفه بعد (وبل الغمام) بمدة طويلة.

وانظر-إن شئت-:مؤلفات الكثير ممن ألف في الأحاديث الدارجة على الألسنة والمشهور بين الناس في العصور المتأخرة من عصور الإسلام، وذلك مثل: السخاوي في المقاصد الحسنة في الأحاديث الدارجة على الألسنة، والزرقاني في مختصر المقاصد، والديبع في تمييز الطيب من الخبيث، والسيوطي في الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، والزركشي في اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، والغزي في "إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن" والحوت البيروتي في أسنى المطالب، والقاضي محمد بن محمد جار الله مشحم الصعدي ثم الصنعاني في النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة، كما نص على مثل ذلك ابن كثير في البداية والنهاية، وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان، والمناوي في فيض القدير، وغيرهم.

دراسة عن جهود القاضي العمراني في علم الحديث

وللباحث المصري الدكتور عامر أبو سلامة[1] دراسة متميزة بعنوان: "فقه الحديث في منهج العلامة العمراني"، تحدث فيها عن القاضي العمراني وترجم له ثم تحدث عن جهوده العلمية والدعوية وعن عنايته بعلم الحديث، والاهتمام به وضرب أمثلة ونماذج ويرى أن منهج القاضي العمراني في فقه الحديث يتمثل بما يأتي:

1- الفقه المقارن: حيث يذكر آراء العلماء من المجتهدين في المسألة... لأن هذا يظهر وجه الحق في المسألة، إذ أن آراء العلماء، تمثل الفهوم المتنوعة للنص، فمن الضروري معرفة آراء هؤلاء العلماء، لأنها تساعد كثيرًا على الترجيح، ومن لم يعرف اختلاف العلماء فليس بعالم، ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء لم تشم أنفه رائحة الفقه.[2]

من هنا اهتم القاضي العلامة العمراني بحفظ آراء العلماء وله معرفة واسعة بخلاف الفقهاء حتى أنه إذا بدأ بسرد آراء الفقهاء في المسألة، يدهش الحاضرين ويحوز على إعجابهم.

---

(1) الدكتور عامر أبو سلامة: باحث وأكاديمي مصري له عشرات الدراسات العلمية المنشورة في مواقع مصرية وعربية، ولم أعثر له على ترجمة وافية.

(2) انظر: (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم)، صـ: (72) د/ يوسف القرضاوي – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية – 1992م.

2- الاستدلالي: لا يكتفي بسرد آراء الفقهاء، بل لابد من معرفة أدلة كل فريق من هؤلاء العلماء، وأدلة كل مذهب من المذاهب.

وفي هذا المجال (الاستدلالي) تبرز قدرة القاضي الحديثية، ومعرفته المتينة في هذا العلم الشريف.

3- الترجيحي: إذ بعد أن يذكر آراء العلماء، ويذكر أدلتهم على المسألة، ثم يناقشها، ويعمل قواعد الترجيح المعروفة عند الأصوليين، يختار القول الراجح في المسألة.

يقول الشيخ عبد الله قاسم ذيبان عن جهود القاضي العمراني في علم الحديث: (ففي مجال معرفة أنواع الحديث، من حيث القبول والرد، فهو البحر الذي لا تكدره الدلاء، فهذا حديث صحيح، ويبرهن على قوله بصحة الحديث، وكذا إذا حكم بضعفه، أو وضعه، أو أي حكم على الحديث والتأكيد على ضرورة المنهجية الحقة، في التعامل مع الأحاديث. ومن حضر دروسه، أو قرأ الفتاوى التي كتبها، أو الأبحاث الصغيرة التي سطرها، يدرك هذه الحقيقة تمام الإدراك. وفي هذا يقول: (لأن إسناد الحديث المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضروري ولازم، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ولا سيما إذا كان الحديث سيعارض في أحاديث أخرى، مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومثل هذا الحديث الذي احتج به المحتج على تحريم أو كراهة الضم في الصلاة، فإنه سيعارض عدة أحاديث متواترة، وهي مرفوعة إلى رسول الله–صلى الله عليه وآله وسلم–

ودالة على مشروعية الضم في الصلاة. فلا بد لمن يريد الاحتجاج به أن يتثبت كثيرًا، ولا يرويه إلا بعد معرفة سنده إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، وعلى فرض أن هذا الحديث موجود في كتب السنة، فوجوده لا يكفي حتى تعرف صلاحيته للاحتجاج، فكم من حديث مروي في كتب الحديث، معروف من رواه، ومن أخرجه، ولكنه عند أهل الحديث غير صالح للاحتجاج به من جهة سنده لا يكفي، بل لا بد أن يكون صالحًا للاحتجاج به من جهة المتن، أي من جهة دلالة الحديث على الحكم المطلوب، بأن يكون صريحًا في الدلالة.[1]

---

(1) نيل الأماني في فتاوى القاضي العمراني، جمع الشيخ عبد الله قاسم ذيبان، مرجع سابق.

القاضي العمراني يوضح كيفية التعامل مع الأحاديث إذا تعارضت

من الفوائد الذهبية التي تحدث عنها القاضي العمراني والتي تدل على تبحره في علم الحديث والتي أحببنا أن ننقلها هنا للقارئ الكريم هي رؤية القاضي العمراني لكيفية التعامل مع الأحاديث النبوية إذا تعارضت؟ وكيفية الجمع بين الأحاديث ومتى يتوقف العالم عن الجمع بين الأحاديث؟

يقول القاضي العمراني: (الأحاديث إذا تعارضت فالعلماء يقولون: اللازم أنها إذا كانت صحيحة كلها أنه يُجمع بينها لأن الجمع ما بين الحديثين أفضل من الترجيح ومن النسخ، وذلك قد ألف العلماء فيه كتاب "تأويل مختلف الحديث"، للعلامة ابن قتيبة، فيجمع بين الحديثين المتعارضين، قال العلماء: إذا تعارض حديثان صحيحان فيجب على الإنسان أن يلاحظ بينهما وقد ألف الإمام الشافعي كتاب وسماه "مختلف الحديث" وألف الإمام ابن قتيبة كتاب "تأويل مختلف الحديث" وهذا الكتاب موجود مطبوع يباع في المكتبات.

القاضي العمراني يبين كيفية الجمع بين الحديثين المتعارضين

يقول القاضي العمراني مثلًا: من نذر بماله كله يختلف الشخص الذي سينذر بماله كله لأن الأحاديث قد تعارضت فورد ما يدل على أنه لا مانع للإنسان أن يتنازل عن جميع أملاكه مثلما تنازل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأبي بكر رضي الله عنه في الاستعداد لغزوة تبوك في أيام العسرة: (ما تركت لأهلك؟) فقال: (يا رسول الله إني قد تطوعت بجميع ما أملك من المال) وسلمها إلى النبي صلى الله عليه وسلم عند تأسيس جيش العسرة فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (ما تركت لأهلك؟)، فقال: تركت لهم الله ورسوله. فهذا يدل على أنه لا مانع للإنسان أن ينذر بجميع أملاكه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أقرَّ أبا بكر على تنازله عن أملاكه، وأيضا ورد في الآية الكريمة: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) في حق الأنصاري الذي آثر الضيف على أهله وعلى أطفاله، هذا يدل على الجواز، ولكن ورد حديث كعب ابن مالك الذي تخلف عن غزوة تبوك، فكعب ابن مالك فحينما نزلت آيات التوبة وتاب الله عليهم من فوق سبع سموات قال: يا رسول الله أنا قد نذرت أنه إذا تاب اللهُ عليَّ أن أخرج وأتصدق بجميع مالي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الثلث) فلم

يقره إلا في الثلث ولم يأذن له، فاختلف العلماء، كيف أذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر ولم يأذن لكعب ابن مالك؟!

والجواب: أنه إن كان هذا الإنسان الذي سيتنازل عن جميع أملاكه يستطيع أن يتاجر ويقترض ويرد الأموال فلا مانع من ذلك، ونحمل هذا على ما ورد في حديث أبي بكر لأنه ضي الله عنه كان له وجاهة يستطيع أن يحصل قروضًا وأن يتاجر؛ لأنه كان تاجرًا منذ أن كان في مكة وتاجرًا حينما كان في المدينة، هذا لا مانع له، وإذا كان الإنسان سيخرج جميع ماله ويسأل الناس ويضطر إلى سؤال المخلوق فلا يجوز ولهذا جمع العلماء بينهم، وقد ورد حديثان متعارضان فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (سبق درهم مائة درهم)، وذلك أنه رجل لم يكن له إلا درهمين فقط فتصدق بدرهم وبقي له درهم وذاك تصدق بمائة في حين أنه يملك الآلاف، هذا دليل على أن صدقة الفقير أفضل وورد حديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى)، يعني أن الصدقة من الغني أفضل من الصدقة من الفقير والأول يدل الدليل على أن الصدقة من الفقير أفضل جمع العلماء بينهم بأنه إذا هذا الفقير سيصبر ويحتسب لوجه الله ولا يسأل الناس فالصدقة منه أفضل من الغني وأما إذا كان الفقير سيتصدق ثم بعد ذلك سيسأل الناس فهذا حرام لا يجوز فالأفضل أن تكون صدقته بعد أن يغتني, ولهذا ورد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما رأى رجلا يسأل الناس فجمعوا له فجمعها ثم رغب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس في الصدقة فكان أول من تطوع

هو فردها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى وجهه وقال: (كيف نتصدق عليك وتكون أول من يتصدق؟)، فهذا دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يقبل الصدقة من الفقير إذا قد كان سيتصدق ثم يسأل الناس أما إذا سيؤثر على نفسه كما ورد في آية: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)، وحديث أبي بكر فلا مانع جمعًا بين الدليلين.

القاضي العمراني يوضح كيفية الجمع بين الأحاديث بالتاريخ والصلة بالقصة

قال القاضي العمراني: (إذا لم يتمكن الإنسان من الجمع ما بين الحديثين ينظر أيًا الحديث المتقدم وأيًا المتأخر، فإذا كان أحدهما متقدمًا والآخر متأخرًا، جعل المتأخر ناسخا للمتقدم، مثل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لمن كان يريد أن يعتمر وبه أثر طيب: (أنه يغسل عن نفسه الطيب ثم يلبي)، هذا الحديث صحيح، وورد حديث صحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم لإحرامه وكان يرى أثر الطيب في مفرقه وهو محرم)، والحديثان صحيحان، الحديث الأول أخرجه مسلم والحديث الثاني أخرجه البخاري ومسلم فتعارضا، لكن رجعنا إلى التاريخ فوجدنا أن أحدهما متقدم وهو حديث: (اغسل عنك الطيب ثم اعتمر)، وذلك في السنة التاسعة من الهجرة، وحديث عائشة مؤرخ أنه في حجة الوداع وحجة الوداع في السنة العاشرة؛ ولهذا رجحنا مذهب الجمهور القائلين: بأنه لا مانع للإنسان أن يتطيب قبل أن يلبي، يتطيب ثم ينزل إلى السيارة فيقول: لبيك اللّٰهم لبيك وأثر العطر لا زال على جبهته، لا مانع من ذلك؛ عملًا بالحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها فهو أرجح من الحديث الأول؛ لكونه في السنة العاشرة من الهجرة، والأول في السنة التاسعة.

القاضي العمراني
يجيب متى نرجع لترجيح حديث على آخر؟

قال القاضي محمد بن إسماعيل العمراني: إذا لم يعرف المتقدم من المتأخر نرجع إلى الترجيح فنرجح ما كان أقوى من ناحية السند أو من ناحية المتن مثل ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوج بأم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وهو محرم، وورد حديث أنه ما تزوج بها إلا بعد أن حلَّ من الإحرام في غزوة الحديبية فتعارض حديثان وكلاهما صحيحان، فنرجع إلى الترجيح؛ فحديث ابن عباس أنه كان محرم وحديث ميمونة أنه كان حل فرجحنا حديث ميمونة لأنها صاحبة الشأن ومن كان صاحب القصة فهو أرجح، وأيضا روي من حديث أبي رافع أنه كان قد تحلل من الإحرام, وأبو رافع كان هو الواسطة ما بين رسول الله صلى عليه وآله وسلم، وما بين ميمونة رضي الله عنها، فيرجح من كان له علاقة على من ليس له علاقة، كذلك أن القصة وقعت في السنة السابعة من الهجرة وعمر ابن عباس عشر سنين لأنه مات النبي صلى الله عليه وسلم وعمره ثلاثة عشر سنة وهذا في السنة السابعة للهجرة فقد تحمل الرواية وهو قاصر في تسع سنين أو عشر سنين بينما أبو رافع تحملها وهو كبير في السن فيرجح من تحمل الرواية حالة كونه كبيرًا بالغًا على من كان تحملها وهو صغير.

القاضي العمراني يجيب
متى يتوقف عن ترجيح حديث على آخر؟

قال القاضي العمراني: (إذا لم يستطع العالم ترجيح حديث على آخر يتوقف إذا تعارض حديثان ولم يعرف المتقدم ولا المتأخر ولا هناك وجه للترجيح نتوقف مثلما أنا متوقف فيمن سيدخل المسجد بعد العصر هل يصلي ركعتين أم لا، فإذا دخل الإنسان المسجد بعد العصر فإذا ركع كعتين فقد عمل بحديث: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين)، وإذا لم يصلِّ فقد عمل بحديث: (لا صلاة بعد العصر)؛ حديثان متعارضان فحديث: (لا صلاة بعد العصر) أعم، سواء كانت تحية المسجد أو غيرها وحديث: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين) أعم من أن يكون بعد العصر أو في وقت آخر وكلاهما نهي لأنه يرجح النهي على الأمر وكلاهما أخرجه البخاري فلا ندري أيهما المتقدم ولا أيهما المتأخر فلهذا أنا متوقف كما توقف الإمام الشوكاني، أما الإمام الشافعي فلم يتوقف؛ لأنه قال حديث: "لا صلاة بعد العصر"، المراد لا صلاة نافلة مطلقة أما ذات السبب وذلك مثل تحية المسجد أو سُنة الوضوء فلا مانع مثل صلاة الكسوف وغيرها لكني لا أخص إلا صلاة الكسوف فإذا كسفت الشمس بعد العصر فلا مانع أن نصلي صلاة الكسوف لأننا إذا انتظرنا لن يأتي وقت المغرب إلا وقد زال الكسوف والجنازة أيضا نصلى عليها ولو بعد العصر.

موقف القاضي العمراني من الاجتهاد ودعوته لنبذ التعصب

رغم أن القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-ولد وعاش في بيئة هادوية يغلب عليها التعصب إلا أنه ابتعد عن التعصب المذهبي وتحرر من التقليد وقام بتدريس كتب السنة في صنعاء أيام الأئمة وواجه الكثير من المشاكل من قبل العوام المتعصبين قبل غيرهم من المتعصبين في السلطة ومن الوجهاء والأعيان وقد أوردنا قصصه مع قاسم العزي وسيف الإسلام الحسن نجل الإمام يحي وغيرهم، ولم يعرف عن القاضي العمراني خلال عمره الطويل أنه انحاز لمذهب أو جماعة أو تعصب لاتجاه أو تيار ولكنه ظل يدعو إلى وحدة الصف ولم الكلمة ويحارب الفرقة والعصبية ولذا استحق أن يكون العالم الذي أجمع عليه أبناء اليمن من مختلف التيارات والاتجاهات باستثناء قلة قليلة من المتعصبين.

وقد سُئل القاضي العمراني[1]: هل واجهت مشكلة في مسألة التحرر من التمذهب في فترة من الفترات؟

فأجاب القاضي: إلا قد كان في بعض الأحوال يقولون عني: "سني"، هذه الأيام يقولون للمتحرر: "وهابي"، فقبل ثورة

---

(1) انظر: جزء من مقابلة القاضي العمراني في قناة المجد في برنامج: "صفحات من حياتي"، على اليوتيوب بعنوان: "لقاء قديم مع القاضي العلامة العمراني على قناة المجد السعودية" على هذا الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=Oi07hEU9R8A.

1962م ما كانوا يقولون لمن يعمل بالسنن، أو يدرس مؤلفات السيد محمد بن إسماعيل الأمير، أو مؤلفات العلامة المقبلي، أو مؤلفات شيخ الإسلام الشوكاني، أو يقرأ صحيح البخاري ومسلم أو غيرها من كتب الأمهات الست؛ يقال له: "سني"، وقد حدثت لي قصص، منها: أنني كنت أدرس وجاء لي السيد قاسم العزي- زعيم المحافظين الزيدية-فكان يأتي ويسأل: ماذا يدرسون؟ فيقولون له: هو يدرس مجموع الإمام زيد فيذهب، فمرة جاء وأنا في قمة الشباب، جاء بعد الظهر فقال: ما هذا الكتاب الذي تدرِّس؟ فقلت: هذا كتاب "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار"، تأليف شيخ الإسلام القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني، وهذا الكتاب "سبل السلام شرح بلوغ المرام"، تأليف السيد العلامة البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، فما كان منه إلا أن صاح: اتقوا الله: خربتوا عقائد الناس، القبائل سيأتون ينهبوكم ما قد قطعش ما نهبوكم ولا قد قطع كذا وكذا!! وأنا سكتُ فبقي يتكلم وأنا ساكت ثم ذهب يتوضأ وأبطأ وأنا فرغت من الدرس وخرجت فجاء وقد خرجت فسأل عني قالوا: قد خرج. فقال: قولوا له يبطل تدريس هذه الكتب وإلا سأرفع به إلى وزير المعارف السيف علي ابن الإمام يحيى يقطع معاشه-الذي كنت آخذه من المدرسة العلمية-مع أنه لا علاقة لتدريسي بالمدرسة العلمية بتدريسي في الجامع، فالمدرسة رسمية وبمنهج رسمي من الدولة من نحو ولغة وغيرها أما تدريسي لعلم الحديث فمجانا تطوعا كما كان يدرس الأولين من الإمام مالك إلى اليوم وهو تدريس حر ليس للدولة دخل به ولا نأخذ عليه مقابل إلا لوجه الله.

وفي هذا الحوار يوضح القاضي العمراني كيف نبذ التقليد والتعصب المذهبي[1].

السؤال: كيف تحولتم من المذهب الزيدي المحسوب على الشيعة، إلى السنة؟

أجاب القاضي العمراني: (لم أتحول من المذهب الزيدي، وإنما تطورت، وأنا لم أتحول ولازلت زيديًا إلى اليوم وإنما أقرأ وأتطور، وأبحث وأجتهد في مسائل أخرى ولا يزال لدي الكثير من المسائل الفقهية التي أفتي فيها على المذهب الزيدي الذي درسته منذ البداية).

السؤال: يعني أنت زيدي المذهب؟

أجاب القاضي العمراني: (لا، أنا لا زيدي ولا شافعي، تستطيع أن تقول: أني مستقل-أحد الطلبة يقول: مجتهد-، فيرد عليه القاضي: لا، أنا لا أستطيع أن اسمي نفسي مجتهدًا؛ لأنها كبيرة عليَّ، وإنما أقول: أنا مستقل، وأنا لست ممن يدعي أنه أصبح مجتهدًا، وإنما مستقلًا ومتخيرًا لبعض ما يستطيع أن يرجحه).

السؤال: متى بدأتم عملية التطور التي نقلتكم من المذهب الزيدي إلى الاستقلال؟

أجاب القاضي العمراني: (بدأت عملية التطور منذ أن كان عمري 17 سنة وأنا أتطور حيث كنت أدرس كتاب شرح الأزهار في المذهب الزيدي وكنت أقرأ وأطالع كتاب تحفة الذاكرين

---

(1) أجرى هذا الحوار لصحيفة "إيلاف" اللندنية الإعلامي الدكتور محمد الخامري والحوار متوفر على شبكة النت على هذا الرابط:

https://elaph.com/Politics/2004/12/29906.htm.

وغيرها من كتب الحديث، وكنت أقرأ كتب "الدراري المضيئة" و"سبل السلام" في الفقه).

السؤال: هل هناك من اثّر عليك وشجعك على دراسة كتب الشوكاني وإخراجك من الزيدية؟

أجاب القاضي العمراني: (لست الشخص الوحيد الذي نشأت في بيئة زيدية ثم تحررت، فهناك السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير، والسيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال، والشيخ العلامة صالح المقبلي، والسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، والقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني؛ هؤلاء ظهروا في بيئة زيدية، ولد الجلال في صعده ثم انتقل إلى الجراف، الشوكاني والأمير في صنعاء، ولا يوجد شخص معين كان لديه هذه الرغبة لكني تأثرت بالقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني، والسيد العلامة محمد رشيد رضا محرر مجلة المنار التي كانت جريدة ثم رجعت مجلة، ثم أخرج تفسير المنار، حيث كنت أستعير مجلة المنار من الجامع الكبير وأطالعها في تلك الأيام التي كان لا أحد يعرف ماهي المنار، فكنت أطالعها وأقرأ آراءه العلمية وفتاواه الشرعية والأبحاث والدروس العلمية التي كان يكتبها في مجلته وتأثرت بها كثيرًا، فالفضل بعد الله جل وعلا في استقلالي يرجع أولا للقاضي الشوكاني الذي مات سنة 1250 هجرية، ثم للعلامة محمد رشيد رضا الذي مات سنة 1354هجرية أي قبل أن نعرفهم.

عقيدة القاضي العمراني

يقول الشيخ نعمان الوتر عن شيخه القاضي العمراني: (وقد عرفته عن قرب وتتلمذت عليه وسألته أسئلة كثيرة كان يجيب عليها بخطه وطبعتها في كتاب ومنها أني سألته عن مذهبه العقدي وأجاب أنه على عقيدة السلف أهل السنة والجماعة في كل شيء. وسألته عن مذهبه الفقهي وهل هو زيدي؟ فأجاب: بأن مذهبه مذهب الصنعاني والشوكاني وأنه يجتهد ويعمل بالدليل. وسألته عن علماء السنة المعاصرين كابن باز والألباني والعثيمين وغيرهم كابن تيمية وابن القيم فقال:

أولئك أشياخي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وكان يلقب الشيخ مقبل بالحافظ، ويعده من جهابذة العلماء.

وسألته: عن مسألة الرؤية وخلق القرآن والشفاعة وخروج العصاة من النار والخروج على الحكام الظلمة وكلها من مما يخالف فيه المعتزلة والزيدية فأجاب في جميعها: بما يقرره أهل السنة قديما وحديثا، ورأيته عالما مجتهدا حافظا لكلام العلماء وأقوالهم ووقائع التاريخ وتواريخ الأحداث صاحب دعابة ولين جانب ورأيت أسهل شيء عليه الرجوع عن خطئه إذا نبه عليه دون تردد ولا تبرم، وقد أمضى من عمره نحو ثلثي قرن في تعليم المسلمين وإفتائهم وتدريس كتب السنة والحديث والفقه وله عناية كبيرة

بالكتب الستة وكتب الصنعاني والشوكاني وكتب ابن القيم، وقد أوذي وسجن في دولة بيت حميد الدين بسبب تدريسه للصحيحين وكتب السنة وبسبب عقيدته).

ويضيف الشيخ نعمان الوتر: (شيخنا القاضي العلامة العمراني يحظى باحترام وتقدير كبير في المجتمع اليمني عند العامة والخاصة وتحمل إليه الفتاوى من جميع انحاء البلاد ويثق الناس بفتواه ورضى بما يقول من طال نزاعهم وعظمت خصومتهم ولا ينكر هذا الا مكابر، وكثير من قضاة اليمن ووزرائها من تلاميذه ولا تكاد ترد له شفاعة عند المسؤولين كبارهم وصغارهم).

ويقول الشيخ عبد الرحمن العيزري: (عقيدة القاضي العمراني هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وربَّما يقع في بعض الأخطاء في تفاصيل الاعتقاد، وهذا حاصلٌ عند بعض أئمة العلم، يقع لهم الخطأ عن اجتهاد وتحرّ للحق ولا تُخرج الرجل عن كونه على عقيدة أهل السُّنة والجماعة إذا كان في الأصول على منهجهم. وقد صرَّح القاضي رحمه الله بأنه من أهل السنة يتبع السلف الصالح في مناسبات عديدة، منها: ما سمعته منه بنفسي وهو في بيت الإمام الشوكاني في بلدة (هجرة الشوكاني) لما زرناها عام 1418هـ بمعيَّة القاضي: إسماعيل بن علي الأكوع رحمه الله تعالى (ت: 1429هـ)، فقد قال: "أنا عقيدتي عقيدة السلف الصالح، أنا سلفي العقيدة"، وأحيانًا يجيب عمَّن يسأله عن عقيدة في باب الأسماء والصفات فيقول: "عقيدتي ما في كتاب الشوكاني التحف في الإرشاد إلى مذهب السَّلف"، فهو يقرر مذهب أهل السنة

والجماعة في هذا الباب وفي أصول الإيمان؛ خاصة ما يتعلق بالمعتزلة ومن على شاكلتهم من الفرق في مخالفتهم في باب القدر، والخروج على الحكَّام).[1]

(1) انظر ما كتبه الشيخ عبد الرحمن العيزري بعنوان: صفحاتٌ مضيئةٌ من سيرة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العَمراني على مركز سلف للدراسات والبحوث على هذا الرابط:
https://www.msf-online.com/%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A7%D8%AA%D9%8C-%D9%85%D8%B6%D9%8A%D8%A6%D8%A9%D9%8C-%D9%85%D9%86-%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B6%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D9%85/.

مذهب القاضي العمراني

إذا تساءل البعض عن مذهب القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-فإن نجله السفير عبد الرزاق العمراني قد أجاب الجواب الشافي حيث كتب في مقدمة كتاب (سفينة العمراني معارف ولطائف)[1]، ما يلي:

قد يتساءل البعض ما مذهب القاضي العمراني أسني أم سلفي أم زيدي؟ وللجواب عن هذا نسترجع حديثه مع طلبته والصحفيين الذين يسألونه عن مذهبه فيقول: "أنا نشأت في بيئة زيدية مثل جميع أهل صنعاء وجميع أهل مناطق الزيدية في اليمن، وبدأت دراستي الأولية على المذهب الزيدي، ومع البحث والاجتهاد أستطيع القول بأني تطورت غير أني لازلت إلى يومنا هذا أفتي في بعض المسائل على المذهب الزيدي أو الشافعي أو غيرهما بمعنى أنني لا زيدي ولا شافعي وإنما مستقل"، وعندما يصفه طلبته بأنه مجتهد يرد عليهم بالقول: "لا، فأنا لا أستطيع أن أسمي نفسي مجتهدًا لأنها كبيرة علي وإنما أقول أنا مستقل، ولا أدعي انني أصبحتُ مجتهدًا بل مستقلًا ومختارا بعض ما يترجح عندي.

(1) انظر: كتاب (سفينة العمراني معارف ولطائف)، للسفير عبد الرزاق العمراني صـ: (41 ـ 42 ـ 43).

وأنا لست الشخص الوحيد الذي نشأ في بيئة زيدية ثم أستقلَ، فهناك القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، والسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، والسيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير، والسيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال، والشيخ العلامة صالح المقبلي، هؤلاء ظهروا في بيئة زيدية " أيضًا، ويعتبر الوالد من المغرمين بعلوم أهل السنة عمومًا والحديث على وجه الخصوص، درسا وتدريسًا.

وفي لقاء بمجموعة من علماء وطلبة علم أردنيين، جاءوا لزيارته سنة 2009م في بيتي بالأردن حينما كنت أعمل بالسفارة اليمنية في عمان وكانوا نحو (20) رجلًا، وعلى رأسهم الشيخ العلامة أبو عبد الرحمن عبد الله الموصلي، وبعد أن أجازهم جميعًا سألهم عن مذهبهم في الفروع فقالوا: نحن من متبعي الدليل فقال أي أنتم سلفيون؟ فقالوا: نعم. فقال: وأنا كذلك، ثم عقب وقال شعرًا:

مسلكي في الفروع أسلك فيه   مسلك ابن الأمير والشوكاني

وأما عقيدتي فهي ما قاله الإمام الشوكاني في كتابه "التحف في مذاهب السلف".

وبهذه العقلية والانفتاح على جميع المذاهب فقد حاز الوالد- رضي الله عنه-رضا غالبية الناس، فتجد في حلقات دروسه أطيافًا مختلفة من الناس، من شتى المذاهب والفرق والبلدان والطوائف وكلهم معجب به وبعلمه، وتواضعه، وإنصافه، واعتداله، ونشاطه، وحبه للعلم والمتعلمين، كيف لا وهو صاحب القول

الخالد الذي يدعو إليه حين يقول: (إن من أوجب الواجبات في هذا العصر وحدة الصف والجماعة وإن التفرقة من أقبح البدع وأشنعها). ولهذا فقد نال تقدير الجميع ومُنح شهادات تقدير رمزية من مختلف المؤسسات العلمية والفقهية الحكومية وغير الحكومية، سواء في صنعاء أو تهامة أو حضرموت، أو المملكة العربية السعودية وغيرها، وتقديرًا له تم تأسيس مؤسسة باسمه " مؤسسة القاضي العمراني العلمية " بأمانة العاصمة صنعاء، وهي مؤسسة علمية خيرية تهتم بالعلوم الشرعية ونشرها بين الناس من خلال تخريج وعاظًا وحفاظًا لكتاب الله تعالى.

وقد نقلت ما كتبه السفير عبد الرزاق العمراني كاملًا؛ لكونه الرد البليغ والجواب الشافي والإيضاح الوافي لكل من سأل عن مذهب القاضي العمراني وعقيدته.

وقد سئل القاضي العمراني من قبل أحد طلابه: ما قولكم يا شيخنا في الأسماء والصفات؟

فأجاب القاضي العمراني: (آمنا بالله). ثم أردف إجابته بما أجاب به الإمام مالك بن أنس: (الكيف مجهول، والاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة). ثم قال: (السؤال عن هذه الأمور من البدع، وعلينا التسليم، ولا فائدة تجنى من وراء البحث عن هذه المسائل، ولنقل: سمعنا وأطعنا وآمنا

وصدقنا، ويسعنا ما وسع السلف في عدم بحثهم لهذه المسائل، ونسأل عما كلفنا به في مسائل الصلاة، الطهارة).[1]

فعقيدة شيخ الإسلام الشوكاني التي ذكرها في كتابه "التحف في مذاهب السلف" تتلخص في مسألة آيات الصفات، فقد اختلف العلماء في آيات الصفات مثل قوله تعالى: (يدُ الله فوق أيديهم) وقوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان) وقوله: (الرحمن على العرش استوى) وغيرها من آيات الصفات، ومثل الحديث النبوي: "إن الله سبحانه وتعالى ينزل في آخر الليل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له"، فاختلف العلماء على ثلاثة أقوال؛ القول الأول: مذهب المجسمة وهو أن الله تعالى مجسد حقيقة، والاستواء حقيقي وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي يحملونها على ظاهرها. والقول الثاني مذهب الأشعرية والمعتزلة والزيدية الذين يقولون بالتأويل؛ فيداه مبسوطتان أي سخيتان كريمتان، وفي قوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم)، أي أن قوة الله فوق قوتهم، وفي قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)، أي استولى، وأيضا في الحديث: "إن الله سبحانه وتعالى ينزل في آخر الليل... إلخ"، فالنزول هنا نزول رحمته وهكذا.

أما القول الثالث: فهو مذهب السلف، وهو الإيمان بالله، فلا نؤول، ولا نحمل على الظاهر، إنما نقول: آمنا بالله كما آمن الصحابة والتابعون فلم يأولوا ولم يحملوها على الظاهر بل آمنوا

---

(1) انظر: كتاب (القاضي العلامة العمراني وحياته العلمية والدعوية)، للدكتور عبد الرحمن الأغبري صد: (29).

بالله، وهذا هو مذهب الإمام الشوكاني، وقد بيَّن ذلك في كتابه "التحف في مذهب السلف".[1]

---

(1)انظر: مبحث عقيدة القاضي العمراني، ضمن كتاب الوجيز، للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صفحة: (438).

كيف يتعامل القاضي العمراني مع المتعصبين؟

لقد صار للقاضي العمراني -رحمة الله تغشاه- خبرة طويلة في التعامل مع المتعصبين وأساليبهم وطرق الرد عليهم واقناعهم وفيما سيأتي يوضح لنا القاضي العمراني طريقة للتعامل مع المتعصبين من الهادوية وكيف يكون الرد عليهم وبطريقة عملية هادفة.

سئل القاضي العمراني[1]: كيف يتعامل الواحد مع الهادوي المتعصب الذي لا يقول بالضم، ولا بالرفع، ولا بقراءة الفاتحة خلف الإمام، ولا بالتوجيه بعد تكبيرة الإحرام، ولا بالتأمين، ولا بالتورك، ولا بالدعاء، ولا بالتأشير في التشهد عند قوله: لا إله إلا الله، كيف نتعامل معه؟

فأجاب القاضي العمراني:

اذهب اشترِ له كتاب: (المسائل المرضية في اتفاق أهل السنة على سنن الصلاة والزيدية)[2] للسيد العلامة: محمد بن إسماعيل الأمير. الذي خرج أخيرًا باسم: (مسائل علمية)، هذا الكتاب من أحسن ما يُعالج به الرجل الجامد الذي يقول لمن كان يعمل

---

(1) انظر: الفائدة رقم: (98)، من الميئية من الفوائد المروية عن قاضي الديار اليمنية، الفصل التاسع من كتاب الوجيز، للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صفحة: (999).

(2) انظر: كتاب (المسائل المرضية في اتفاق أهل السنة على سنن الصلاة والزيدية)، تأليف العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، مكتبة العلامة محمد بن عبد الرحمن العبيكان طبعة 1380هـ.

بالسنة: هذا مذهب أهل البيت، أعطه هذا الكتاب، كنت أشتريه، وأقول لهم: اذهبوا اشتروه، وقسِّموه؛ لأجل يقرأ الناس هذه المسألة، فإذا قال: خالف علي بن أبي طالب، وخالف: زيد بن علي، أو المؤيد بالله، قل له: اسمع ما قال في مجموع زيد بن علي، اسمع ما قال في الجامع الكافي... إلخ. حالًا يتورع قليلًا، ثم بعد ذلك يقول: أما الآن ماذا نفعل؟! فقل له: اقرأ كتاب الروض النضير شرح مجموع زيد بن علي، تعرف أنه سيأتي له بشواهد لمذهب زيد بن علي، ويقول لك: أن زيد بن علي أرجح، ثم بعد ذلك قل له: أن زيد بن علي هو شيخ أبو حنيفة، فالمذهب الحنفي متولد من المذهب الزيدي، وهكذا تُقربه، فتقل له: أبو حنيفة هو: شيخ محمد بن الحسن، وأبو يوسف، وأن أبا يوسف، ومحمد بن الحسن هما شيخان للشافعي،كما أن الشافعي تلميذ لمالك،كما أن الشافعي شيخٌ لأحمد بن حنبل، كما أن أحمد بن حنبل شيخ للبخاري، والبخاري شيخ لمسلم، فالمسألة متقاربة، لكن الآخرين المتعصبين فارقوا بينها، وإلا فالمسألة بسيطة، هذا: مسلمٌ، وأبو داود، والترمذي من تلاميذ البخاري، والبخاري من تلاميذ أحمد، وأحمد من تلاميذ الشافعي، والشافعي من تلاميذ مالك، ومالك من تلاميذ: محمد بن الحسن، وأبو يوسف، وهما من تلاميذ أبي حنيفة، وأبو حنيفة من تلاميذ زيد بن علي، فالمسألة بسيطة، والناس متقاربين، لكن الناس المتأخرين حزبوهم، وتعصبوا، وتفرقوا حتى أصبحت كأنها ملل، وكأنها فرق، والواقع أن المسألة بسيطة.

قرِّبه قليلًا، قليلًا.

فلهذا هذا الكتاب الذي طبع في أيام الملكية، طبعه العبيكان، الوزير السعودي[1]، وقسَّمه، ففهم الناس، وتقاربوا، ثم حين طُبع مرَّة ثانية، أنا قرأت هذا الكتاب مخطوط، وعاد عمري نحو: (17)، أو: (18) سنة، وكتبته بخطي، وعلمت أن المسألة بسيطة، وأنهن متقاربات، ووقع بسبب أني أطالع مجموع زيد بن علي، وأطالع بلوغ المرام، وأطالع كتب السنة، وأفهم أن المسألة بسيطة، واستطعت أن أخالف الناس، فإذا قالوا لي كيف تِحْجِف؟! لا يقولون: كيف تضم، بل يقولوا: تحجف، وتخذف[2]، أقول: لأن الإمام زيد بن علي قد خذف، وأنا زيدي، وأنتم لستم زيدية، هذا أحسن شيء تُلزمه.

إذا قلت له: أن في مجموع زيد بن علي، أو في أمالي أحمد بن عيسى بعض هذه المسألة، يَقْرب أحسن مما تقل له هذا في: سنن أبي داود، أو في صحيح البخاري، قرِّبه أولًا بطريقة الإلزام، وتقول: قد قال بهذا القول زيد بن علي عن أبيه عن جده، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عسى يتقرب، وبعد أن يقرب ائت له بالأحاديث.

وهذه الرسالة قد طبعت طبعة ثانية، زيد فيها نحو: ست مسائل من الأشياء التي خالف فيها علي بن أبي طالب –رضي الله

(1) الشيخ محمد عبد الرحمن العبيكان، ولد بالرياض عام 1317هـ ثم عمل في تجارة اللؤلؤ ثم عمل أميرًا لمنطقة بيشة ثم عُيِّن عضوًا في مجلس الشورى ووزيرا مفوضا في اليمن من 1958م إلى 1961م، ثم عَيِّن سفيرا مفوضا ومندوب فوق العادة في السودان وله رحلات عديدة وجهود علمية وله كتاب مذكرات ولم أعثر على تاريخ وفاته رحمه الله.

(2) تحجف: أي تضع يدك اليمنى على اليسرى في الصلاة وهي بلهجة أهل صنعاء، ويخذف: أي يرفع يديه في تكبيرة الإحرام، يرفعها بمحاذاة أذنيه وكلمة يخذف قيلت بلهجة أهل صنعاء.

تعالى عنه–، لكن لا ندري في أي مكتبة تُباع، اسمها: الأنوار المضيئة على المسائل المرضية، أتى بهذه المسائل الثمان، وزاد فوقها نحو عشر مسائل مما يصمم عليه الهادوية في حين أنهم قد سبقهم بعض أهل البيت، هذه الرسالة من أحسن الرسائل، ولا ندري في أي مكتبة هي، ومن جملتها: (حي على خير العمل).

الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله تعالى عنه–لم يؤذن بـ: (حي على خير العمل)، قال السيد، العلامة: محمد بن إسماعيل الأمير في كتاب منحة الغفار على ضوء النهار، حينما أيَّد السيد الحسن الجلال: (الحيعلة)، قال: لأنه مما يُقال عنه أنه منع منها أمير المؤمنين: (عمر بن الخطاب) –رضي الله تعالى عنه–، وقال: سيتكلوا على الصلاة، ولا يجاهدوا.

وهذا دليل من قال بـ: (حي على خير العمل).

السيد: محمد بن إسماعيل الأمير قائلًا: لو كانت من أيام النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–، وأيام أبو بكر –رضي الله تعالى عنه–، ومنعها عمر –رضي الله عنه–، كان أمير المؤمنين: علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– هو الذي سيردها، وقي بقي في الخلافة بعدهم خمس سنين إلا أشهرًا، ولم يروَ عنه أنه أمر المؤذنين بأن يقولوا: حي على خير العمل، وهذا دليل على أن مذهب: علي بن أبي طالب –رضي الله تعالى عنه– هو مذهب سائر الخلفاء الراشدين، وهو: أنها غير مشروعة، وهكذا بعض المسائل، لا أذكرها الآن، ليست مما تفرد بها الهادوية، بل ممن قال بها بعض علماء آل البيت، على نسق ما كان يعمله الأمير.

القاضي العمراني مؤرخًا

من المعروف بأن القاضي العمراني موسوعي الثقافة؛ ولذا فإن له في التاريخ باع طويل، لكن القاضي لم يؤلف كتبًا في التاريخ، أو يخصص له الدروس والمحاضرات مثل سائر العلوم الشرعية، كالفقه، والحديث وغيرهما؛ ولذا فقد اشتهر بالفقه أكثر من شهرته بالتاريخ، ولكن القاضي حتى في دروس الفقه يروي الكثير من القصص والأحداث التاريخية المتعلقة بالموضوع، كيف لا وقد كان الكثير من مشايخه من المؤرخين المشاهير أمثال العلامة محمد بن محمد زبارة صاحب الكثير من المؤلفات في علم التاريخ، منها كتاب: (نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر)، وهو الذي كتب له رسالة إلى الإمام أحمد في تعز أثنى عليه وشهد له بعدم التعصب المذهبي مما كان لها أثر كبير في منع استهدافه من قبل المتعصبين وعلى رأسهم قاسم العزي وغيره كما ذكرنا ذلك من قبل.

يقول القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-(أول كتاب طالعته في التاريخ هو كتاب: (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني)، ومن هنا تشوقت للقراءة والاطلاع لأكون مثل فلان وفلان.

ومن مشايخ القاضي العمراني من المؤرخين الذين استفاد منهم المؤرخ عبد الله عبد الكريم الجرافي مؤلف كتاب" موسوعة نبلاء اليمن" وكتاب " المقتطف في تاريخ اليمن " وكذلك الشيخ

عبد الواسع بن يحي الواسعي وكان المؤرخ الشهير القاضي إسماعيل الأكوع صديق القاضي العمراني وكان القاضي العمراني يقول عنه: (القاضي إسماعيل الأكوع شيخي في التاريخ وأنا شيخه في الفقه)[1].

وقد سئل القاضي العمراني: الملاحظ عليكم القدرة على حفظ تواريخ العلماء والعظماء والدول بدقة فائقة، لماذا الاهتمام بحفظ التواريخ؟

فأجاب القاضي العمراني: (لأنني سمعت المحدثين يقولون: ما استعنا على كذب الكذابين بمثل التاريخ فبواسطة التاريخ نستطيع أن نفرق بين الحديث الصحيح والموضوع وبواسطته نعرف التدليس ونعرف البصيرة أو الوثيقة المزورة حينما يزورها على أنها من العلامة الفلاني ثم يؤرخها في تاريخ بعد وفاة ذلك العالم أو قبل مولده، أو يزوّر على أي عالم من العلماء فنستطيع أن نعرف الصحيح بالتاريخ.[2]

---

(1) انظر مبحث: القاضي العمراني مؤرخًا إخباريًا حافظًا، ضمن كتاب الوجيز للشيخ محمد الكريمي، مرجع سابق، صفحة: (388).

(2) انظر: مقابلة القاضي العمراني مع صحيفة: "ايلاف" اللندنية وسبق الحديث عنها.

القاضي العمراني
العلم بالتاريخ يكشف التزوير

يروي القاضي العمراني قصة تبين أهمية التاريخ في فضح المتعالمين، وهذه القصة تقول: أنه في عهد القاسم بن الحسين، أحد أئمة الدولة القاسمية، جاء إليه واشٍ يخبره بن السيد محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني يدرس في حلقته كتاب ضوء النهار المشرق على صفحات الأزهار للسيد الحسن بن أحمد الجلال؛ بينما هذا الكتاب أمر بإحراقه الإمام القاسم بن محمد علي الرشيد، مؤسس الدولة القاسمية! ولما جيء إلى الأمير الصنعاني، وأخبروه بهذا الأمر تعجب، وقال لهم: حينما كان الإمام القاسم إمامًا، كان الجلال ما يزال طفلًا يلعب في الشارع، وحينما توفي الإمام القاسم بن محمد، كان عمر السيد الجلال: (17) عامًا، فكيف أنه ألف كتاب ضوء النهار، فأمر الإمام القاسم بإحراقه؟! يقول القاضي العمراني: وهكذا استطاع السيد محمد بن إسماعيل الأمير دحض فرية الواشين باستخدامه علم التاريخ.

ويروي السفير عبد الرزاق العمراني أن من القصص التي تعرض لها والده، وكشفها؛ لعلمه بالتاريخ أنه عرضت عليه بصيرة (وثيقة مليكة بيت) معمَّدة بخط شيخ الإسلام الشوكاني ومؤرخة في عام 1251هجري، وما إن اطلع عليها الوالد حتى قال: إن هذه

الوثيقة مزورة فالإمام الشوكاني توفي عام 1250هجري، أي قبل تحرير الوثيقة بسنة واحدة وبهذا حكم أنها مزورة.

ويضيف القاضي العمراني: (قد جاءني واحد ومعه بصيرة ويشارع ناس وعندما رأيت البصيرة قلت له: هذه البصيرة مزورة، لماذا؟ لأني رأيت أن من ضمن الشهود السيد محمد بن علي زبارة، بينما زبارة حبس عند قيام الثورة، ثوة 26 سبتمبر 1962م، ثم قتل بعد أيام من قيام الثورة، أي قبل تحرير الوثيقة فكيف جاء يشهد مع صاحبنا بعد الثورة بعدة سنوات؟!، وهكذا).[1]

---

(1) انظر: كتاب (سفينة العمراني معارف ولطائف)، إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 65.

القاضي العمراني
موسوعة تاريخية متكاملة

من قرأ كتاب: سفينة العمراني يدرك مدى سعة اطلاع القاضي العمراني على أحداث التاريخ، وقُوَّة حفظه للقصص والأحداث والدروس والعبر، فقد رست هذه السفينة على شواطئ كثيرة: منها: مرسى "تاريخ بعض المناطق اليمنية " فقد أخبر القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-بتاريخ العديد من المدن والمناطق اليمنية، أمثال: جبل النبي شعيب[1]، فالنبي شعيب ليس المراد به النبي المذكور في القرآن الكريم، وإنما نسبة إلى نبي آخر اسمه شعيب بن مهدم، نزل على أهل حضور غرب صنعاء وهي قرى بني مطر والحيمتين، كما يذكر القاضي العمراني أن سبب تسمية مدينة الحديدة[2] بهذا الاسم هو نسبة لامرأة اسمها (حديدة) سكنت في هذه القرية وكان لها خان يستريح فيه المسافرون، فاشتهرت تلك المنطقة وسميت باسمها، وأن الحجرية[3] لم يظهر هذا الاسم إلا في القرن الثامن الهجري، فهي لم

---

(1) جبل النبي شعيب أعلى قمة في الجزيرة العربية والشام ويقع في مديرية بني مطر بمحافظة صنعاء على طريق الحديدة ويرتفع عن سطح البحر بـ 3670م يتضمن الجبل أثارًا وهي مسجدٌ وقبّة، يُقال: أن بها ضريح النبي شُعيب.

(2) محافظة غرب اليمن تقع على البحر الأحمر وفيها ميناء الحديدة وتبعد عن صنعاء بحوالي 226 كيلو مترًا.

(3) الحجرية: الحُجَريَّة أو مخلاف المعافر أكبر قضاء في محافظة تعز، إذ يمتد حدودها على أربع محافظات، هي: إب وتعز ولحج والضالع، وتضم مديريات: خدير والصلو وحيفان وسامع والشمايتين، والمواسط وجبل حبشي والمعافر والوازعية.

تذكر بهذا الاسم في تاريخ بني رسول وإنما كان اسمها التاريخي بلاد المعافر نسبة إلى معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث، ومن أشهر الشخصيات التي تنتسب للمعافر الملك الأندلسي المنصور بن أبي عامر المعافري الذي حكم الأندلس بعد آخر خليفة أموي، والذي اشتهر بغزواته وحروبه مع النصارى والتي لم يهزم في أي منها، كما أنه ينتسب إليها عبد الملك المعافري، مؤلف أشهر كتب السيرة النبوية والمعروفة باسم سيرة ابن هشام المولود في مصر يعود أصله إلى المعافر اليمنية، وقرية جوزة سحر[1] بسنحان، ويقال: أن الملكة بلقيس بن الهدهاد المشهورة ولدت في هذه القرية، وأما قصر غمدان[2] حيث يؤكد القاضي العمراني أن قصر غمدان المذكور في التاريخ والذي كان مقرًا لسيف بن ذي يزن والذي وصل إليه عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس هو "قصر السلاح" الذي في صنعاء الآن؛ فالسلطان أحمد بن حاتم اليامي أحد سلاطين اليمن هو الذي سمى قصر السلاح بقصر غمدان، وأما قصر غمدان الذي سكن فيه الملوك فهو في مكان المنازل التي شرق الجامع الكبير والتي يصعد الناس إليها بالدرج هي من بنيت على أطلال قصر غمدان إلى عند الجبانة التي فيها القضب وعند سوق العنب؛ هذه المساحة كلها تابعة لقصر غمدان والجامع الكبير بُني في بستانٍ تابعٍ للقصر.

---

(1) جوزة سحر: قرية بسنحان من ضواحي صنعاء.
(2) قصر غمدان: قصر تاريخي شهير بصنعاء.

ويتحدث القاضي العمراني عن الجامع الكبير بصنعاء وقصة بنائه[1] والمسمورة والمنقورة وهما ساريتان في الجامع الكبير فالذي ينكر شيئا يطلب منه أن يحلف عند هاتين الساريتين (عمودان في الجامع الكبير)، ولها حرمة عند العوام، والقاضي العمراني يؤكد أنها هي بدعة وخرافة لا أساس لها من الصحة رغم أن قصتهما قديمة وقد ذكرها الإمام يحي بن حمزة في كتابه (الانتصار)[2] الذي ألفه في القرن الثامن الهجري، حيث قال: إذا وصلت ولايتي إلى صنعاء سأزيل هذه البدعة ويقصد بها الدعامتين وما يُعتقد فيهما.

ويؤكد القاضي العمراني أن سبب تسمية منطقة الحصبة في العاصة صنعاء[3] بهذا الاسم أن جيش أبرهة الحبشي عندما أراد مهاجمة الكعبة المشرفة وبناء كعبة على شكل كنيسة في صنعاء أرسل الله تعالى طيرًا أبابيل أهلكت أبرهة وجيشه والفيلة التي استخدمها في مهاجمة الكعبة، إلا أن أحد أولئك الجنود الأحباش هرب حتى وصل تلك المنطقة من صنعاء فالتف حوله الناس يسألونه عما حدث لهم من عقاب وكيف أن الطيور كانت ترميهم بحجارة صغيرة فيسقطون صرعى، وبينا هو كذلك مر طير في السماء فرآه وقال له : كهذا الطير، فوصل الطير إلى فوق هذا الرجل

(1) انظر كتاب: (سفينة العمراني معارف ولطائف)، اعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 427.

(2) كتاب: (الانتصار على علماء الأمصار) من كتب الفقه لدى الهادوية، تأليف الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن إبراهيم بن علي الحسيني المتوفى سنة 749 هـ، للتفاصيل على هذا الرابط : 2695/https://www.zaidiah.com/aticles.

(3) حي في شمال شرق العاصمة اليمنية صنعاء.

ورماه بحجر (حصبة) فمات فورًا، فسمِّيت تلك المنطقة بالحصبة.[1]

ويمضي القاضي العمراني في ذكر أسماء حارات صنعاء القديمة وأسماء عشرات المناطق حتى تلك التي تغيَّرت أسماءها، فمثلا نقيل صيدا أصبح يسمى نقيل سمارة والسنينات صارت تسمى السنينة وغيرها.

وفي مرسى قصص تاريخية يمنية يروى القاضي العمراني العشرات من القصص التاريخية مثل (الحلم الذي تحقق للسيدة أروى بنت أحمد الصليحي)، و: (حلم ابنة الملك المظفر)، وقصة القاضي محمد جغمان-رحمه الله-والذي كان مفتيًا لليمن وما حدث له مع العثمانيين وسفره لإسطنبول وتآمر الأئمة عليه وقتله[2]، وقصة السلطان طغتكين، وهو شقيق صلاح الدين الأيوبي وكان واليًا على اليمن وقام بتشييد سور صنعاء القديمة وفي آخر القرن السادس الهجري وما حدث له في صنعاء، وكذلك ما حدث لعصمت أينونو الرئيس التركي الأسبق حيث عمل سكرتيرا وحارسا للوالي العثماني في صنعاء أحد عزت باشا، وقد تنجَّم له منجم بأن يصبح سلطان تركيا وتحققت هذه النبوءة، وقصة الإمام المنصور علي وانقلاب نجله عليه وتحكمه بالأمور حتى لم يبق لأبيه غير بعض الصلاحيات الرمزية، وقصة اقتناء

---

(1) انظر كتاب: (سفينة العمراني معارف ولطائف)، إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 229.

(2) ستأتي قصة العلامة جغمان وتنكيل الإمام يحيى به تحت عنوان (قصة التنكيل بالعلامة محمد جغمان)، في الصفحات القادمة من هذا الكتاب.

العلامة عبد الله العلفي للكتب وكيف سافر من صنعاء إلى تعز ذهابًا وإيابًا على الأقدام؛ ليقتني الكتب، وقصة العلامة عبد القادر بن أحمد والمهدي عباس وغيرها من عشرات القصص التاريخية الشيقة والأحداث والمواقف ذات الدلالات والدروس والعبر وفي الوقت نفسه تعطي القارئ صورة وافية عن واقع اليمن حينها.

يقول عنه تلميذه الشيخ جبران سحاري: (ومما يتميز به فضيلة العلامة محمد بن إسماعيل العمراني . رحمة الله تغشاه–عن غيره من العلماء المعاصرين له في اليمن هو: قوة حافظته وسعة إحاطته للحوادث التاريخية سواء منها ما كان قبل الاسلام من حياة العرب في الجاهلية أو ما يتعلق بأخبار الأمم الماضية، أو ما يتعلق بحفظ نسب الرسول صلى الله عليه وسلم من عند أبيه عبد الله ابن عبد المطلب إلى عند عدنان.

وكذلك أخبار أحداث السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والتاريخ الإسلامي وأخبار الدول الإسلامية في العصر الإسلامي سواء الدولة الأموية أو العباسية أو العثمانية أما ما يتعلق بأخبار التاريخ اليمني قبل الإسلام وبعد الإسلام وأخبار الدول المتعاقبة على اليمن ومعرفة أنساب وأسماء الأئمة الذين حكموا اليمن وأسرهم وحاشياتهم وسيرة كل واحد منهم وما حصل في أيامه من خير وشر لا يجاريه في معرفته وحفظه للأسماء والتواريخ أحد، بل هو أكثر علمًا واطلاعًا ومعرفة وحفظًا لأسماء الحوادث والأسماء والتواريخ من كبار المتخصصين في تاريخ اليمن سواء التاريخ اليمني القديم أو التاريخ الحديث والمعاصر ولا غرو

في ذلك حيث أن فضيلته يعتبر شاهد على القرن.[1] ويقول تلميذه الأستاذ، الدكتور، البروفيسور: أحمد بن محمد بن إسماعيل الجهمي المصباحي: (من الفنون العظيمة التي تمرَّس فيها شيخنا، وإمامنا القاضي: محمد بن إسماعيل العمراني رحمه الله تعالى: علم السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، ومما سمعته منه أن أفضل كتاب في السيرة النبوية كتاب السيرة الحلبية، وشيخنا رحمه الله تعالى يستظهر أحداث السيرة النبوية بتواريخها، وسنيها، فيقول لك: في السنة الأولى من الهجرة حصل كذا، وكذا، وفي السنة الثانية كذا، وفي السنة الثالثة كذا... إلخ. وأذكر أني مرَّة خطبت خطبة جمعة كلها مستندة إلى محفوظاته التاريخية في سنوات الهجرة النبوية، وما نزل فيها من تشريعات.

وأما حوادث السنين التاريخية فحدث عن البحر ولا حرج، فيسرد الشيخ رحمه الله تعالى أسماء الأئمة، ويدهشك في نسبة سبعة أسماء، أو ثمانية أسماء، أو عشرة أسماء، ثم يذكر تاريخ ولادته، وتاريخ موته، ومن أعجب ما سمعت منه في ذلك ذكر خمسة أئمة من حكام اليمن، وأماكن قبورهم، مع اختلافها، وتباعدها، وتفرقها؛ دون تكلف، فلله دره، ومن أبرز سماته إيراده النظائر التاريخية، فمثلًا: من تسمَّى بإبراهيم حصل له كذا، ومن ولي بغداد حصل له كذا، والذين يحترقون أسماؤهم كذا، وكذا، وكذلك الحوادث التاريخية للخلفاء الراشدين، والعصر الأموي، والعصر

---

(1) انظر كتاب: "مسائل جبران سحاري وأجوبة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني" صـ 67.

العباسي، والعصر العثماني، والدول المعاصرة، وما يتعلق بالحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، مع اهتمامه بالأوائل في حوادث السنين؛ كل ذلك جزء من محفوظات شيخنا القاضي العمراني، وحافظته الفولاذية المتقدة، وبدون تكلف، فلله دره).[1]

---

(1) عبد الرحمن بن علي بن حسن الآنسي، المبتدأ من تراث شيخنا الإمام القاضي العلامة الفقيه المجتهد محمد بن إسماعيل العمراني، على عتبات الفراق، سفينة تُقل بين جنباتها المراثي وبيانات النعي التي كتبت لرحيل شيخنا القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني مضافًا لها البرامج الإعلامية والندوات العلمية ومجالس التأبين التي عقدت بعده مع مقالات وذكريات وقصص بعض من عرفه من أهل الفضل، الكتاب الأول من المشروع العلمي الخيري لنشر تراث القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، وما يتعلق به، صفحة: (121)، ط: (2)، عام: 1442هـ، الموافق: 2021م.

نموذج من كتابات
القاضي العمراني التاريخية

تميز القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-بأنه من العلماء الموسوعيين الذي لهم في كل علم من العلوم النصيب الأكبر والحظ الأوفر والسهم المصيب، وقد كان القاضي العمراني شيخ الإسلام في الفقه والحديث والعلوم الشرعية ولا يختلف اثنان على هذا الأمر، ولكنه أيضا كان موسوعة في التاريخ أيضا وكان-رحمة الله تغشاه-يورد في دروسه ولقاءاته الكثير من القصص التاريخية المتصلة بالموضوع فمثلا حين يُسأل عن الحكم الشرعي في مضغ القات[1] لا يكتفي بذكر الحكم الشرعي، بل يتوسع ويذكر متى وجد القات باليمن وهل جاء من الحبشة أم وجد في اليمن ومن أول من مضغ القات ويستطرد فيتحدث عن تاريخ زراعة البن في اليمن ومتى بدأ وهكذا.

وقد أورد السفير عبد الرزاق العمراني في كتابه: "سفينة العمراني" في مرسى: (تعليقات وكتابات الوالد التاريخية)، مقالين للقاضي العمراني كنماذج لكتاباته التاريخية وهي كتابات في غاية الروعة، كتابات تؤكد مدى معرفة القاضي العمراني بالتاريخ اليمني وسعة اطلاعه على الكتب التاريخية ونظرته الناقدة

(1) سيأتي الحديث بالتفصيل عن رؤية القاضي العمراني للقات وحكم الشرع في مضغ القات في فصول الكتاب.

للكتابات التاريخية وأخطاء الكثير من المؤرخين، لقد تمنيت أن القاضي العمراني توسع في هذا الباب أيضا وصدرت له بعض الكتب في هذا المجال، إذ كانت ستسهم في حال صدورها في توثيق أحداث التاريخ اليمني بشكل صحيح وموضوعي وسوف تفند الكثير من المغالطات التي تغص بها الكثير من كتب التاريخ اليمني، ونظرا لأهمية هذا المقالات فسوف أورد هنا المقال الذي كتبه القاضي العمراني في عام 1379هجرية أي قبل أكثر من ستين عاما وفي هذا المقال يرد القاضي العمراني على غلطات بعض المؤرخين من اليمنين والعرب والأجانب عند

كتاباتهم عن اليمن وعن التاريخ اليمني، لقد كتب القاضي العمراني تعليقًا على كتاب (المقتطف من تاريخ اليمن)[1]، للقاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، والذي رأى أنه من أفضل ما كتب في تاريخ اليمن، فعندما اطلع عليه قال فيه: (لقد اطلعت على هذا الكتاب القيَم من أوله إلى آخره بعد أن كنت قد اطلعت على عشرات الكتب التاريخية اليمنية، كما أني كنت اطلعت على كثر مما كتب عن اليمن من الأبحاث التاريخية في الصحف والمجلات والكتب الحديثة ورأيت أن الكثير ممن كتبوا لابد وأن يغلطوا فيه عن إمام من أئمة اليمن أو عالم من علمائها أو شاعر من شعرائها أو وزير من وزرائها، إما في اسمه أو نسبه أو تاريخ وفاته، أو في أمر

(1) (المقتطف من تاريخ اليمن) للقاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1951م، وطبع مرات عديدة والقاضي الجرافي من مشايخ القاضي العمراني وقد سبقت ترجمته في بداية الكتاب وتوجد نسخ من هذا الكتاب في مواقع بيع الكتب على شبكة النت مثل "نيل وفرات" وأمازون.

من الأمور التي تتعلق به، حتى غلطوا في نفس عقائدهم وآرائهم ومذاهبهم، وهكذا كثيرًا ما غلطوا في الكلام عن مدن اليمن وعواصمها، وأذكر من هؤلاء العلماء الغالطين ممن يسمونهم المستشرقين من علماء أوروبا وكتابها ومنهم الدكتور (تبديو)، والأستاذ (سلفادور أبونتي)، مؤلف كتاب (مملكة الإمام يحيى) وقد طبع باسم: (اليمن من الباب الخلفي)، ومن العلماء العرب كثيرون منهم الأستاذ أمين سعيد مؤلف كتاب: (ملوك المسلمين ودولهم)، وكتاب: (اليمن)، وهكذا أحمد أمين مؤلف: (ظهر الإسلام)، والدكتور أحمد فخري في مؤلفه: (اليمن ماضيها وحاضرها)، والأستاذ جميل بيهم، مؤلف كتاب: (الحلقة المفقودة في تاريخ العرب)، والأستاذ إبراهيم حسن، مؤلف كتاب: (اليمن)، والأستاذ جورجي زيدان، مؤلف: (تاريخ آداب اللغة العربية)، والدكتور أحمد واصل زكريا في مقالته التي نشرتها مجلة: (التمدن الإسلامي)، والأستاذ فؤاد سيد في مقدمته وتعليقه على كتاب: (طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة)، والمؤرخ سيد أمير علي الهندي، ومن مؤرخي اليمن شيخنا القاضي عبد الله الجرافي، مؤلف كتاب: (المقتطف)، والقاضي محمد الحجري مؤلف كتاب: (خلاصة تاريخ اليمن)، و: (تاريخ مساجد صنعاء)، والحاصل أن الكثير من رجالاتها المشهورين لا يخلو من خطأ وقع فيه، ومن هؤلاء المغلوط في تراجمهم الأئمة: الهادي وابنه الحسين، وجده القاسم، والإمام القاسم العياني، وأحمد بن سليمان، وعبد الله بن حمزة، وأحمد بن الحسين وأحمد بن يحيى، وشرف الدين، وهكذا عن

القاسم بن محمد، وولده إسماعيل وغيرهم حتى الإمام يحي حميد الدين، وولده الإمام أحمد، وعبد الله بن أحمد الوزير، وكثر من وزرائهم، ورجال دولهم، وهكذا أخطأوا حول ملوك الصليحيين المشهورين حتى مؤسس دولتهم علي بن أحمد الصليحي، كما أخطأوا في تاريخ الوجود العثماني في اليمن وعن مدة استعمار الفرس اليمن، وعن بني رسول، حتى أسماء المدن المشهورة مثل صنعاء وعدن والحديدة اخطأوا في أسمائها فقد غلط الأستاذ (فؤاد سيد)، أمين المخطوطات الأسبق بدار الكتب المصرية في تعليقاته على "طبقات فقهاء اليمن " لابن سمرة في اسم مؤلف طبقات الزيدية، فقال في مقدمته إنه ليحيى بن الحسين وفي آخره في فهرست المراجع المصادر التي راجعها عند تحقيقه هذا الكتاب ذكر أن مؤلف طبقات الزيدية (القاسم بن ابراهيم)، وأنها مخطوطة بمكتبة الإمام يحيى بصنعاء، ومنها صورة بدار الكتب المصرية والصواب أنه: (ابراهيم بن القاسم بن المؤيد محمد بن القاسم بن محمد)، وقد وقع في الخطأ من ناحية أنه عكس الاسم إبراهيم بدل القاسم، كما وقع عنده الخطأ، أولًا من ناحية سبق فكره إلى كتاب: (أنباء الزمن)، فهو ليحيى بن الحسين، وكان إبراهيم بن القاسم هذا في أيام السيد محمد بن إسماعيل الأمير وأخذ عن مشايخ الأمير كالوزير وزيد بن محمد وصلاح الأخفش، وهكذا أخطأ السيد محمد زبارة في: "نشر العرف"، في ترجمته فقال في تعداد مشايخه: إن منهم أحمد بن سعد الدين المسوري، وقال عند ذكر موته: إنه في

سنة 1153هجرية تقريبًا، مع أن المسوري توفي سنة 1079هجرية كما أخطأ عند ذكره طبقات الزيدية في آخره.

وأخطأ مؤلف: "نفحات العنبر"، السيد إبراهيم الحوثي؛ حيث قال: إن الأديب والشاعر أحمد الرقيحي نسبة إلى: (الركيح)، بالكاف قرية من أعمال ذمار والصواب أنه الرقيحي نسبة إلى الرقيح.

كما أخطأ الحوثي حيث قال: إن مؤلف "تجريد الكشاف" وشيخ محمد بن إبراهيم الوزير الذي أرسل إليه وانتقده فأجابه الوزير بـ "العواصم والقواصم" وبالروض الباسم هو (يحيى بن القاس) وصوابه: (علي بن القاسم)، كما أخطأ الإمام الشوكاني حيث جعل اسم المحدث المخرج لحديث: "تجب الصلاة على الغلام إذا عقل والصوم إذا أطاق والحدود والشهادات إذا احتلم" هو: (المرهبي)، هكذا في كتاب الصوم في نيل الأوطار، ووبل الغمام، ولعله أخطأ وصوابه: (الموهبي) بفتح الميم وكسر الهاء، نسبة إلى موهب بطن من المعافر، وقد وقع الخطأ للشوكاني في نسخ الجامع الصغير لأن في بعضها بالواو وفي بعضها بالراء.

وأخطأ السيد محمد زبارة في ترجمة إبراهيم بن القاسم مؤلف كتاب: "طبقات الزيدية"، فقال إن صاحب (المجموع)، هو زيد بن علي بن الحسين توفي سنة 122 هجري.

ويضيف القاضي العمراني في حوامي[1] كتاب "المقتطف من تاريخ اليمن" للجرافي فيقول: ومن أخطاء العلامة زبارة في ترجمة

---

(1) الحوامي هي الصفحات البيضاء في بداية الكتاب أو نهايته.

الإمام صلاح الدين محمد بن علي الذي ولد سنة 739هجرية، وتولى الإمامة سنة 793هـ، كما أخطأ شيخنا العلامة زبارة في أول ترجمته له في ديباجة كتاب "ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان"[1]، للعلامة الوزير وقال: إن صلاح الدين من تلاميذ الوزير مع أنه تولى الإمامة سنة 737 هـ قبل ولادة الوزير بسنتين، وتوفي صلاح الدين سنة 937هـ وعمر الوزير 18 عامًا، لأنه ولد سنة 775هـ ولا يتصور أن يكون شيخا للإمام وهو في 17 عامًا، ويمكن أن الذي أخذ عن الوزير هو الإمام المهدي محمد بن علي الذي توفي سنة 879هـ وهو نجل علي بن القاسم شيخ الوزير، ولعل الخطأ وقع في التشابه في الاسم واسم الأب.

ومن أخطاء شيخنا الجرافي -رضوان الله عليه-: أنه جعل من الأئمة الذين عاصروا دولة بني طاهر (المهدي محمد بن علي) مع أنه من المعاصرين لبني رسول قبلهم؛ لأن وفاته كانت سنة 759هـ كما قال المؤلف في شوال سنة 758هـ، وبنو طاهر لم يتولوا إلا سنة 758 هجرية.

(1) كتاب: (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان)، تأليف العلامة محمد بن إبراهيم الوزير، طباعة المعاهد العلمية الأزهرية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1931م.

تعليقات القاضي العمراني
على كتاب المقتطف

يقول القاضي العمراني في تعليقاته التي كتبها قبل أكثر من: (60) سنة: (وبعد فهذا الكتاب عظيم جدًا في بابه ولاسيما أنه جمع تاريخ اليمن من أول الإسلام إلى يومنا هذا لا فرق بين شماله وجنوبه وشرقه وغربه، وبين تاريخ ملوك اليمن الأسفل والأعلى وتهامة، بلا فرق ولا تحيز لأن الكثير من التواريخ اليمنية تقتصر على تواريخ اليمن الأسفل أو الأعلى أو على دولة مخصوصة، أو على أسرة خاصة، وربما تتحيز إلى دولة مخصوصة وتذم المخالف لها ورجاله، كما في تواريخ الزيدية الأولين كشرح الزحيف، وغيره وهكذا في تاريخ الشافعية سواء منهم مؤرخي تهامة كالديبع، أو اليمن الأسفل، وذلك كطبقات ابن سمرة، فذلك الأمر يرجع إلى السياسة في بعض الأحيان وإلى الخلافات المذهبية في أحيان أخرى، وذلك أنه قد قامت في اليمن عدة دول منها ما كانت الدعوة فيها زيدية كالدولة الرسيَة الهادوية وما تفرع منها من الدول التي كان أعظمها الدولة القاسمية، ومنها ما كانت الدعوة فيها سنية كدولة الغساسنة بني رسول، وبني طاهر وقبلهم كان بنو زياد وبنو نجاح، ومن هذه الدول ما كانت الدعوة فيها إسماعيلية كالدولة الصليحية.

وكانت الأولى أي دولة الأئمة من بيت القاسم ومن سبقهم تدعوا إلى الإمامة العلوية الفاطمية وتجعل الإمام الداعي في ذلك العصر من تلك السلالة على الشروط المعتبرة عندهم، وكانت لا تعترف بالخلافة وإمارة المؤمنين لغيره حتى الخليفة العباسي والفاطمي.

كما كانت الدولة الثانية الشافعية كدولة بني رسول وبني طاهر وبني نجاح تدعوا إلى الخليفة العباسي ولا تعترف لنفسها بغير السلطنة أو الملك وليس الخلافة.

أما الثالثة فهي: الدولة الصليحية فإلى الخليفة الفاطمي وإلى الدعاة الإسماعيلية على شروط وأسرار مكتومة.

وكان كل مؤرخ في تلك الدول يؤرخ لدولته ولرجال دولته ويتعرض في بعض الأحيان إلى ذم المخالفين إما تقربًا إلى دولته أو عداوة مذهبية، وهكذا لا يتعرض لمحاسن مخالفيه إما للتعصب المذهبي أو لغرض سياسي، أو تقية وخوفًا على نفسه ودولته أو حساده.

ولولا أن هذا التاريخ قد لاحظ فيه المؤلف الاختصار والاقتصار كما في اسمه "المقتطف" لكان أحسن تاريخ لليمن، وما أحق اليمن بدراسة تاريخه ونشره ليعرف الشبان ماضي أمتهم من جميع النواحي والوجهات السياسية والدينية والعلمية والاجتماعية، كما يلاحظ الجم الغفير من المؤرخين المتقدمين، فقد قامت في اليمن عدة دول كالدولة الرسية الإمامية والرسولية والصليحية والزيادية واليعفرية والنجاحية والطاهرية وغيرها

وكان لكل دولة أئمة وسلاطين أو ملوك وعلماء وأدباء ووزراء وشعراء وشخصيات عظيمة جديرة بدراسة تاريخها ولاسيما الدولة القاسمية التي قامت في فجر القرن الحادي عشر الهجري على يد مؤسسها الإمام القاسم بن محمد الذي أعلن الحرب الشعواء ضد الدولة العثمانية التي كانت سيطرت على اليمن عسكريا في منتصف القرن العاشر الهجري في عصر الإمام شرف الدين، وقد شبت الدولة القاسمية وترعرعت في ضحى القرن الحادي عشر عند أن وقع الجلاء الأخير لجيوش الأتراك وقويت الدولة القاسمية في ظهر هذا القرن وعصر أيام المتوكل إسماعيل ابن القاسم وابن أخيه أحمد بن الحسن بعد ضم حضرموت والمشرق وبلاد لحج وعدن، وأما قوتها وتحضرها، فقد كان في أوائل القرن الثاني عشر من أيام صاحب المواهب إلى آخر أيام المهدي عبد الله، فهذه المدة هي المدةُ التي أخذت الدولة القاسمية نصيبها من النهضة العلمية بالرغم من كونها ضعفت كثيرًا بسبب الاختلافات والحروب، أما من بعد موت المهدي عبد الله إلى دخول الأتراك للمرة الثانية، فهو دور الضعف والانحطاط والاضطرابات العظيمة التي ألقت باليمن إلى أحضان الدولة العثمانية مرة أخرى.

اللقاء بالقاضي العمراني

عندما كنت طالبا في جامعة الإيمان كان البعض يسألوني عن قرابتي من القاضي العمراني فأخبرهم أن لا صلة نسب بيننا فالقاضي العمراني-رحمه الله-من صنعاء القديمة، وأنا من إب، ولا صلة قرابة بيننا ولكني من محبيه ولم أصل حتى لمستوى طلابه وقد زرته في منزله برفقة مجموعة من المشايخ وأجريت معه مقابلة نشرتها صحيفة "صوت الإيمان" وأعادت بعض المواقع الإخبارية نشرها وكانت من أروع المقابلات التي أجريتها بحياتي.

يومها تهيبت لقاءه وأخبرت بعض المشايخ في جامعة الإيمان من طلابه الذين يعرفهم جيدا فقالوا نصلي معه في جامع الزبيري الذي يصلي فيه ونذهب معه إلى منزله وسيوافق على إجراء المقابلة إن شاء الله وأذكر أنه كنا معي يومها الشيخ عبد الله القبيسي والشيخ محمد الوزير الوقشي والشيخ فضل مراد، صلينا في الجامع وبعد الصلاة ذهبنا للسلام على القاضي وخرجنا معه وبعد خروجنا من المسجد أخبرناه أننا جئنا لزيارته فرحب بنا وذهبنا لمنزله وسلمنا عليه وأخبرنا أننا أتينا لزيارته وكان يعرف المشايخ فهم تلاميذه فرحب بنا وخرجنا لمنزله وهو قريب من الجامع المذكور وعرفوه بي فسألني على الفور:

.عمراني من أين؟!

قلت: من إب.

فترحم القاضي العمراني على الإمام أبي سعيد العمراني رحمه الله وهو من العلماء اليمن المشاهير الذي ولد بصهبان وتوفي بمنطقة ذي سفال بإب وله مصنف مشهور وهو كتاب (البيان في فقه الشافعية) وهو عَشْرة مجلدات، بدأه سنة 528هـ/ 1134م) وغيره من الكتب.

والجلوس مع القاضي العمراني ممتع جدا لما يتميز به من روح الفكاهة ولما يتحف به ضيوفه من الفوائد العلمية والقصص الشيقة والنوادر العجيبة وقد أخبرنا أنه كان قبل تلك الفترة يمضغ القات لوقت أطول وبكمية أكبر وأخبرنا يومها أنه كان ذات مرة مسافرا من صنعاء إلى أوزبكستان في وفد رسمي وقبيل انطلاقه إلى المطار جاءه أحد معارفه بقات فاخر ووضعه في الحقيبة التي فيها أوراقه فحملها القاضي ولم يعلم أن فيها حزمة القات وفي المطار لم يفتشوه وفي الطائرة فتح الحقيبة ليراجع بعض الأوراق فوجد القات فطلب من المضيفة الماء ومضغ القات في الطائرة وكانت الرحلة لساعات طوال.

وعندما وصل القاضي العمراني رحمة الله تغشاه إلى أوزبكستان طلب زيارة قبر الإمام البخاري رحمه الله فوجد الناس يتبركون به ويقدمون له النذور والذي يتزوج يعقد زواجه عند ضريح البخاري طلبا للبركة والذي يحلف اليمين يحلفوه بجوار الضريح ومخالفات شركية عديدة، يضيف القاضي فنصحناهم بأن هذه الأمور بدع وشركيات لا تجوز.

يقول السفير عبد الرزاق العمراني[1] في تلك الزيارة كان الوفد اليمني برئاسة القاضي علي السمان وزير الأوقاف حينها رحمه الله وعضوية العلامة أحمد محمد زبارة مفتي الجمهورية آنذاك رحمه الله والقاضي حمود المضواحي، وعبد الملك الطيب سفير اليمن الأسبق في باكستان وكانت عام 1984م وزار القاضي خلالها الجمهوريات الإسلامية ومنها جمهورية أوزبكستان وقام بزيارة مسجد الإمام البخاري - رحمه الله - الذي يقع بالقرب منه قبر الإمام البخاري خارج مدينة سمرقند ب 25 كيلو متر تقريبا، ومن عادة سكان المدينة المسلمين أن يحضروا إلى هذا المسجد لإتمام عقد زواجهم على يد شيخ وخطيب المسجد تبركا بالإمام البخاري، ووافق وجود الوالد في المسجد أن حضر ثلاثة من الشباب مع الفتيات اللواتي سيتزوجونهن ليعقد لهم الشيخ أو أمام الجامع، فقال الشيخ للوالد وأعضاء الوفد اليمني :

- تفضلوا أنتم بإجراء عقد النكاح ليتبركوا بكم، فأنتم أصل الإسلام فقال الوالد:

- بل نريد أن نعرف منكم كيف يكون العقد عندكم لنستفيد، فقام الشيخ وعقد لهم ومن ثم دعا لهم بلغتهم، فقال الوالد:

- نريد أن نعرف بماذا تدعو لهم أيمكنك ترجمتها إلى العربية؟

فقال: لقد دعوت لهم وقلت "اللّٰهم ألف بين قلبيهما كما ألفت بين آدم وحواء، وكما ألفت موسى بن عمران وصافوراء

---

(1) ما ذكره السفير عبد الرزاق العمراني أورده في كتابه (سفينة العمراني معارف ولطائف) وأوردته هنا لأن الشي بالشيء يذكر ولتكملة قصة سفر القاضي العمراني إلى أوزبكستان وبعض ما حدث عند زيارته لضريح الإمام البخاري ولتعميم الفائدة.

وبين سيدنا محمد وخديجة الكبرى وبين الإمام علي وفاطمة الزهراء.

فأعجب الوالد بهذا الدعاء ويذكره أحيانا بعد أن يعقد للزواج.

بقية تفاصيل المقابلة سوف ترد في ثنايا الكتاب...

القاضي العمراني
يتحدث عن وفاة الإمام البخاري

وبمناسبة ذكر الإمام البخاري يقول القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-توفي الإمام البخاري في قرية (خرتنك) وهي تبعد حوالي مسافة 25 كيلو متر عن مدينة سمرقند والسبب في لك أن الإمام البخاري لم يتفق مع (خالد بن أحمد الذهلي) أمير بخارى حينها وحدث بينمها خلاف شديد أدى إلى عداء فاستخار الله في أن يترك المدينة، فسافر متوجهًا إلى سمرقند ووصل إلى قرية قريبة منها اسمها خرتنك وفيها أقرباء له فاستشار أحدهم في أن يذهب إلى سمرقند ويقطن بها، فأشار عليه بأن يبقى خارج سمرقند وأن لا يدخلها " ففيها النصف من سكانها يحبونك ويتشيعون فيك والنصف الآخر موالون للأمير ولا يحبونك، فأخشى أن تكون هناك فتنة بين الناس بسببك ". فقال الإمام البخاري اللّٰهم إن كان في حياتي خير للمسلمين فأعشني وإن كان شرًا فأمتني، فتوفي رحمه الله وقبر هنالك ولم يدخل مدينة سمرقند[1].

---

(1) سمرقند: مدينة في أوزبكستان وهي المدن التاريخية وفيها الكثير من الآثار الإسلامية والمعالم التاريخية.

قصص التحريض على القاضي العمراني

لأن القاضي العمراني قد عاصر عهد الإمام يحي حميد الدين ومن بعده الإمام أحمد والتقى بهم وحدثت له معهم قصص عديدة وتعرض للوشايات من المتعصبين بسبب تدريسه لصحيح البخاري وكتب السنة في مساجد صنعاء فكان لابد من ذكر هذه القصص الهامة التي توثق لبعض معاناة القاضي التي تعرض لها وجهوده في تدريس العلم الشرعي من كتب السنة في بيئة فيها الكثير من التعصب والجمود ورؤيته في عهد الأئمة وإنصافه لهم ومن خلال أحاديث القاضي العمراني اتضح لي أن التعصب والتحريض كان من العوام ومن بعض الشخصيات من المتعصبين ومثلما كان في الأئمة من المتعصبين كان فيهم من المتفهمين كما سنقرأ في القصص التي يرويها القاضي بنفسه رحمة الله تغشاه.

وقد سألتُ القاضي العمراني: هل كانت الدولة ممثلة بالإمام تشجع نشر وتدريس العلم الشرعي؟

فأجاب القاضي: (لم تكن الدولة تشجع التشجيع الذي يقول عنه أولاد الإمام، ولا كانوا ضد العلم كما يقال الآن كانوا متوسطين وكانوا أيضًا منصفين والدليل على إنصافهم أنني كنت أُدَرِّس في كتب الأمهات وفي بعض كتب الإمام الشوكاني والعلامة ابن الأمير الصنعاني فجاء زعيم المحافظين السيد قاسم العزي وشتم وسب وتهددني أخيرًا بأنه سيكتب إلى الإمام أحمد بأنني

أخرب المذهب فكتبت في ورقة إلى السيد محمد زباره أرجو منه أن يقدم ورقتي إلى الإمام أحمد وقلت للإمام في رسالتي: إن السيد قاسم العزي يمنع قراءة كتب الحديث ويقول: إنه حسب إرادتكم فإذا قد كنتم تريدون ذلك فأمروا من لديكم وإلا فامنعوا التدخل بين طلبة العلم وما يريدون أن يقرأوه فلما وصلت الورقة إلى الإمام قال الإمام : عافاكم الله هذا لا يتصور من إنسان عاقل فضلًا عن عالم أن نمنع قراءة وتدريس كتب الحديث ولكن إرغامًا للشيطان وإرضاء للرحمن وقطعًا للسان ما في مانع أن تقرؤوا ما تريدون من كتب الحديث وتقرؤوا شفاء الأمين الحسين في المذهب الزيدي فتجمعوا بين الشيئين وفعلًا بقيت أدرس من كتب السنة ومن هذا الكتاب فهذا دليل على أنهم كانوا معتدلين ولم يكونوا متعصبين جدًا كما يشاع عنهم).

تحريض قاسم العزي وموقف الإمام منه:

ويروي القاضي العمراني–رحمة الله تغشاه–بتوسع قصته مع قاسم العزي والذي ذكر خلاصتها سابقا . وما تعرض له أثناء تدريسه في جامع الفليحي بصنعاء القديمة من مضايقات ومحن:

يقول القاضي: (بينما كنت أدرس طلابًا جاءوا إلى اليمن من المخلاف السليماني من (صبيا، وجيزان، وأبي عريش)، جاءوا يطلبون العلم على عادة أجدادهم، فقد كان هذا المخلاف مرتبطا بحكومة صنعاء قبل ذلك، وكان الكثير من بيوتات ذلك المخلاف مثل: بيت النعمي، وبيت الضمدي، وبيت الحازمي، وبيت عاكش، وبيت السبيعي وغيرهم، كانوا يطلبون العلم على يد علماء

صنعاء، مثل الأمير والشوكاني ومحمد بن علي العمراني (جد شيخنا) فهؤلاء الطلاب كانوا يقرؤون عندي كتب الشوكاني والأمير وغيرهما، وكان يرتاد هذا المسجد أصناف من الناس من بينهم زيدية متعصبون لمذهبهم على رأسهم قاسم بن حسين أبو طالب الملقب بالعزي.

وكان هذا الرجل من أهل الوجاهة في الدولة، وله بين العوام صولة وجولة، وكانوا يعتبرونه من المقدمين ومن علية القوم، وكان آية من آيات إيران (آية الله قاسم العزي)، وكنت أحاول أن ألقي الدرس حين غيابه وأحيانا أدخل أنا وطلابي متوارين قبة المسجد حيث إن لها بابا منفصلًا، ولكن جاءنا قاسم العزي إلى داخل القبة فجأة ونحن متلبسون بنظرهم بجريمة تدريس كتب السنة، فأقبل علينا يمشي بخطى وئيدة متهكمًا قائلًا:

.ماذا تدرسون؟

فأجبته إجابة فيها نوع من التحدي والصراحة من غير مواربة ولا مداراة، علمًا بأنه كان ذو منزلة عالية رفيعة القدر في قلوب العامة في صنعاء، وكان لكلامه عندهم قدسية حتى لكأنه يتكلم بلسان نبي!!

ويضيف القاضي العمراني: (قلت له: هذا كتاب "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وهذا كتاب "سبل السلام شرح بلوغ المرام" للسيد البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير.

فوصلت الكلمات إليه كأنها صواعق مرسلة، وإذا به يهاجم بكلام ملؤه الغيظ والحنق قد أحمر وجهه، وانتفخت أوداجه، رافعا صوته يبرق ويرعد: اتقوا الله . بصراخ يصدع الرؤوس . أو قد نسيتم دخول القبائل إلى صنعاء، هاتكين الحرمات، ناهبين البيوت والمتاع، وأن ذلك كان–على حد تعبيره–بسبب هذه الكتب، كتاب أهل السنة المعادية لأهل البيت، اتركوا كتب الناصبة.

فظل هكذا يصرخ ويعول حتى قلنا ليته سكت، ولكن لم أبال به، فما إن مضى لسبيله حتى عدت لمواصلة الدرس وبدون تلكؤ: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:... إلخ.

ثم ذهب يتوضأ (يقصد قاسم العزي) وبعد انتهائه من وضوئه أقبل يبحث عني، وكنت قد أتممت الدرس وذهبت، فما كان منه إلا أن توعد وهدد بأنه سيكتب إلى وزير المعارف محرضا إياه على توقيف معاشي أو راتبي، علمًا بأن هذا المعاش كان مقابل ما أعطيه من دروس في المدرسة العلمية التابعة إداريا لوزارة المعارف، أما الدروس التي تلقى في المسجد فعادة العلماء في اليمن وغيرها أنهم يقومون بها لوجه الله لا يريدون من أحد جزاءً ولا شكورًا.

رد وزير المعارف بصنعاء على تهديد قاسم العزي:

ويضيف القاضي العمراني . رحمة الله تغشاه . وبمجرد سماعي لتهديده ووعيده ذهبت مباشرة لمقابلة ابن وزير المعارف السيف علي ابن الإمام يحي حميد الدين، وكان ولدا ذكيا لبيا متفهما

للأمور، فسردت له قصتي مع قاسم العزي والذي منعني أن أذهب للوزير نفسه لأن سمعته كانت سيئة، والحمد لله فقد كان جواب الولد لي: أن اطمئن واكتب وأكتب ورقة تشرح فيها موضوعك أوصلها إلى أبي، ففعلت، وكان الجواب من الوزير (درسوا ما أردتم، فنحن لا نصدق أحدًا).

لكن قاسم العزي لم يكتف بهذا، خاصة بعد علمه بجواب وزير المعارف لي، فهدد بأنه سيكتب إلى الإمام في تعز مبالغة منه في التحريض والتشفي من أهل السنة، ويومئذ لم يكن الإمام يعرف عني شيئًا فلهذا نصحني كثير من الناس الأفاضل بالذهاب إليه حتى لا يصدق أي وشاية عني تشوه سمعتي سواء من قبل أخيه الحسن بن الإمام يحي الذي كان يعاديني عداء سياسيا حتى أنه سجنني أكثر من مرة ولا أعلم سببا لذلك.

ويروي الشيخ علي الفقيه-أحد طلاب القاضي العمراني- أنه أخبره عن وفاة الحسن بن يحيى حميد الدين فقال: مقلع... قال كان يؤذينا..

ويضيف الشيخ علي الفقيه:" ومن التعبئة المقيتة ضد شيخنا أوغروا بعض المغفلين ضده ولدرجة أنه كان يرسل له من يشتري له احتياجات البيت.. قال أحد الجزارين لمن هذه اللحمة للذي يحب الأوش.

يعني الخلفاء الثلاثة أبوبكر وعمر وعثمان.. الأوش كلمة تركية تعني ثلاثة..

وإذا حضر تشييعا كان المتعصبة يرفعون أصواتهم ويلوون أعناقهم باتجاه شيخنا خاصة عند قولهم: "على ولي الله"..

ويواصل القاضي العمراني رحمة الله تغشاه: (ثم بقيت في صنعاء مدة خائفا أترقب حتى اهتديت إلى شيخي العلامة السيد محمد زبارة فذهبت إليه، فقلت له ما حدث مع قاسم العزي ووزير المعاف، واستعطفته أن يكتب لي رسالة إلى الإمام يزكيني فيها، ويشيد بي عنده، حتى لا يصدق أحدًا يريد تشويه سمعتي، بمعنى آخر أريد منكم تعريفا للإمام بمذهبي وعقيدتي حتى يعرف الإمام من أنا فقط لا غير.

فقال لي: أكتب بيدك رسالة إلى الإمام وأنا أذيلها بسطور تفيد تعريفًا بشخصك، ففعلت، وفعل جزاه الله عني خيرًا، وكان مفاد رسالته: (أن القاضي محمد بن إسماعيل العمراني رجل عالم وفقيه غير متعصب ولا ميال إلى أي مذهب من المذاهب، وهو يتصف بالإنصاف إلا أنه يخشى الوشاة أن يغرروا عليكم يا مولانا بأنه يريد تخريب المذهب وأنه يناصب أهل البيت العداء، بل هو ينهى عن ذلك، وأن له نشاط وهمة عالية في تدريس كتب الحديث والسنة فقط، فلا تصدقوا قاسم العزي أو غيره، وتفضلوا بالجواب على العمراني في ظاهر ورقته).

وكنت قد ذكرت له في الرسالة أن قاسم العزي يمنع تدريس كتب الحديث ويقول هذا بأمر من قبلكم فإن كان صادقا فتفضلوا وامنعوا أنتم واكتبوا بخطكم، أما أن يتدخل قاسم العزي باسمكم فلا يرضيكم هذا!...إلخ

رد الإمام على شكوى القاضي العمراني:

فأجاب الإمام قائلًا:

.(حماكم الله لا يتصور أحد أن تمنع كتب السنة أن تدرس في المساجد من إنسان عادي فضلا عن عالم من العلماء، وإذا قيل لكم أن الإمام يمنع هذا فلا تصدقوه، ولكن أنصحكم إرغاما للشيطان وإرضاء للرحمن أن تجمعوا بين الشيئين، فتقرؤوا شفاء الأوام للأمير الحسين وتقرؤوا بالإضافة إلى ذلك من كتب الحديث ما تريدون إما البخاري أو مسلم أو غيرها من كتب السنن والمسانيد حتى تقطعوا عنكم تقولات الآخرين وتدحضوا بذلك الشبهة التي تروج ضدكم بين العوام، والله يرعاكم والدعاء منكم مستمد كما هو لكم مبذول).

ويواصل القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-: وما إن وصل الجواب إلى العلامة محمد زبارة، فأرسل لي رسولًا فأتيته، فعرض علي جواب الإمام فأخذته معي، وبينما أنا في الطريق قابلت كاتب قاسم العزي فقلت له: اقرأ هذا الكتاب، ثم قلت له: ها قد رأيت بنفسك، فأخبر قاسم العزي بما رأيت وقل له يدعني وشأني، فأوصل الخبر إلى قاسم العزي.!!

فثارت ثائرته، فحث الخطى نحو السيد محمد زبارة وترك وظيفته وشغله حيث كان موكلا بمقابلة القشامين[1] والسنادرة[2]، وإذا به يطرق الباب فصعد إليه، وبعد أن سلم، وما

---

(1) القشامين: باعة الخضروات كالفجل والكراث وغيرها.

(2) السنادرة: من يختصون بشؤون المساجد.

كاد ينهي سلامه حتى قال: هيا مه؟[1] يا صنو[2] محمد قد ذاك القاضي محمد معه أمر من الإمام![3]

من الذي أوصل العمراني إلى الإمام؟ والله ما أظن الوسيط إلا أنتم).

وأخذ يلوك كلمات لا يفهم معناها متضجرًا مما حدث وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على غليان صدره، حتى طفح منه الكيل، فأخذ يتألم ويعض أصابع الحسرة، كل ذلك خوفا من انتشار السنة بين العوام.!!

ويبدو ذلك من كلامه مع السيد زبارة، فأخذ الأخير يهدئ من روعه ويسكن ثائرته، وأنه متحير مثله وأن العمراني قد جاءه قبله مظهرا نشوة الانتصار، وقرأ لي جواب الإمام له ثم خرج ضاحكا مسرورًا.

فإذا بالعزي يقف متسائلًا واضعًا يده على ذقنه متحيرا كيف وصل العمراني إلى الإمام، فما كان منه إلا أن قلل من كبريائه وغطرسته ومماحكاته لي، ثم جاء بنفسه إلي يعرض علي أني إذا أردت تدريس كتاب شفاء الأوام فإنه سيخرج لي نسخة من البيت.

قال القاضي العمراني: والحمد لله، بعد أن نصرني عليه، فكنت بعد ذلك أختار وقتا بين مغرب وعشاء لتدريس كتاب الشفاء، وبعد الظهر أختار من كتب السنة ما شئت؛ وهذا من فضل الله عليَّ وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

---

(1) هيَّا مه؟: تعني: ما الذي قد حدث؟ بلهجة أهل صنعاء.

(2) الصنو: الأخ بلهجة أهل صنعاء.

(3) أمر من الإمام: أي أن الإمام قد أصدر توجيه يسمح له بتدريس الكتب التي يريد تدريسها.

وما إن انتهيت من مماحكات قاسم العزي إذا بأخ الإمام سيف الإسلام الحسن[1] يقوم ضدي. وتلك قصة أخرى..

وبخصوص الطلاب من أبناء عريش ونجران الذين كانوا يدرسون عند القاضي العمراني فبعد قيام ثورة 26 سبتمبر توسط لهم القاضي وتم نقلهم بطائرة خاصة إلى مناطقهم.

وقد سُئل القاضي العمراني من تلميذه جبران سحاري:

.هل كان لكم طلاب من منطقة جازان؟

فأجاب القاضي:

.نعم كانوا يأتون إليَّ بكثرة وقبل ذلك كانوا يأتون إلى والدي عرفناهم طلاب علم حريصين على الرحلة كآبائهم وأجدادهم.

والغريب أن نجل قاسم العزي جاء إلى القاضي العمراني بعد ثورة 1962م وسأل القاضي:

.هل لو كان الوالد موجود سيكرمونه؟

قال القاضي: كانوا سيضربون رأسه بالحجر.

وهذا بحسب ما ذكره تلميذ القاضي العمراني الشيخ علي الفقيه[2] في الشذرات.

---

(1) هو الأمير سيف الإسلام الحسن بن يحيى حميد الدين وستأتي قصته مع القاضي العمراني.

(2) من طلاب القاضي العمراني ومن مشايخ الذين تخرجوا من جامعة الإيمان، له ترجمة في الوجيز للشيخ محمد الكريمي، صفحة: (692)، وقد كتب الشيخ الفقيه سلسلة مقالات عن القاضي العمراني بعد وفاته روى فيه بعض المعلومات والقصص من حياة القاضي ومواقفه بعنوان: "شذرات مختصرة من حياة شيخنا القاضي العمراني" وأورد فيها هذه المعلومة، للاطلاع على هذه المقالات، انظر كتاب المبتدأ للشيخ عبد الرحمن الآنسي، ص: (258).

وشاية بسبب كتاب السيل الجرار

ويواصل القاضي العمراني . رحمة الله تغشاه . حديثه عن بعض ما تعرض أثناء فترة الأئمة من معاناة ومواقف يقول القاضي: (كنت أعمل في مقام نائب الإمام وفي مقام البدر[1] وكان عملي ضمن مجموعة نحرر إجابات مسائل فقهية وشرعية، وكان رئيس المحكمة العليا للنقض والإقرار يأتينا بين فينة وأخرى، وبحكم منصبه كان يحاول أن يتدخل في أعمالنا فيجيب على بعض المسائل، وكان كثيرا ما يحدث تناقض بين إجاباتنا وإجابته، فنقوم من غير معرفته بتمزيق إجاباته، حتى إنه تحسس منا فإذا به يضمر في نفسه عداءً ولكني ما كنت لأظن أن تصل به المعاداة نحوي إلى التعصب المذهبي، وذلك أني كنت أدرس في ليلة من ليالي رمضان بعد أن أؤدي وظيفتي والتي كانت تستمر حتى منتصف الليل، فكنت أهتبل هذه الساعة المتأخرة من الليل (تقريبا الساعة الواحدة والنصف) لأختلي ببعض طلاب العلم المجتهدين فنتدارس سويا كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وإذا ببعض الواشين المتزلفين إلى الحكام يوشي بي إلى رئيس المحكمة العليا بأني أخرب مذهب أهل البيت لتدريسي هذا الكتاب، فما كان من رئيس

---

(1) هو الإمام محمد البدر بن أحمد بن يحي حميد الدين، ولد في صنعاء في 15 فبراير 1926م هو آخر حكام المملكة المتوكلية اليمنية تولى الإمامة بعد ثورة 1962م واستمر يقود المعارك ضد الجمهوريين حتى 1970م وقد توفي في المنفى بلندن في 6 أغسطس 1996م.

المحكمة إلا أن أبرق برقية إلى الإمام في تعز بأن القاضي محمد العمراني يدرس كتاب السيل الجرار في المسجد ويفتن به العوام، وأنا لا أعلم قط بالذي يحدث.

غير أن أحد عمال السلك، بل الذي أبرق البرقية كان يودني، فجاء وأخبرني فقط بقوله: ما بينكم وبين السيد محمد يحي عباس (رئيس المحكمة)؟

فقلت: لا شيء بيننا غير أنه كان يأتي إلى المقام ويحاول أن يتدخل في عملنا فننقضه، وما كنت أتصور أن تصل العداوة بيننا إلى عداوة مذهب.

ثم بلغني من طريق أخي عبد الرحمن . وكان قاضيا في تعز عند الإمام أحمد . أن الإمام بلغه عني كذا وكذا، وأبلغه الإمام: قل لأخيك (يعنيني): . لا مانع من تدريس كتاب السيل الجرار وغيره ولكن لا يدرسه بين العوام حتى لا يثير فتنة، وليكن ذلك إما في البيت أو في مكان آخر، وليلقه لطلاب العلم الواعين؛ ثم أردف قائلًا:

. (نحن نعرف أن القاضي محمد غير متعصب لمذهب من المذاهب وأنه في غاية الإنصاف، ولكن العوام لا يفهمونه ولا يعرفون له قدرا، وربما يتهمونه بتخريب المذهب، فأخبره بذلك).

ثم زيادة في التحذير وأخذا في الحيطة قال لي أخي: يبدو أن الإمام (قد هو زابل!) يعني: أنه أصبح متضايق وإلا فإنه سيثير عليك ثائرته.

وكنت قد زرت السيد محمد يحي عباس في بيته، وسلمت عليه سلام العيد، ولم أكن أعرف أنه قد أبرق للإمام بشأن تدريسي لكتاب السيل الجرار، فأظهر لي مودة واحترامًا واحتفى بي، وعطَّرني وأجلسني في محل تكرمته، ثم إنه عند الوداع قام معي وشيعني، كل ذلك إجلالا في الظاهر للعم وأهله، ولكن التعصب للمذهب دفعه لرفعها كقضية إلى أعلى سلطة في البلاد مبالغة في الإيذاء ومحاربة لنشر السنة وإمعانًا منه في نصرة مذهبه، وإن كان يعرف أن الحق في غيره.

محنة السجن والسفر إلى تعز

يقول شيخنا القاضي العمراني-رحمة الله تغشاه-: (وكانت هذه المحنة أشد من سابقتيها، إذ كان الخصم فيها نائب الإمام ورئيس وزرائه، وهو أيضا شقيق الإمام وكان مسؤولًا عن صنعاء، ويسمَى (بسيف الإسلام الحسن بن الإمام يحيى)[1] وقد كان دائما يقف ضدي، لذلك فقد حبسني مرتين في سجن لا يحبس فيه إلا المتهمون بقضايا سياسية كبيرة تمس أشخاص الدولة، في حين أني كنت لا أعرف ما هو سبب سجني.

فقد سجنت في المرة الأولى مدة تبلغ نصف شهر تقريبا، ولم أخرج من السجن إلا بمراجعات كثيرة ووساطات كبيرة، ثم ما لبثت إلا قليلا حتى أمر بي إلى السجن مرة أخرى.

ومن المواقف التي لا أنساها أنه عند وصول مدير حبس القلعة وبجانبه جندي سجان إلي عند فراغي من صلاة المغرب في مسجد الفليحي يبلغني أن الإمام الحسن أخا الإمام أحمد قد أمر بسجني هذا في المرة الأولى وفي المرة الثانية كان الموقف الذي لا أنساه عند وصول جندي من عند العباس أخي الإمام أحمد حسب الأمر الذي تلقاه من أخيه الحسن يبلغني بأني محبوس وكان وصوله

---

(1) هو سيف الإسلام الحسن بن الإمام يحيى بن الإمام محمد حميد الدين، ولد في 3 ربيع الثاني سنة 1325 هـ، أرسله والده الإمام يحيى حميد الدين نائبا على لواء إب سنه 1349 هـ، ثم تولى عدة مناصب في عهد المملكة المتوكلية، وقد توفي عام 2003م عن عمر يناهز 95 عاما.

في فترة القيلولة وأنا في عرس بعض طلاب العلم، وخرجت من عند المتعرسين مع الجندي فأنقلب العرس إلى من مأتم.[1]

ولما أخرجت من السجن أشار على ولي العهد البدر الذي كان نائبا للإمام في الحديدة أن أخرج من صنعاء وأنزل إليه مكرمًا مشرفًا، أو نكتب رسالة توصية إلى الإمام في تعز فتمكث هناك، ذلك أن الحسن لا زال فيما أعلم يضمر لكم الشر. فأخذتني العزة والأنفة وآثرت البقاء في صنعاء.

ثم هدأت العاصفة لتنتفض مرة أخرى بعد مضي خمسة أشهر ونصف، ليودعني في السجن للمرة الثانية، فبلغ ذلك البدر.

فلما جاء إلى صنعاء أخذ يوبخني حيث أني لم أطاوعه بما أشار إليَّ من الخروج من صنعاء، فقلت له: ها أنا بين أيديكم، ولن أتردد في النزول إلى تعز لملاقاة الإمام، ولكن بتوصية منكم ليعرفني الإمام لا لأتوظف عنده ولا ليقربني إليه؛ وفي الأخير اتفقنا على أن نلتقي جميعا عند الإمام، ولكن لم يقل لي ذلك.

وعندما وصلت تعز تظاهرت بمقابلة أخي القاضي عبد الرحمن وأبرقت للإمام برقية، فوجهني إلى دار الضيافة، وأرسل لي مبلغا من المال تسد حاجة المسافر، فأشار علي أخي بالبقاء حتى لا يظن الإمام أني ما جئت إلا طامعا في لعاعة من الدنيا، أو متزلفًا إليه، فعملت بهذه النصيحة؛ فلما جلس الإمام في مقامه لمقابلة الناس وحل مشاكلهم، كتبت إليه طالبًا مقابلته، فأذن لي بالدخول، فلما سلمت عليه رد التحية بمثلها وبدأ مباشرة بمتاحفتي بكلام

---

(1) انظر: كتاب (مسائل جبران سحاري وأجوبة القاضي العمراني)، صد: (80).

يدخل السرور على قلبي، قائلا: (أهلا بأخ الأب أبصرني)، فأجبت حالا: (بين يديكم)[1].

فعرف الإمام أني قد عرفت لغزه أو أحجيته كما يسميها أهل اليمن، ثم أعطاني غصنا طريا من قاته[2] المخصص له مبالغة في الحفاوة والتكريم؛ ثم التفت إلى الملا من قومه الذين يجلسون معه في المجلس قائلًا: (أرأيتم صاحب صنعاء كيف فهم اللغز من أول وهلة) فأجابوا: نعم، نعم؛ إلا واحدا منم أبدى تذمرًا فقال: قد كان من الأفضل أن يجيبكم بلغز مثل لغزكم؛ فأدار الإمام رأسه مباشرة نحوي وبادرني: (وأنت يا قاضي محمد مالك ألا تجيب مثل أحجيتي؟) فأجبته بأني لم أتهرب من الإجابة بنحو ما تريدون إلا كراهة أن أتلفظ بكلام لا يعجبكم، واعفوني؛ فأصر إلا أن أجيب، فقلت: كنت سأقول المخ سارق بين أيديكم). ففهمها الإمام وقال: نعم إن ذلك من حسن أدبه، فهل رضيتم؟ فقال القوم: نعم، نعم.

ولكن على استكثار أن يقولوها إمعانا في إحراج القاضي محمد، كل ذلك خوفا من أن ينافسهم، وهو عن منافستهم لزهيد.

وصادف أنهم كانوا يبحثون عن مسألة فقهية فرعية، وكأنهم كانوا قد عجزوا عن إيجاد جواب لها، فوجه الإمام سؤاله: (ما

---

(1)(1) انظر: كتاب: (سفينة العمراني . لطائف ومعارف) . إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ: (459).

(2) جرت العادة في اليمن أنه إذا أراد أحد الأشخاص أن يكرم ضيفا كبير لديه يعطيه من قاته الخاص الذي يمضغه.

رأيكم يا قاضي محمد: ما الحكمة في أن الصلاة يوم العيد قبل الخطبة ويوم الجمعة بعدها؟).

فأجبت في البداية: (بهذا جاءت النصوص فما لنا إلا التسليم).

فقال: (نحن نعرف هذا، ولكن لعل هناك حكمة).

فأجبت: (الحكمة هي أن الصحابة خرجوا وقت الخطبة لملاقاة العير التي قدمت إلى المدينة بتجارة لدحية بن خليفة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة على الخطبة يوم الجمعة في أول الإسلام، فلما تركوه وانفضوا عنه وخرجوا للتجارة قدم عليه الصلاة والسلام الخطبة وأخر الصلاة). فدهش الحاضرون جميعًا وقال لهم الإمام: (هل سمعتم بمثل هذا الجواب؟) قالوا جميعا: لا، لا!.

فقال الإمام-يريد إضحاك القوم-: (لعله على خرجته من صنعاء أتى لنا بها من باب اليمن، فابحثوا في جميع الكتب الموجودة لديكم)، فبحثوا وفتشوا في المكب ولكن دون جدوى.

قال القاضي: وأنا هناك في مكان من المجلس واجم مطرق أنظر إليهم من طرف خفي، والإمام هناك في محله مشغول بأوراق خاصة وإجابات مهمة وغيرها، فلما انتهى من عمله صاح فيهم: هيا هل وجدتم الإجابة؟

فأجابوا جميعا: لا. لم نجد شيئا لا في الكشاف، ولا في العمدة، ولا في متن الأزهار، ولا.. إلخ. وأنا صامت لم أبت بكلمة

مع أني أعرف مصدرها خوفا من أن يأخذ الإمام كتابي لعدم وجود الكتاب لديه.

ثم بادرني بالسؤال متندرًا: (هيا من أين خطفتها؟)

فقلت: (ليس العلم عندكم يا مولانا، وإني وجدتها في كتاب "الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار" للعلامة الحازمي الذي قال فيه السيد العلامة محمد بن ابراهيم الوزير: (إن على المجتهد أن يقرأ هذا الكتاب لمعرفة الناسخ والمنسوخ)، وأنا قرأت الكتاب في مسجد الفليحي).

فأجاب الإمام: (لم نعرف هذا الكتاب من قبل ولم نسمع به) ثم التفت إلى السيد أحمد زبارة يستفسره عن هذا الكتاب فأجاب الأخير: (نعم هو عندي) فطلبه الإمام ليحوزه ويقتنيه ضمن مكتبه فأتاه فوجدوا به المسألة على ما قلت تمامًا، ولكنهم استعجلوا ولم ينتبهوا إلى أن الحديث من مراسيل أبي داود، وأنا في وجوم وصمت، حتى أخذتهم الدهشة فقالوا: إن القصة على ما قال القاضي محمد؛ إذن أعطني الكتاب يا ولد أحمد وأنت تشتري لك نسخة من مصر.

وهنا حظي القاضي لدى الإمام وارتفعت مكانته عنده، فما كان منه إلا أن قال: (إذن يا قاضي محمد لابد أن تداوم عندنا في المجلس، واحضر من جملة من يحضرون ولا نفتقدك بعد اليوم).

ولكني تعمدت أن أغيب في اليوم الثاني، فأرسل لي رسولًا يبحث عني وبلغني أنه كان يريد أن يرسل سيارة تأتي بي رفعة لشأني، وإجلالا لأهل العلم، إلا أن اثنين من المجلس اعترضا

وقالا للإمام: (إنه لم يأت للبحث عن عمل، إنه يعمل في المدرسة العلمية في صنعاء، وكذلك هو من شيوخ جامع الفليحي، ويريد أن يرجع إلى صنعاء، ولم يأت إلا ليعرفه الإمام، وحتى يأخذ فكرة عنه عن كثب، ذلك أن السيد قاسم العزي، وسيف الإسلام الحسن، قد بالغا في إيذائه، والوقوف ضده).

ويضيف السفير عبد الرزاق العمراني: ومن بعد هذه الحكاية كان الإمام عندما يدخل المجلس يسأل أين العمراني؟ وإن لم يكن الوالد موجودا ترسل له سيارة الدار، ومن ثم قال الإمام: لا داعي للبقاء في بيت أخيك، تعال واسكن في الدار الشرقية المجاورة لدار الإمام في منطقة صالة بتعز وابق مع الأولاد (أولاد الإمام) ومكث الوالد في تعز من نهاية شهر شعبان وحتى منتصف شوال.

يواصل القاضي العمراني الحديث : لقد تغافل الإمام عن مقصدي وأمرني بالبقاء قريبًا منه، وخصص لي مجلسًا آخر حتى أكون قريبًا منه لأي حاجة تطرأ له، وبقيت في المكان المخصص على كره مني ومضض، وما لبث أن مرض الإمام، فلم يخرج لمدة شهر ونصف، وظللنا نتكئ في المكان لوحدنا، ثم بعد مضي مدة أمر الإمام أن يكون المجلس في حضرته، فقلت: سمعنا وأطعنا؛ حتى تعلق بي الإمام ورفض أن أرجع إلى صنعاء، فاحتلت عليه بأني أريد إجازة، فسمح لي شريطة أن أصعد بالطائرة وأرجع معها، وفعلا نفذت الأمر على كره مني وذلك أني لا أريد البقاء في تعز، وما كان قصدي إلا أن يعرفني الإمام مخافة أن تشوه سمعتي عنده،

وأصر الإمام على بقائي عنده في مجلس خاص، وكنت غالبا أبقى وحدي ولا أستطيع أن أسمح لأحد بالدخول، ذلك أني أعتبر نفسي غريبًا، ومكثت هكذا فترة حتى أحسست بالوحشة والغربة.

ومن ألطاف الله بي أن وصل الملك سعود بن عبد العزيز زائرًا إلى اليمن، ثم كان من حسن حظي أن اختارني الإمام معه مرافقا ضمن الوفد. قال: فتنفست الصعداء حينها وحمدت الله على النعمة، فلا أدري بما أفرح، هل بخروجي من تعز، أم بالأمر الذي وجهه لرفع معاشي، أم بمرافقتي للإمام فيراني الخصم الألد لي (سيف الإسلام الحسن) أخو الإمام، فيغتاظ مني من جهة ويفرض هذا الموقف احترامه لي، والحمد لله فقد تم لي ما أردت وزيادة.

يضيف السفير عبد الرزاق العمراني: عندما أبلغ الإمام الوالد بقوله:

.ستكونون غدا برفقتنا إلى صنعاء، فلم ينم الوالد فرحًا لأنه سيعود إلى صنعاء، ولم تقم الطائرة إلا بعد الظهر، ووصلت الطائرة مطار صنعاء وأهل صنعاء متجمعون لاستقبال الإمام، وفي المطار التقى الوالد بالسيد علي زبارة وسأل الوالد: هل وجدك الحسن لكي يتركك في حالك؟

ووصل الوالد إلى البيت مع سيارة أمير الجيش وكان الوالد في المطار قد أخبر صديقه القاضي لطف السرحي بأن يبلغهم في البيت بالوصول وإبلاغ الأصدقاء، وقد علق أحدهم قائلا:

. أهل صنعاء خرجوا لينظروا الإمام ويستقبلوه، وأهل الفليحي ينظرون للقاضي محمد (الوالد).

وما إن صار الوقت بعد العصر حتى صار الوالد بين أصحابه في البيت يقيلون عنده ويحكي لهم ما جرى في تعز.

وكان الإمام بعد عودته إلى تعز سأل عن الوالد فقالوا: لم يرجع إلى تعز، فأحس الوالد بأن الإمام أخذ موقفا منه لعدم عودته معه، ففكر الوالد أن يحسن الوضع معه فاستفاد الوالد من قدوم مناسبة عيد الأضحى بأن أرسل برقية تهنئة للإمام، وكان الرد واضحا بأن الإمام غير راض عنه فكان الرد من الإمام: من هو هذا محمد العمراني؟ ففهم الوالد بأن الإمام غير راض عن عدم عودته معه إلى تعز ولكن الوالد لا يستطيع السكنى في غير مدينة صنعاء.

ومن اللطائف التي تستحق أن تروى في هذا الباب ما أورده السفير عبد الرزاق العمراني في السفينة: (عندما ذهب الوالد إلى تعز، أخبره أصدقاؤه أنه لو سأله الإمام أيهما أفضل صنعاء أو تعز، فلا يفضل صنعاء على تعز، لأن الإمام أحمد كان يفضل تعز لجوها الدافئ ولأنه لم يعش في صنعاء فترة طويلة فهو تربى وعاش في حجة ثم عاش في تعز، وفعلا سأله الإمام فأجاب بأن تعز أفضل، وبعد حوالي شهرين حضر الإمام إلى صنعاء فذهب الوالد والسيد زبارة إلى مقر الإمام فأعاد الإمام السؤال، فأجاب الوالد بأن صنعاء أفضل !! فقال الإمام وكيف؟

قال الوالد: لأننا لم نسمع بإمام أدعى الإمامة من تعز، فقال الإمام: وماذا ستقول في الإمام المظفر الذي عاش في تعز ولم يعش في صنعاء؟ قال الوالد: هو ملك تعز وما حولها ولم يحكم اليمن بكاملها، أما أنت وأبوك وجدك من صنعاء، ثم قال الإمام، وما تقول في قول الشاعر:

صنعاء لا تحفل بها وعند مداها فابتعد   فالبرد فيها قارس والجسم منه يرتعد

فقال الوالد: هذا البيت قاله طالب علم مهاجر فقير يسكن في مِنْزِلَة[1] بابها مشقوق ونافذتها قبلية يدخل منها الهواء البارد فضربه البرد فكتب هذين البيتين. أما الإمام فعنده المدفئات والدار المجهزة بكل شيء.

(1) غرفة ملحقة بالمسجد يسكنها طلبة العلم الفقراء والغرباء ممن لا سكن لهم.

العلامة العمراني
يرشد الإمام إلى رأي الشوكاني

ويروي السفير عبد الرزاق العمراني في السفينة بأنه دخل ذات يوم القاضي عبد الرحمن الإرياني إلى مجلس الإمام أحمد والإمام يصلي صلاة العشاء مؤتمًا بعد تناوله العشاء ومعه ضيوفه الذين تناولوا العشاء معه، وكان السيد أحمد زبارة يصلي بهم، فقال القاضي الإرياني للإمام:

-لماذا لا تصلون بهم أنتم؟

فقال الإمام:

-أنا لا أستطيع القيام في الصلاة وسأكون ناقص صلاة، فرد القاضي الإرياني:

-أعتقد أنه لا دليل على ذلك.

فقال الإمام للحضور:

-ما رأيكم هل هناك دليل على هذه المسألة؟ فانقسم الحضور بين مؤيد للإمام أو مؤيد للقاضي الإرياني، وكان الوالد، رحمة الله تغشاه، من الحضور لكنه لم يدل بدلوه، فنظر إليه الإمام وقال:

-وأنت ما رأيك يا قاضي محمد؟

فقال الوالد:

-لا ينبغي أن نختلف وفي بيت الإمام كتاب نيل الأوطار للعلامة الشوكاني، فطلب الإمام الكتاب وقال افتحوا باب صلاة القائم

خلف القاعد واقرأوا فقرأوا ما قاله الشوكاني، رحمه الله، من أقوال الفقهاء وعلماء السلف، إلى أن انتهى الشوكاني أنه لا مانع من أن يؤم القاعد القائم، واستدل بالحديث الصحيح المذكور في البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عليه الصلاة والسلام صلى في مرضه إمامًا وهو قاعد، كما أن دليل الذين يقولون بالرأي الآخر صحيح أيضا وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مرضه خلف أبي بكر رضي الله عنه، ولا تناقض بين الحديثين فالنبي صلى الله عليه وسلم استمر مرضه أسبوعا صلى خلاله إمامًا ومؤتمًا في البعض الآخر.

معاناة القاضي العمراني
بسبب دفاعه عن الصحابة والعلماء

ويروي الدكتور عبد الرحمن الأغبري أن القاضي العمراني – رحمة الله تغشاه –حدثه أنه جلس لشيخه المحقق كما وصفه بنفسه (محقق في علم الأصول واللغة)... الشيخ العلامة محمد بن صالح البهلولي[1].

يقول وهو يعرض أحداث تلك الجلسة[2]:

(بينما كنت أدرس في كتاب " إحكام الأحكام " لابن دقيق العيد، وأثناء ما كنت أقول: قال الشوكاني يتصدى لي مباشرة معارضًا إياي بقوله:

-(أعرض عن هذا فهو مغفل جامد) فصبرت وكتمت غيظي عله يتراجع، وبعد أيام توصلنا إلى مسألة وافقت قولًا للسيوطي مباشرة، قال: (السيوطي حشوي حاطب ليل يقبل كل ما سمع) فقلت: (أصبر وأمضي في الدرس).

وبعد أيام وصلنا إلى درس فتذاكرنا أقول العلماء، فقلت للشيخ: (هناك رأي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسألة التيمم، فهو يقول: إن التيمم لا يرفع الحدث!) فقال:

---

(1) العلامة صالح البهلولي من مشايخ القاضي العمراني وقد سبقت ترجمته.

(2) انظر: كتاب (القاضي العمراني وحياته العلمية والدعوية) للدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ 176.

(هو أغا) وهي كلمة تركية استعملها أهل اليمن ويقصدون بها (أميًا) يعني أن عمر بن الخطاب -والذي كان وزيرًا للنبي صلى الله عليه وسلم، بل الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: (لو كان بعدي نبي لكان عمر ابن الخطاب)[1]، يقول عنه: إنه أمي: فما كان مني إلا أن أطبقت الكتاب (حتى أحدث صوتا مزعجا)، وقمت مغاضبا وقلت للشيخ: (خاطركم وإلى اللقاء) يعني مع السلامة... فقال الشيخ: (إلى أين؟)، فقلت: (والله لا أدري، جئنا نتعلم أم جئنا لنكسر شرف العلماء، ونقدح، ونعرض بالأئمة الأعلام؟ هذه ليست دراسة هذه (...). اليوم الأول قلتم: إن الشوكاني جامد مغفل، واليوم عرضتم بالسيوطي وقلتم: إنه يسمع كل ما قيل، وهو حشوي، واليوم الثالث تطاولتم على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: وقلتم عنه: أمي، فأخشى أن تتطاولوا إلى جانب النبوة فتقولوا منكرا من القول وزورًا، هذا ليس علمًا).

فأجاب: (هذا لا يتصور منا، أتريدنا أن نكون جامدين قراءتنا) قلت: (لا، ولكن إذا اعترضتم على شيء، دعا داع إليه، فلا يمنع ذلك من الرد، ولكن بأسلوب علمي نقدي غير مجرح ولا مبدع ولا معرض بأحد نأخذ القلم ونكتب هذا القول ممن كان!! رأي شخصي لفلان من الناس وفيه نظر!! وذلك لكذا وكذا والصحيح والله أعلم كذا وكذا. وأنا بالتالي أكتبها في حاشية

---

(1) ورد هذا الحديث في باب فضائل عمر بن الخطاب وقد اختلف فيه العلماء حيث صححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الترمذي، وكذا حسنه الألباني في " صحيح الترمذي " وذهب الإمام أحمد وابن حبان إلى أنه منكر.

كتابي، فما أن أقول بقولك أو أرد عليه إن كنت أهلا لذلك ردًا علميًا مثل سائر العلماء).

واتفقنا في نهاية المطاف أن نرجع للقراءة من غير تعرض لأي عالم مهما كان بسوء أو مكروه، إذ الرجل (يعني شيخه) كان عالمًا محققًا في علم الأصول واللغة، ولكنه كان متعصبًا لمذهب الزيدية ويحاول مرارًا أن يقلل من شأن غيره من أهل المذاهب الأخرى، ولكن لم يمنعني ذلك من الاستفادة منه.

يقول الدكتور عبد الرحمن الأغبري: (فإذا علمنا أن هذه الحادثة كانت في سنة 1359هـ-تقريبا، أي (وعمر القاضي محمد إذ ذاك تسعة عشر عاما دل هذا على أنه كان ذا فهم ناضج وذهن متوقد، فهو لا يجمد على تعليم شيخه له وتلقينه له أو تقديسه مهما كان منه، لا بل يبدو أنه كان قد قرأ كتب ابن الوزير والأمير والمقبلي والشوكاني والجلال، وبالتالي لم يكن ليسكت عن باطل أو ليكتم حقا إنه في الحقيقة تلميذ لهؤلاء العلماء الأحرار الذين نبذوا التعصب والجمود ونشروا مبدأ إعمال العقل والأخذ بالدليل من مصادره من غيره من غير التفات إلى القال والقيل..

ويضيف الدكتور عبد الرحمن الأغبري: (ولم يكن هذا بغريب عليه من شيخه فقد كان جل مشايخه بهذا الأسلوب، حتى عندما سألته سؤالًا عارضا: (من هم المشايخ الذين تجد فيهم

القدوة، ومَن من مشايخكم تجدون فيه صفة الربانية والروحانية والتخلق بأخلاق النبوة؟)[1]

أجاب مسرعاً: (لا أحد، بل أكثرهم كان ضدي والمعتدل فيهم كان صامتا... يكفيني أن أسلم منهم، فأنا وإياهم في إشكال مستمر حيث إن أكثرهم يتهمني بأني ناصبي سني، عدو لأهل البيت والمذهب، وإني لأجد ذلك حتى في المسجد وأنا أصلي).

يقول القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه: (ومما حدث لي، وهو غيض من فيض في مسجد الفليحي، وهي قصة متكررة (أي تتكرر لي دائما) ذلك أنه عندما كان يصعد المؤذن إلى المئذنة ليرفع النداء لصلاة المغرب كنت أقوم إلى مصلاي فأركع ركعتي السنة القبلية بعد الأذان، ركعة أقضيها أثناء نزول المؤذن من المئذنة حيث إنها كانت بعيدة نسبيًا، والمؤذن كبير السن ضعيف البنية، وركعة أخرى حين يصل إلى المسجد فيقيم، فلا يأتي إلا وقد أتممت الركعتين، فيأتي هذا الشيخ وهو صاحب القصة الأولى (يقصد قاسم العزي) ويصيح بين الناس: (ما هذه الصلاة؟) ما جاء فيها حديث![2] وهكذا كان ضدي دائمًا، وأنا في عراك دائم مبالغة في وقوفه ضدي، ذلك لكراهته العمل بما يوافق مذهب الشافعية أو غيره من مذاهب السنة).

---

(1) انظر: كتاب (القاضي العمراني وحياته العلمية والدعوية) للدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ 210.

(2) يقصد أنها غير صحيحة

القاضي العمراني
يروي معاناته بسبب المتعصبين

وقد سُئل القاضي العمراني: ما كان آخر فعل النبي صلى الله عليه وسلم هل كان آخر فعله الضم أم الإسبال في الصلاة؟ ثم عقب بسؤال آخر من سائل قال: أنا أريد أن أقتدي بالقاضي محمد بن إسماعيل العمراني ماذا يفعل هل يضم أم لا يضم؟

فأجاب القاضي العمراني[1]: السؤال الأول وردت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا صلى وضع يده اليمنى على اليسرى في الصلاة، في صحيح مسلم وغيره، ثمانية عشر من الصحابة رووا عن رسول الله صلى الله عليه سلم أنه كان يضم يده اليمنى على اليسرى في الصلاة، وعدها العلماء من جملة الأحاديث المتواترة، وقد قالت المذاهب كلها، الحنفية والشافعية والحنبلية والظاهرية والإمام زيد ابن علي نفسه فقد ورد في مجموع زيد ابن علي قال أبو خالد الواسطي حدثني زيد ابن علي عن أبيه عن جده إلى آخر السند، وذلك في كتاب الصيام من مجموع زيد ابن علي أن ثلاثة أشياء من خصال الفطرة أو من السنن وهو: تأخير السحور وتعجيل الإفطار ووضع اليد اليمنى على اليسرى في

---

(1) انظر: فيديو للقاضي العمراني في اليوتيوب بعنوان: "حكم الضم في الصلاة القاضي محمد العمراني " على هذا الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=XAf_7MiBw4o

الصلاة، ولم يخالف إلا بعض الروايات عن الإمام مالك والصحيح عن الإمام مالك أنه يقول بالضم مثلما يقول سائر الأئمة، أما أنا شخصيا إذا هو يسأل كيف أعمل في الصلاة فأنا أضم من حين قرأت في الصغر وأنا صغير كتاب " المسائل المرضية في اتفاق أهل السنة على سنن الصلاة والزيدية " للسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير[1]، سُئل عن ثماني مسائل من مسائل سنن الصلاة، هل علماء أهل البيت يقولون بها أو بعضهم؟ هل يقول بها

بعض الزيدية؟ فأجاب على هذا السؤال وقال: في الضم هو مذهب زيد ابن علي وأحمد ابن عيسى بن زيد بن علي وفلان وفلان ومن هناك عملتُ به فكنت أضم وطالعت أيضا كتب " الدراري المضيئة " و "السيل الجرار" و"سبل السلام" وغيرها لأجل أتمسك بالأدلة لمن سألني لأنه كان كل واحد يسألني: لماذا تضم؟ وما هو الدليل؟ لماذا قدك تضم؟

ليس فيك سخا (كلمة تقال معناها: نحن مشفقون عليك) تقع ناصبي؟

مع أنه لا علاقة بين النصب وبين سنن الصلاة، خليها على الله ما وقع لي في تلك الأيام من قبل وعادني شباب.

يقاطعه المذيع: قبل كم يا قاضٍ تقريبا؟

يجيب القاضي العمراني: من حين وعمري ثمانية عشر أو تسعة عشر عامًا وكلهم يستنكروني لماذا أضم، حتى أني كنت لا

(1) كتاب (المسائل المرضية في اتفاق أهل السنة على سنن الصلاة والزيدية). سبقت ترجمته.

أضم إلا إذا صليت في البيت، أو لا أضم إلا إذا كنت عند ناس من أصحابي، كنت أتحاشى وبعدها كنت أضم يدي اليمنى على اليسرى أمام الجميع.

يسأله المذيع: هل وجدت صعوبة شديدة يا قاضٍ؟

يجيب القاضي: لست أنا وحدي، أنا وغيري، قالوا قد ذاك بيحجف، أهل صنعاء لا يقولون: يضم يقولون: يحجف، قد ذاك العمراني بيحجف، قد ذاك العمراني بيخذف: أي يرفع يديه حال تكبيرة الإحرام، فيقولون عن رفع اليدين حال تكبيرة الإحرام "خذف "، كانت هذه السنن مستنكرة عند العوام، أما العلماء فلم يكونوا ينتقدون هذه السنن ومشايخي الذين درست عندهم قد كنت أضم ولا يستنكرون، لا يضمون أيديهم في الصلاة لكن لا يستنكرون على المخالف لهم.

يسأله المذيع: يا قاضي محمد هل ما زلتم على الضم إلى الآن؟

فيجيب القاضي: نعم، والآن لم يعد أحد يستنكر الضم.

القاضي العمراني يروي
قصة التنكيل بالعلامة محمد جغمان

ويروي القاضي العمراني في كتاب السفينة أنه كان اختيار القاضي محمد محمد جغمان -1905م)[1] لتولي منصب مفتي ولاية اليمن من قبل علماء صنعاء بعد وفاة القاضي حسن بن حسن الأكوع وخاله القاضي أحمد الشوكاني وجده شيخ الإسلام محمد ابن علي الشوكاني وكان اختيارهم له لأنه عالم زيدي هادوي كبير وأتى اختياره بعد أن أستأثر بهذا المنصب السنيون لحوالي مائة عام، غير أن القاضي اتفق مع الولاة العثمانيين وأعجب بهم حتى إنه تحول إلى المذهب الحنفي، وعمل مع الولاة العثمانيين الأتراك على اليمن بنشاط وإخلاص؛ فنقم عليه الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، وكلف جماعة بقتله؛ فتحينوا له الفرصة، وهو يتوضأ في حمامات مسجد (صلاح الدين) شرق صنعاء القديمة؛ فهجموا عليه وأوسعوه طعنًا، ولم يتركوه إلا بعد أن اغتسل بدمائه، فارتمى في الأرض متظاهرا بأنه قد مات وسمع أحدهم يقول: نقوم بقطع رأسه، وقال الآخر لا بل نتركه فقد يرانا أحد، فتركاه وفرا ظانين أنه قد مات، وجاء من أسعفه، ويواصل القاضي العمراني -رحمة

---

(1) هو العلامة القاضي محمد محمد جغمان ولد بصنعاء عام 1863م ودرس على أيدي كبار علمائها حتى صار من العلماء المجتهدين وتولي الإفتاء في اليمن أيام الحكم العثماني وزار إسطنبول والتقى بالحكام العثمانيين وقد قتل على أيدي الأئمة عام 1905م.

الله تغشاه -رواية ما حدث للقاضي جغمان[1] -حيث يقول: ثم قبض على رجلين من المعتدين، وهما: (محمد الزلب)، و(محمد المهدي)، فاعترفا بجريمتهما.

وبعد أن شفي القاضي جغمان من جراحه رحمه الله، عاد إلى ما كان عليه من العمل مع (العثمانيين)؛ فسافر مع الوالي العثماني (حسين حلمي باشا)[2] إلى عاصمة الدولة العثمانية حينها إستنبول التي أعجب فيها بعظمة الدولة العثمانية، وقابل السلطان عبد الحميد الثاني[3]، الذي أعجب بفصاحته وحسن بيانه، وأنعم عليه وأكرمه.

ولما آل الأمر إلى الإمام يحيى حميد الدين بعد وفاة أبيه واستولى على مدينة صنعاء قبض بعض رجاله على العلامة القاضي جغمان، ونتيجة لمواقفه وحقد الإمام عليه أمر الإمام أهل صنعاء بالتعزير به (حوموروا به أو جرسوه)[4] وظلوا يصفعونه من باب صنعاء إلى مدخل قرية القابل في وادي ظهر شمال صنعاء، وصادف وقت خروج الإمام يحيى من صلاة المغرب فقال جغمان للإمام:

---

(1) انظر ما رواه القاضي العمراني في كتاب: (سفينة القاضي العمراني معارف ولطائف) صـ 446

(2) حسين حلمي باشا (سبتمبر 1855م أبريل-1922م) سياسي عثماني من أصول يونانية. شغل منصب الصدر الأعظم للدولة العثمانية في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني وتولى الولاية في اليمن لفترة وجيزة ثم تولى الحكم في البلقان بعد ذلك.

(3) السلطان عبد الحميد الثاني: ولد في إسطنبول عام 1842م وتعلم اللغتين العربية والفارسية بالإضافة إلى الفرنسية والأدب العثماني والعلوم الإسلامية، وتولى الخلافة خلفًا لأخيه السلطان مراد الخامس عام 1876م وهو آخر خلفاء الدولة العثمانية وقامت جمعية الاتحاد والترقي بتلفيق تهم له وخلعه في عام 1909م ونفيه إلى مدينة سالونيك باليونان وقد توفي عام 1918م.

(4) حومروا به أو جرسوه: أركبوه على حمار وجعلوا وجهه ناحية مؤخر الحمار وعلقوا في رقبته الأجراس ثم شتموه وصفعوه وهم يمشون به في الطريق وهو نوع من التعزير.

اقتلني ولا تهني هكذا، فقال الإمام لحقي وحق والدي فقد عفوت عنك لكن حق أهل صنعاء لهم الحق في العفو عنك من عدمه.

لقد عامله هكذا علما بأن الإمام يحيى قد درس على يد القاضي جغمان.

ولما علم الإمام يحيى بعودة الوالي أحمد فيضي باشا[1] التركي إلى اليمن خرج من مدينة صنعاء هاربا، وكلف بعض رجاله باختطاف القاضي محمد جغمان وجماعة كبيرة من العلماء الذين يوالون دولة الخلافة الإسلامية العثمانية، وأرسلوا جميعا منطقة " قفلة عذر " بعمران جهة صعدة حيث قام الإمام بإعدامهم جميعا شنقا بالحبال رحمهم الله.

---

(1) أحمد فيضي باشا، سياسي وقائد عسكري عثماني، ولد في جزيرة القرم شمال البحر الأسود سنة 1839م ودرس في المدارس العسكرية العثمانية حتى صار من قيادات الجيش العثماني وقد عين واليًا على اليمن منذ عام 1891م حتى عام 1898م وقد توفي عام 1915م.

القاضي العمراني
يروي قصة غدر الإمام بالعلامة زبارة

يروي القاضي محمد بن إسماعيل العمراني بأن العلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة[1] كان من الشخصيات العلمية المشهورة في اليمن وقد أرسله الإمام يحيى حميد الدين في عدة مهام سياسية خارجية فأرسله إلى الشريف الإدريسي حاكم جيزان حينها، وإلى الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية، وعندما اقترح نجل الإمام سيف الإسلام محمد -الذي كان يتصف بحبه للنهضة وتطلعه للتعريف باليمن وبالمؤلفات اليمنية -عندما اقترح على والده الإمام يحيى بأن يتم طباعة الكتب اليمنية الشهيرة التي لو خرجت إلى خارج اليمن لكانت خير معرف بمدى ما يتمتع به علماء اليمن من تطور وحرية فكرية، فوافق الإمام على ذلك، وتم تكليف السيد محمد زبارة بأخذها والسفر إلى مصر لطباعتها والإشراف عليها ومراجعتها، ومن هذه الكتب كتاب (فتح القدير) في التفسير، وكتاب (البدر الطالع) وهي من مؤلفات شيخ الإسلام الشوكاني، وكتب أخرى من مؤلفات العلامة الوزير وغيره من علماء اليمن، مما يكون في نشرها خارج اليمن فائدة علمية وتعريفية باليمن، وفعلا سافر السيد زبارة سنة 1349

---

(1) سبقت ترجمته.

هجري، - ويومها كان القاضي العمراني صبيا عمره تسع سنوات -وفي أثناء إقامة زبارة في مصر تزوج من امرأة مصرية أنجبت له ولده أمين، وبينما هو في مصر توفي نجل الإمام محمد (غرق في البحر بالحديدة) الذي كان متبنيا لموضوع الطباعة، وتحويل ما يحتاجه السيد زبارة من مال للطباعة والنفقة عليه من خلال المهمة، فبعد وفاته انقطعت عنه الأموال فاضطر لطلاق زوجته المصرية والعودة إلى اليمن، وعندما عاد كانت تأتيه مطالبات ومتابعات من الجهات المصرية تطالب بنفقة الطفل، فذهب للإمام يحيى يطلب منه صرف راتب يكفيه ويكفي لتحويل نفقة الولد في مصر، كونه لم يذهب إلى مصر إلا في مهمة عمل وتكليف رسمي يعود بالنفع لليمن، لكن الإمام يحيى نتيجة بخله الشديد لم يوافق، والمتابعات من مصر تلاحق زبارة، فتأثر زبارة وقام بكتابة قصيدة شعرية ضد الإمام، وطالب فيها بلجنة من علماء اليمن وآخرين عرب تحكم بينه وبين الإمام، ورحل من صنعاء إلى العراق ونشر قصيدته، وهناك التقى بعدد من مسؤولي الدولة وكان يحمل كارتًا أو بطاقة التعريف الخاصة به باسم مدير القصر السعيد وهذا القصر في الواقع هو (قصر السلاح أو الكدم) الكدم: خبز الجنود -بينما خارج اليمن كانوا يعتقدون أن القصر السعيد هو قصر الإمام، فاستقبله الملك غازي وكتب فيه السيد زبارة قصيدة يمتدحه فيها، وأخبر الملك غازي بأنه سبق أن عرفه لما كان طفلا في أحضان الشريف حسين، وكون صداقات مع وزراء عراقيين كما تعرف وكون صداقة مع السفير الإيراني في العراق حينها وطلب

منه تقديم دعوة له لزيارة إيران بضيافة الشاه رضا بهلوي وتم له ما أراد وقام بزيارة إيران وزار مناطق قبور الزيدية في إيران وأهدى علماءها كتبا يمنية، عندما علم الإمام بما فعله زبارة في العراق وإيران حقد عليه، وعند عودته إلى اليمن نزل ضيفا في تعز على حاكم المدينة السيد علي عبد الله الوزير الذي أبلغ الإمام بوصوله، فرد عليه الإمام أهلا وسهلا وأمر بتجهيز حبس بما يتناسب مع زبارة، فعلم ابنه السيد أحمد زبارة بالخبر فأبرق لوالده بواسطة مطهر مطير مدير المالية في تعز يخبره بأن الإمام سيحبسه وأنه حاقد عليه ونصحه بالمغادرة فورًا، فاعتذر زبارة للوزير وأخبره بأنه مضطر للسفر إلى عدن لإحضار بعض الكتب، وتوجه إلى عدن، وفور وصوله أبرق لابنه بأنه قد وصل عدن وبماذا يشير عليه، فرد له بأن توجهوا إلى صديقكم ملك السعودية، أو إلى الهند إلى صديقكم شوكت علي الذي تعرفتم عليه في مؤتمر فلسطين، فاستخار الله وذهب إلى مكة وهناك التقى بولي العهد السعودي حينها الأمير فيصل أمير مكة وطلب منه إبلاغ الملك عبد العزيز بن سعود بوصوله، فأجاب الملك فليبادر بالوصول إلى الرياض، فوصل زبارة إلى الرياض وهناك خيره الملك بأن يمنحه سكنا في الرياض أو في مكة أو في المدينة المنورة.

فقال زبارة: أريد فقط أن تراجعوا الإمام بأن يمنحني الأمان وراتبا شهريا يكفيني ويليق بي، فقام بإرسال برقية للإمام يخبره بوصول السيد زبارة وبمطلبه، فرد الإمام بجواب لم يكن يتوقعه أحد، حيث قال: ومن هو زبارة هذا؟

فلا تصدقوا كل من جاء إليكم، فاستغرب الملك من هذا الجواب وأخبر زبارة بذلك فقال: كيف يرد هكذا؟! وهو من أرسلني إليكم عدة مرات في مهمات رسمية، وهو الذي عرفني بكم واليوم ينكرني!

فقام الملك بتحرير رد إلى الإمام يبلغه بأن زبارة الذي سبق أن كلفتموه بعدة مهام إلينا وهو من كنتم تثقون به، وغير ذلك مما وضع الإمام في موقف محرج أمام الملك، فرد على الملك أن أخبروه بالعودة وله الأمان وراتب يكفيه، فعاد السيد زبارة إلى اليمن[1].

---

(1) انظر: كتاب (سفينة العمراني- معارف ولطائف) إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 388

القاضي العمراني
وشيخ الإسلام الشوكاني

الترجمة التي اعتمدها القاضي العمراني للشوكاني[1]

القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني (1173-1250هـ- 1760م -1834م.

هو الإمام، العلامة الرباني، والسهيل الطالع، من القطر اليماني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة، بحر العلوم، وشمس الفهوم، سند المجتهدين، فارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، نادرة الدهر، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، علامة الزمان ترجمان الحديث والقرآن، علم الزهاد، أوحد العُباد، قامع المبتدعين، آخر المجتهدين، رأس الموحدين، تاج المتبعين، صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها، قاضي قضاة أهل السنة والجماعة، شيخ الرواية والسماعة، عالي الإسناد، السابق في ميدان الاجتهاد، على الأكابر الأمجاد، المطلع على حقائق الشريعة ومواردها، العارف بغوامضها ومقاصدها، الورع القائم بالحق، بقوة جنان، وفصاحة لسان، الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني[2].

---

(1) ترجم القاضي العمراني لشيخ الإسلام الشوكاني ترجمة لطيفة في آخرة كتابه نظام القضاء في الإسلام.

(2) انظر: كتاب (سفينة العمراني معارف ولطائف) إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 337

كان مولده -رحمة الله تغشاه -يوم الاثنين، الثامن والعشرين من ذي قعدة الحرام، سنة ثلاثة وسبعين بعد مائة وألف (1173) هجرية، الموافق يوليو (1760) ميلادية، في بلدة هجرة شوكان، وهي قرية من قرى السحامية (بني سحام) إحدى قبائل خولان[1].

نشأته ومشايخه:

نشأ -رحمة الله تغشاه -بصنعاء وتربى في حجر أبيه على العفاف والطهارة وأخذ في طلب العلم وسماع العلماء وفرغ نفسه للطلب وجد واجتهد فقرأ القرآن على جماعة من المعلمين وختمه على الفقيه حسن بن عبد الله الهبل وجوَده على جماعة من مشايخ القرآن بصنعاء ثم حفظ الأزهار للإمام المهدي[2] في الفقه، ومختصر الفرائض للعصيفري[3] والملحة للحريري[4] والكافية

(1) قبيلة خولان (الطيال/العالية) في مأرب وصنعاء والبيضاء وهم جزء من بكيل وقبيلة خولان (بن عامر/عمرو) في صعدة وعسير (السراة) ويرى المؤرخ الهمداني أن كلا القبيلتين من أصل واحد.

(2) كتاب (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) الكتاب المرجع في الفقه الزيدي ومؤلفه هو الإمام العلامة أحمد بن يحيى المرتضى يعتبر مجدد الفقه الزيدي في زمنه، ولد بذمار سنة 763 هـ / 1362م. ونشأ بصنعاء ودرس على أيدي علمائها ثم تولى الإمامة سنة (793 هـ / 1391م) وتوفي ببلدة الظفير بحجة ودفن هناك، سنة 840 هـ / 1437م.

(3) كتاب (مفتاح الفائض في علم الفرائض) وهو مختصر في علم المواريث "الفرائض " ومؤلفه هو العلامة الفرضي الفضل بن أبي سعد العصيفري من علماء الزيدية ولد في بلاد ميتك عفار بحجة وتوفي في صنعاء سنة 614هـ: انظر: أعلام المؤلفين الزيدية لعبد السلام الوجيه.

(4) كتاب (ملحة الإعراب) في النحو تأليف العالم اللغوي الأديب القاسم بن علي الحريري البصري ولد بالمشان بضواحي البصرة سنة 446هـ الموافق 1054م= =ودرس على أيدي علماء البصرة ومن أشهر مؤلفاته " مقامات الحريري " توفي سنة 516 هـ الموافق 1122م.

والشافية لابن الحاجب[1] والتهذيب للعلامة التفتازاني[2]، وله قراءة على والده، ولازم إمام الفروع في زمانه القاضي: أحمد بن محمد الحرازي[3] وانتفع به في الفقه.

وأخذ النحو والصرف عن السيد العلامة إسماعيل بن حسن[4]، والعلامة عبد الله بن إسماعيل النهمي[5]، والعلامة القاسم بن محمد الخولاني[6]، وأخذ علم البيان، والمنطق، والأصلين (أصول الدين وأصول الفقه)، والعلامة علي بن هادي

---

(1) كتاب (الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط) تأليف عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني الشهير بـ ابن الحاجب، الفقيه المالكي والأصولي النحوي والمقرئ، ولد في صعيد مصر سنة570 هـ الموافق 1174م ونشأ ودرس بالقاهرة حتى صار من أبرز علماء العربية في زمانه وتوفي سنة 464هـ الموافق 1249م.

(2) كتاب (تهذيب المنطق والكلام) تأليف العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ولد بخراسان سنة 722 هـ الموافق 1322م درس فيها حتى برز في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والتفسير وعلم الكلام وتوفي 792هـ الموافق 1390م.

(3) هو الْعَلامَة أَحْمد بن مُحَمَّد الحرازي ومن مَشَايِخ صنعاء وممن درسوا في جَامع صنعاء فِي الْفِقْه من شيوخ الشوكاني حيث لازمه الشوكاني 13سنة وبه انتفع في الفقه، خرج من صنعاء فِي أَوَاخِر سنة 1221هـ إلى حصن الظفير بحجة هُوَ وَجَمَاعَة ودعا إلى نَفسه بالإمامة وَبث دَعوته إلى الأقطار وَجَرت أُمُور طَوِيلَة وَبعد ذَلِك ترك الدعْوَة وَاسْتقر هُنَالك حتى توفي سنة 1227هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن الرابع للشوكاني. صـ 141

(4) العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي ولد بصنعاء سنة 1141هـ ودرس على أيدي كبار علمائها حتى صار من المبرزين في العلوم الشرعية وقد وصفه الشوكاني بأنه "كان مطلعًا بكافة الفنون من التفسير والحديث والنحو والصرف والمعاني والبيان، مع زهد، وعفاف وتواضع". وقد سمع منه "التنقيح في علوم الحديث" توفي سنة 1208هـ، انظر: كتاب (البدر التمام شرح بلوغ المرام) تأليف الحسين بن محمد المَغْرِبي.

(5) العلامة عبد الله بن إسماعيل بن حسن النهمي، المولود بصنعاء سنة 1150هـ، درس عليه الشوكاني النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول وتوفي سنة 1228هـ.

(6) العلامة القاسم بن محمد الخولاني ولد بصنعاء سنة 1162 ودرس بها حتى صار من العلماء الكبار ودرس عليه الشوكاني النحو والصرف والمنطق والأصول وآداب البحث والمصطلح وتوفي سنة 1209هـ.

عرهب[1] ولازم في كثر من العلوم مجدد زمانه السيد عبد القادر بن أحمد الحسني الكوكباني[2].

كما أخذ في علم الحديث عن الحافظ: علي بن إبراهيم بن عامر[3]، وغير أولئك من المشايخ، في جميع العلوم العقلية والنقلية، حتى أحرز جميع المعارف، واتفق على تحقيقه المخالف والموالف، وصار مشارا إليه في علوم الاجتهاد بالبنان، والمجلي في معرفة غوامض الشريعة عند الرهان.

وقبل شروعه في الطلب كان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التاريخ ومجاميع الأدب.

وكانت مرحلة صبا الإمام الشوكاني في عهد حكم الإمام المهدي عباس.

نبوغ شيخ الإسلام الشوكاني

وعن نبوغ شيخ الإسلام الشوكاني منذ بداية مرحلة التعلم وطلب العلم، يروي القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه -أن الإمام الشوكاني عندما كان في بداية مشواره العلمي وكان يتتلمذ على أيدي أحد علماء صنعاء ولم يكن إذ ذاك قد عرف شيئا من

(1) العلامة علي بن هادي عرهب ولد بصنعاء سنة 1164هـ وَقَرَأَ على جمَاعَة من الْعلمَاء حتى برع فِي النَّحْو وَالصرْف والمعاني وَالْبَيَان والأصول والْحَدِيث وَالتَّفْسِير وقرأ عليه الشوكاني فِي شرح التَّلْخِيص الصغير للتفتازاني وَفِي حَوَاشِيه.

(2) السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الكوكباني ولد صنعاء عام 1135هـ نشأ بكوكبان، ثم ارتحل إلى صنعاء، فأخذ عن أكابر علمائها حتى صار من كبار العلماء المجتهدين له العديد من المؤلفات وهو من أبرز شيوخ الشوكاني توفي 1207هـ.

(3) الحافظ علي بن إبراهيم بن عامر، عالم، محدث، قال عنه الشوكاني: كان إمامًا في جميع العلوم، محققًا لكل فن، ذا سكينة ووقار، قل أن يوجد له نظير، وهو شيخ الشوكاني في "صحيح البخاري" حيث سمعه منه من أوله إلى آخره توفي 1208هـ.

العلم، فكان أول بحث طالعه بحث كون الفرجين من أعضاء الوضوء في (الأزهار) وشرحه، ولما طالع هذا البحث قبل الحضور عند الشيخ رأى اختلاف الأقوال فيه، فسأل والده: ما هو الرأي الصحيح والراجح في المسائل الفقهية التي نتعلمها وأي الأقوال يتم العمل عليه؟

فأجابه:

-يكون العمل على ما في الأزهار وهو الحمرة (وهي علامة توضع عند كل رأي وترجيح للإمام المرتضى مؤلف شرح الأزهار وتكتب باللون الأحمر).

فرد عليه:

-وهل يعقل أن كل ما قاله الإمام المرتضى هو الصواب؟ وأنه أكثر علمًا من هؤلاء؟ وأن بقية الأئمة على خطأ في كل المسائل؟

فقال والده:

-لا

فقال الشوكاني:

-فكيف كان اتباع قوله دون أقوالهم لازما؟

فقال:

اصنع كما يصنع الناس، فإذا فتح الله عليك، فستعرف ما يؤخذ به وما يترك، فما كان منه إلا أن سأل الله أن يفتح عليه من معارفه ما يجعله يميز به الراجح من المرجوح، وكان هذا في أول بحث نظره، وأول موضع درسه وقعد فيه بين يدي العالم.

وعاد وسأل والده:

-وهل يوجد في اليمن عالم يفرق بين هذه الآراء ويرجح الصواب منها من أي مذهب؟

فقال له:

-نعم هناك العلامة السيد عبد القادر بن أحمد في كوكبان.

فقال:

-سوف أجد وأتعلم حتى أصبح مثله، ومرت الأيام وشيخ الإسلام الشوكاني يتعلم ويجد في الاطلاع والبحث حتى صار عالمًا مجتهدًا، وعندما سمع أن السيد عبد القادر ترك كوكبان ووصل صنعاء ذهب إليه وتتلمذ على يديه حتى توفى الله شيخه عبد القادر، وقال عنه شيخ الإسلام الشوكاني: ما من عالم تتلمذت على يديه ومات إلا وقد أخذت منه كل ما عنده من علم.. إلا السيد عبد القادر بن أحمد فقد توفي رحمه الله ولازال عنده من العلم الكثير.

وينصح الإمام الشوكاني هنا طلبة العلم بأن يلجؤوا إلى البحث والتحري والتمييز في كل المسائل بين الراجح والمرجوح ويقول كي لا يُحرم الطالب بركة العلم ويمحق فائدته.

سند القاضي العمراني
إلى الشوكاني

يقول القاضي العمراني: (بيني وبين الشوكاني 130 سنة لكنني درست على تلاميذ تلاميذ الشوكاني فأنا مثلا أروي العلم عن مؤلفات الشوكاني عن السيد العلامة قاسم ابن إبراهيم ابن أحمد وهو يروي عن القاضي إسحاق المجاهد وهو يروي عن القاضي محمد ابن محمد ابن علي العمراني (جدي) عن الشوكاني والذي لازمه لمدة ثلاثين عاما، فالإمام الشوكاني من تلاميذه القاضي محمد ابن محمد ابن علي ابن حسين ابن صالح ابن شائع العمراني، ومن تلاميذه القاضي إسحاق ابن عبد الله المجاهد وهذا من تلاميذه السيد قاسم ابن إبراهيم ابن أحمد وهو شيخي فبيني وبين الشوكاني ثلاثة العمراني والقاضي إسحاق وشيخي قاسم ابن إبراهيم)[1].

وقد قال لي القاضي العمراني عندما سألته عن شيخ الإسلام الشوكاني: (أسانيدي تصل إلى الشوكاني بيني وبين الشوكاني ثلاثة أشخاص فقط في عدة أسانيد فأنا أروي عن السيد العلامة قاسم ابن إبراهيم عن القاضي إسحاق المجاهد عن القاضي محمد بن

---

(1) مقابلة القاضي العمراني مع صحيفة إيلاف وقد سبق الحديث عنها.

محمد العمراني عن شيخ الإسلام الشوكاني فجميع الطرق كلها بيني وبين الشوكاني ثلاثة من العلماء).

وقد سُئل القاضي العمراني: نلاحظ عليكم تدريسكم لكتب ورسائل الإمام الشوكاني وأخذكم عنه وإفتاءكم على مذهبه أكثر من غيره، لماذا الشوكاني بالذات؟

فأجاب القاضي: اخترت الشوكاني وتشيعت له وأنشر كتبه وتراثه لأني اقتنعت به مثلما ابن القيم عندما تشيع لابن تيمية والشيخ محمد رشيد رضا عندما تشيع للشيخ محمد عبده وابن حزم الظاهري تشيع في داوود الظاهري، وابن حجر العسقلاني تشيع في الإمام محمد بن إدريس

الشافعي، وهكذا بعض التلاميذ يحب الشيخ ويعتقد فيه ويقتنع بآرائه أكثر من غيره وهكذا أنا مع شيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني.

*****

علماء مهدوا للعلامة الشوكاني

سألتُ القاضي العمراني: الإمام الشوكاني رحمه الله يعتبر نموذجًا مشرقًا للفقيه المجدد الذي تجاوز أسوار التقليد والمذهبية والتعصب وكان له دور إيجابي كبير في الدولة كيف استطاع الإمام الشوكاني أن يقوم بهذا الدور الكبير؟

- أجاب القاضي:

أولًا: لابد من معرفة أنه كان قد مهد للشوكاني العلامة ابن الأمير الصنعاني وعبد القادر بن أحمد والمقبلي وغيرهم من العلماء الذين سبقوه ما جاء الشوكاني إلا وقد مهد له من سبقوه ومن حظه أنه لقي طلبة أذكياء مهتمين نشروا علمه.

ثانيًا: أنه صمم على السير في هذا الطريق فقد عملوا عليه دعاية مرة أنه ضد أهل البيت وضد المذهب الزيدي وهددوه بأنهم سيقتلونه وبعدها ثبت واعتصم واستطاع أن يثبت على مبدأ وإذا كانت نية الإنسان خالصة فلابد أن ينجح ومن حسن حظه أنه مات شيخ الإسلام القاضي يحيى بن صالح السحولي وقد كان الناس يقولون: إذا مات السحولي سيبطل القضاء في اليمن وبعضهم يبالغ فيقول: إن الدولة القاسمية في اليمن ستضعف بموته؛ لأن السحولي كان عالمًا كبيرًا وكان في غاية الذكاء وفعلًا حينما مات أرسل الإمام المنصور بن علي أحد الوزراء إلى الإمام الشوكاني يبلغه طلب الإمام بأن يكون قاضي القضاة وشيخ

الإسلام المسئول في الدولة بدل العلامة السحولي فلما وصل إليه رفض وقال: أنا مشتغل بالتدريس والتأليف وقد كان بدأ يؤلف كتاب نيل الأوطار فرد عليه الإمام: إن المسألة بسيطة يمكنك أن تجمع بين التأليف والتدريس وهذا المنصب فتجتمع في رأس الأسبوع مع القضاة تقرر بعض الأحكام وترد بعض الأحكام فرد عليه الشوكاني: هذه أشياء بسيطة يمكن أن يقوم بها بعض تلاميذي وأنا مشتغل بما هو أعظم فرد عليه الإمام أنه لابد من ذلك فقال: أعطوني مهلة أسبوع فأعطاه الإمام مهلة أسبوع فاستخار الله وأشار عليه العلماء أن يتولى هذه الوظيفة بدلًا من أن يتولاها إنسان جاهل فيكون الشوكاني مسئولًا أمام الله عن رفض هذا المنصب العظيم منصب قاضي قضاة اليمن ولما جاء الرسول وافق الشوكاني وحضر لدى الإمام واشترط ثلاثة شروط:

أولًا: أن يحكم على من كان عليه الحكم ولو كان من أولاد الإمام.

ثانيًا: إذا كان هناك محبوس في أمر شرعي فله الحق أن يطلقه وليس لأحد من الوزراء أن يحبس في أمر شرعي إلا بأمر منه.

ثالثًا: أن تكفيه الدولة نفقته.

فوافق الإمام على ذلك فعاهدهم على ألا يورث جربة ولا يبني بيتًا وأن يبقى في بيت الدولة أو بيت والده حتى آخر العمر فاستمر واحدًا وأربعين عامًا وعاصر ثلاثة أئمة أولهم المنصور بن علي ثم المتوكل أحمد ثم المهدي عبد الله.

القاضي العمراني يتحدث عن أسباب شهرة العلامة الشوكاني

وأضاف القاضي العمراني في المقابلة التي أجريتها معه: فلما أصبح شيخ الإسلام قاضي القضاة استطاع أن يطبع كتبه وينشر علمه وانقمع المعادون له من الجامدين والرافضين والمتعصبين فأصبح الشوكاني بعد موت شيوخه أكبر عالم في اليمن ومتقلدًا أكبر وظيفة دينية وشرعية فاستطاع أن ينشر اجتهاداته وينشر آراءه ومؤلفاته وتشيَّع له علماء من الهند وطبعت مؤلفاته وأعجب به وبمؤلفاته العلامة صديق حسن خان صاحب الروضة المأخوذة من مؤلفات الشوكاني وكان يقول: شيخنا الشوكاني وهو ليس بشيخه ولا يزال بعض مؤلفات الشوكاني مخطوطًا في الهند، وبعض المخطوطات انتقلت إلى مصر فطبعت فاشتهر.

سألتُ القاضي: إذا أراد طالب علم أن ينسب للشوكاني رأيًا في المسألة فعلى أي كتاب يعتمد لأن الشوكاني تراجع عن بعض المسائل؟

أجاب القاضي: يعتمد على السيل الجرار فهو آخر كلام الشوكاني وأول قول له في نيل الأوطار فالذي يريد جديد الشوكاني فعليه بكتاب السيل الجرار وهذا ليس عيبًا بل فيه دليل على أنه لم يبق جامدًا على المعلومات الأصلية وقد عاب بعضهم

العلامة الألباني لأنه كان في بعض المؤلفات يصحح حديثًا وفي بعضها يضعف الحديث نفسه وهذا ليس عيبًا في العالم.

الإمام الشافعي، كانت له في بغداد آراء فلما وصل إلى مصر تغيرت آراؤه، والإمام أحمد بن حنبل تعددت آراؤه في بعض المسائل إلى ثلاثة آراء.

فمثلًا في نيل الأوطار قال الشوكاني: إن غسل الجمعة واجب وفي السيل الجرار تراجع عن كلامه السابق وقال: بأنه مسنون.

القاضي العمراني
يتحدث عن مؤلفات الشوكاني

يتحدث القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه -عن مؤلفات الشوكاني فيقول: (مؤلفات الشوكاني من أبعد المؤلفات عن التناقض والجمود والتقليد، كما أنها من أعظم المؤلفات التي تحافظ على نسبة كل حديث إلى مخرجه وراويه كما لا يخفى على عارف بها.

وقد لاحظت ذلك عند دراستي لها، ولكنها لا تخلو في بعض المواضيع من مخالفة لما قلته سابقًا، فتراه في بعض المواضيع وجود حديث ويبني على عدم وجوده حكمًا شرعيًا، مع أنه موجود، ثم يسوق أمثلة تؤيد كلامه، أو أنه قد يسهو والجواد قد يكبو والصارم قد ينبو، وإنه رحمة الله تغشاه قد نزه كتبه بقدر ما أعطاه الله من إتقان وفهم من الأحاديث الموضوعة أو التي ليس لها أصل في كتب السنة المطهرة -على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم -ولكنه مع ذلك قد وقع فيما حذر منه وحذر، وسوف نذكر أمثلة على ذلك [1]..

ولا بد من معرفة أيها مؤلفات الشوكاني المتقدمة وأيها المتأخرة، وذلك لأجل إذا تعارضت أقوال الشوكاني نعرف

---

(1) انظر: كتاب (العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته وجهوده العلمية) للدكتور عبد الرحمن الأغبري صد 311

المؤلفات الجديدة من المؤلفات القديمة ونعرف أين هو الناسخ وأين هو المنسوخ؟

فمن مؤلفات الشوكاني القديمة كتاب " نيل الأوطار " فهو أول مؤلف للشوكاني الكبار وبعده كتاب " وبل الغمام " فكتاب "نيل الأوطار " ألفه الشوكاني من السنة السابعة إلى السنة التاسعة يعني من سنة 1207 **هـ**-إلى سنة 1209 هـ، وكتاب " وبل الغمام " ألفه الشوكاني في سنة 1213هـ-فهو بعده فإذا تعارض ما في كتاب " نيل الأوطار " وكتاب " وبل الغمام " فيعمل بما في كتاب " وبل الغمام " لأنه بعده ومتأخر عنه.

وبعد ذلك كتابي " الدرر البهية " و" الدراري المضيئة " ألفهم في حوالي 1220هـ-وبعد ذلك كتاب " فتح القدير " ألفه الشوكاني في سنوات 1223هـ-و1224هـ-و1225هـ، أما آخر مؤلفاته الكبار فهو كتاب " السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار " صنفه الشوكاني قبل موته ب-15 سنة أي في سنة 1235 هـ.

ويضيف العلامة العمراني: (فإذا تعارضت أقوال شيخ الإسلام الشوكاني في مؤلفاته فالعمل على ما في كتاب " السيل الجرار " لأنه القول الأخير، القول الجديد، القول الناسخ لما قبله)[1]

---

(1) من مقابلة مع القاضي العمراني في قناة السعيدة بعنوان: " مجالس رمضانيه مع القاضي العمراني 3 " على هذا الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=EZKuFfAbX5c

أول من درس كتب الشوكاني بصنعاء

وقد سألتُ القاضي العمراني: ما هي جهودكم في نشر وتحقيق تراث الشوكاني؟

فأجاب القاضي العمراني: لا توجد لي جهود ولا أسمى مجتهدًا، ولكنه حسن ظن بعض الطلبة يقولون: إنني الذي أحييت مؤلفات الشوكاني ويقولون: إنني الشوكاني الصغير.

صحيح أنني أول من درس مؤلفات الشوكاني في المساجد وبعضهم كان يدرس للشوكاني نيل الأوطار لكنني درست كتاب " السيل الجرار " وكتاب " وبل الغمام " ولهجة الشوكاني في الكتابين كلهجة ابن حزم في الشدة على المخالفين.

وقد سألت القاضي العمراني: ما هي الكتب التي تنصح طلبة العلم باقتنائها ودراستها؟

فأجاب القاضي: (أنصح كل طالب علم أن يقرأ كتاب " أدب الطلب " للشوكاني وأنصح بالإخلاص لوجه الله في طلبهم للعلم الشرعي وبعدها سيرزقهم الله وسيأتي كل شيء).

القاضي العمراني
يتحدث عن اجتهاد الشوكاني

ويضيف القاضي العمراني: (القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني قدس الله روحه، من أعظم العلماء المتأخرين استقلالًا وحرية فكرية، وتحقيقًا وتدقيقًا وحفظًا لأسانيد الحديث ومتونه ورجاله، مع حسن تعبير وملكة راسخة في جميع علوم الاجتهاد)[1].

ويضيف القاضي العمراني: (إن شيخ الإسلام الشوكاني كان في اتجاهه ومذهبه عالمًا مجتهدًا يؤيد الزيدية الهادوية في بعض آرائها وينتقدها في أخرى، كما يتفق مع الحنابلة والوهابية ويختلف معهم في بعض آرائهم، فمثلا اتفق الإمام الشوكاني مع الهادوية الزيدية في مسائل الطلاق، فإذا قال الرجل لزوجته " طالق طالق طالق " أو " طالق ثلاثًا " تكون في المذاهب الأربعة ثلاث طلقات ويعتبر طلاقًا بائنًا، أما الإمام الشوكاني والعلامة الأمير فقد وافقوا الإمام الهادي في هذه المسألة التي تقول إن الطلقات الثلاث تعتبر طلقةً واحدةً طالما لم يتخللها استرجاع الزوج زوجته أو دخوله بها، ويحق لزوجها استرجاعها إذا كانت الطلقة الأولى أو الثانية.، واتفق مع

---

(1) انظر: كتاب (العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته وجهوده العلمية) للدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ 311

الحنابلة والوهابية في مسألة تحريم الاعتقاد بالقبور والتبرك بها والموتى.

ويمكن إبراز أبعاد حياته العلمية والعملية في ثلاثة خطوط بارزة:

أولًا: دعوته إلى الاجتهاد ونبذ التقليد

ثانيًا: دعوته إلى العقيدة السلفية في بساطتها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم.

ثالثًا: دعوته إلى تطهير العقيدة وتنقيتها من مظاهر الشرك الخفي.

وفي سبيل سعيه لتحقيق دعواته هذه فقد تعرض إلى سيل من الانتقادات والمعارضات والمحن سواء من أقرانه من علماء عصره أو من غيرهم من عوام الناس الذين لا يعرفون في الفقه والدين سوى كتاب الأزهار.

وفي سبيل نبذه التقليد يتحدث القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه -عن ما رواه عن شيخ الإسلام عن نفسه في رؤياه في منامه العلامة السيد محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله فقال الشوكاني: رأيت السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير في المنام وهو يمشي راجلًا بينما أنا راكب ومعي جماعة، فلما رأيته نزلت وسلمت عليه، ودار بيني وبينه كلام، منه أنه قال: دقق الإسناد وتأنق في تفسير كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطر ببالي عند ذلك أنه يشير إلى ما أصنعه في قراءة كتاب البخاري في الجامع لجماعة من العلماء، والذي كما كان يحضره أيضا مجموعة كبيرة من العوام،

فكنت في بعض الأوقات أفسر ألفاظ أحاديث رسول الله بما يفهم الحاضرون ومنهم العوام، فأردت أن أقول إنه يحضر جماعة لا يفهمون الألفاظ العربية، فبادر وقال -قبل أن أتكلم -قد علمت أنه يقرأ عليك جماعة وفيهم العامة، ولكن دقق الإسناد وتأنق في تفسير كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سألته عند ذلك عن أهل الحديث: ما حالهم في الآخرة؟ فقال: بلغوا بحديثهم الجنة، أو بلغوا بحديثهم بين يدي الرحمن، ثم بكى بكاءً عاليًا وضمني إليه وفارقني، فقصصت ذلك على بعض من له يد في تعبير الرؤيا، وسألته عن تأويل البكاء والضم، فقال: لابد أن يجري لك شيء مما جرى له من الامتحان، فوقعت من ذلك بعد تلك الرؤيا عجائب وغرائب ومحن.

لقد كان الإمام الشوكاني محظوظًا، أو كان الكتاب والسنة محظوظين على يديه، إذ سريعًا ما انتشر مذهبه في الاجتهاد في الهند، وباكستان وبنغلادش على يد تلميذه الشيخ عبد الله بن فضل الهندي -كما يقال -وحمل لواء هذه الرسالة، تلميذ الشوكاني غير المباشر والمتحمس له السيد محمد صديق حسن خان (1248-1307هـ) أمير مملكة بهوبال بالهند، والذي كان مهتمًا بنشر كتب الشوكاني في الهند لذا فقد اشتهر هناك كما اشتهرت كتبه، وصارت في أرض الهند فرقة تسمى الشوكانية[1].

(1) انظر: كتاب (سفينة العمراني- معارف ولطائف) إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 348

ويضيف القاضي العمراني: (وقد يغرب شيخ الإسلام الشوكاني في اجتهاداته تبعًا لغيره من علماء اليمن المغربيين في الآراء كالجلال فيأتي صديق حسن خان القنوجي عالم الهند والذي نقل كل مؤلفات الشوكاني فيختزل اجتهاد الشوكاني وينقله بحذافيره فيظن الظان أنه قد ذهب إلى قول لم يسبق إليه، ولو بحث في مؤلفات اليمنيين لوجد أن الفضل راجع إلى اليمن ولوجد علماء اليمن قد سبقوا غيرهم في هذا الترجيح)[1].

---

(1) انظر: كتاب (العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حياته وجهوده العلمية) للدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ 324

استدراكات القاضي العمراني على الشوكاني

رغم محبة القاضي العمراني لشيخه شيخ الإسلام القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني وإجلاله وتقديره له ولمؤلفاته وتدريسه لكتبه ونشره ولعلومه ولمؤلفاته إلا أن القاضي العمراني وهو العالم المجتهد يرى أن الحق أحب إليه، ولذا نبه إلى الأخطاء الذي وقع فيها شيخ الإسلام الشوكاني وهي قليلة والعالم مهما بلغ علمه قد يقع في الأخطاء وجل من لا يسهو فمن هذه الأخطاء مثلًا: إنكار شيخ الإسلام الشوكاني لوجود حديث نبوي وبناؤه على هذا الإنكار حكما شرعيا، أو إيراده لحديث موضوع وبناؤه عليه حكما شرعيا، وقد خصص الدكتور عبد الرحمن الأغبري في كتابه: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني وجهوده العلمية والدعوية) مبحث ل-"استدراكات القاضي العمراني على شيخ الإسلام الشوكاني في بعض كتبه " مثل كتاب وبل الغمام على شفاء الأوام " وكتاب " السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار " وكتاب " الدراري المضيئة شرح متن الدرر البهية "، وهذه الاستدراكات تدل على اجتهاد القاضي العمراني وتحرره من التقليد وهذه الاستدراكات تصل إلى ثلاثين صفحة من الكتاب وهنا سنكتفي بإيراد نموذج من الاستدراكات على كتاب " السيل الجرار

المتدفق على حدائق الأزهار " وهو نموذج اخترته بعناية بعد قراءة لهذه الاستدراكات ونقلته كاملا لما فيه من الفوائد الهامة..

يقول القاضي العمراني: (قال القاضي العمراني: إن الشوكاني قد ينسب الحديث بما فيه من زيادة على كتاب صحيح مع أن الذي في الصحيح خلافه مثل: (زعم رحمه الله في كتابه تحفة الذاكرين: أن حديث " صلاة الليل والنهار مثنى مثنى " بزيادة " النهار صحيح)[1].

نسب الحديث بزياداته إلى كتاب صحيح، مع أن الذي في الكتاب الصحيح هو أصل الحديث مجردًا عن الزيادة، ولكنه اشتبه عليه لفظ الصحيح المجرد عن الزيادة، وأما لفظه خارج الصحيح فهو بزيادته.

بل إن نسبه في التحفة إلى البخاري ومسلم مع أنه ليس في البخاري ولا مسلم، بل في السنن ومسند الإمام أحمد، والذي في البخاري ومسلم أصل الحديث مجردًا عن زيادة النهار الدالة على أن تطوع النهار على الليل مثل الليل في كونها ركعتين ركعتين[2]، ولم ينسبها أحد إلى الصحيحين ولا إلى أحدهما قد غير الشوكاني في تحفة الذاكرين تبعًا للجزري في عدة الحصن الحصين، ولعل ذلك سهوًا منهما وإلا فلا وجود لها في الصحيحين، وكيف تصح نسبتها

---

(1) في كتاب (العلامة العمراني حياته وجهوده العلمية) للدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ 322.

(2) انظر: (السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار) تأليف شيخ الإسلام الشوكاني (ط. دار ابن حزم) سنة النشر 1425هـ - 2004م 1 / 726.

إلى البخاري. وقد تفرد بها (علي البارقي) وليس من رجال البخاري، بل هو من رجال مسلم وأهل السنن.

ومعنى ذلك أن البخاري لم يورده في صحيحه، وإن كان قد صحح حديثه لما سئل عنه كما نقله الشوكاني في نيل الأوطار عن البيهقي عنه، وإذا كان غير موجود في صحيح البخاري ولا أخرج في حديث كما نص عليه أئمة علم الرجال فكيف ينسب هذه الزيادة التي تفرد بها إلى صحيح البخاري؟

فهذا أكبر دليل على عدم وجود الزيادة فيه، وإن كان عدم الوجود بعد الاستقراء التام كافيًا في الاستدلال. أ هـ-من كلام القاضي العمراني في المخطوطة، مخطوطة " تحفة الذاكرين بعد الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين".

ويضيف القاضي العمراني: (بالرغم من تحري الحافظ الشوكاني عزو كل حديث إلى مخرجه في جميع مؤلفاته لاسيما في نيل الأوطار، وإنكاره على من يذكر الحديث بلا عزو ولا تخريج، وإنكاره على الأحاديث التي لا أصل لها ولا سيما في وبل الغمام[1]؛ وغيره من كتب الزيدية التي لا تهتم بتخريج الأحاديث ولا عزوها، فقد يسهو فيذكر نادرًا الحديث بلا تخريج بل يتابع من تقدمه في ذكر بعض الأحاديث كحديث (لا ظهران في يوم) ذكره في آخر باب الأوقات في نيل الأوطار غير معزو إلى أحد على خلاف عادته في مؤلفاته ولاسيما في نيل الأوطار الذي أعتنى فيه

---

(1) في كتاب (العلامة العمراني حياته وجهوده العلمية) للدكتور عبد الرحمن الأغبري صـ 323.

بتخريج الأحاديث، ولم أره بهذا اللفظ في كتاب من كتب الحديث، ولعله تابع في ذلك صاحب كتاب البحر الإمام المهدي[1] وصاحب كتاب الشفاء الأمير حسين[2].

وكذلك حديث (لا تختلفوا على إمامكم) ذكره في نيل الأوطار في باب اقتداء المقيم بالمسافر من أبواب صلاة الجماعة غير مخرَج بهذا اللفظ، ولعله تابع في ذلك صاحبي البحر والشفاء.

وكذا ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى خلف عتاب بن أسيد وأن ابن عمر أمَ بالناس وهو صبي وهو تابع في ذلك الأمير حسين صاحب كتاب الشفاء.

---

(1) هو كتاب (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار) من كتب الفقه الزيدي، تأليف أحمد بن يحيى بن المرتضى- سبقت ترجمته-، وبهامشه كتاب (جواهر الاخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار)، لمحمد بن يحيى بهران الصعدي، المتوفى سنة 957، ضبط نصه ووثق تخريجاته وعلق عليه محمد محمد تامر. الجزء 1-6.

(2) سبقت ترجمته.

الفتاوى على مذهب الشوكاني

وقد سُئل القاضي العمراني: ماهي الفتاوى التي اجتهدت فيها وخالفت فيها شيخك الشوكاني وغيره؟

أنا لا أخالفه بل إنني متشيع له وأفتي دائما على مذهبه ولكني في مسائل الزكاة ومسائل الحج أفتي بشيء من المخالفة معه لأن مذهب الشوكاني انه لا زكاة إلا في البر والشعير والذرة والتمر والزبيب وأنا أقول أنه في كل شيء مما أنبتت الأرض، والشوكاني يقول إنه لا زكاة في التجارة وأنا أقول توجد زكاة في التجارة، والشوكاني يقول إنه لا زكاة على الصبي والمجنون لأنه مثل الصلاة، وأنا أقول الزكاة واجبة للفقير في مال الغني سواء كان المالك صغيرا أو كبيرا أو عاقلا أو مجنونا، كذلك يقول الشوكاني لا دماء ولا ورد ذكر الدماء في الحج وأنا أخالفه وأقول إنه يجب في بعض الأشياء أن يخرج فيها دم وهو رأي الجمهور[1].

إخراج جثمان الشوكاني من قبره

ويضيف القاضي العمراني: (كنت ممن سعى في إخراج جثته من القبر بعد أن كانت القبور ستمحى ومن جملتها قبر الشوكاني ونقلناها إلى مقبرة أخرى وكان الناس يقولون: إننا وجدنا جثته كما

(1) مقابلة القاضي العمراني مع صحيفة إيلاف اللندنية- سبق ذكرها.

هي وهذا ليس صحيحًا وجدنا هيكلًا عظميًا كالهيكل العظمي المرسوم بالصيدليات).

ويروي السفير عبد الرزاق العمراني نقلًا عن والده القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه - قصة إخراج جثة شيخ الإسلام الشوكاني بتوسع فيقول: (في عهد الرئيس السلال أي بعد ثورة 26 سبتمبر 1962م بحوالي خمس سنين الموافق 1387هجري أي بعد 137 سنة من وفاة شيخ الإسلام الشوكاني رحمة الله تغشاه قامت الدولة بنبش بعض قبور مقبرة خزيمة بغرض بناء نادي ضباط القوات المسلحة، وكان من بين القبور التي سيتم إزالتها قبر شيخ الإسلام الشوكاني، فتألم الوالد لذلك وأثر فيه كثيرا، فاتفق مع بعض أصدقائه وهم القاضي أحمد مداعس والقاضي محمد حُميد والقاضي مسعود العشملي وكان ذلك في أيام إجازة عيد الأضحى المبارك فذهبوا وأحضروا عمالًا ليحفروا القبر وإخراج جثمان الشوكاني، وكانوا يفكرون في مكان آمن ليواروا جثمانه فمقبرة خزيمة كانت آنذاك مكانا مباحًا للبناء سواء الحكومي أو الاعتداء عليها من قبل بعض الأهالي، فتم وضع الجثمان مؤقتا في بيت القاضي حُميد فاهتدوا إلى أن يتم دفنه في المقبرة الصغيرة الواقعة في جانب من قبة صغيرة في مسجد الفليحي، فطلبوا من سادن المسجد (أحمد عباس) فتردد وطلب منهم موافقة وزير الأوقاف وكان حينها أحمد قاسم العنسي فذهب الوالد والقاضي أحمد مداعس إلى الوزير وشرحا له الأمر، وبأن قبور العلماء تستحل لكن أن يستحل قبر شيخ الإسلام الشوكاني العالم الذي وصلت شهرته إلى خارج

اليمن، فهناك اتباع لمذهبه في الهند وغيرها فهذا عيب في حق اليمن وعلمائها، فوافق الوزير وقال: ينبغي أن يتم دفنه ونقل جثمانه رسميًا فهو شخصية علمية وسياسية كبيرة وسنطلب حضور مندوبين عن الرئاسة ورئاسة الوزراء ووزيري العدل والأوقاف وتم الاتفاق على أن تتم مراسيم الدفن بعد ظهر اليوم التالي، إلا أنهم استعجلوا وقاموا بالدفن صباحًا دون إبلاغ الوالد فقد كان وقت الدفن والوالد في وظيفته، وتحولت مراسم نقل الجثمان إلى دعاية للدولة.![1]

---

(1) انظر: كتاب (سفينة العمراني- معارف ولطائف) إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 349

الشوكاني يتعرض لمحاولة اغتيال

ويروي عمن تعرض شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني لمحاولة اغتيال خطط لها أحد الوزراء حين أرسل مجرمين مأجورين لاعتراض شيخ الإسلام أثناء رجوعه من المسجد بعد العشاء لكن الله لطف به وأنزل عليهما البلاء والخوف فرجعا عن تنفيذ جريمتهما وفرا.

لو أنت يهودي يا شوكاني..!

يحكي القاضي العمراني رحمة الله تغشاه -فيقول: كان الشوكاني -رحمه الله -1250هـ-إمامًا متحررًا في الفقه يتبع الدليل، وكان مجتهدًا، وكان يدرس طلبة العلم في الجامع الكبير وغيره من مساجد صنعاء العامرة، وكان هناك فقيه زيدي معتزلي جامد يجلس في ناحية من المسجد، ويشاكس الشوكاني ويشوش عليه. وفي أحد الأيام جاء الشوكاني -رحمه الله -للدرس، وبعد أن انتهى من التدريس تعجب من غياب الفقيه المذكور، فقيل له: إنه مريض في بيته، فقال الشوكاني: لابد من زيارته، فقام الشوكاني -رحمه الله -والطلبة معه لزيارة هذا الفقيه في بيته وكان فقيرًا جدًا. فلما وصل الشوكاني وطلبته إلى حجرة هذا الفقيه تعجب جدًا، لأنه لم يتوقع أن يزوره الشوكاني بسبب ما بينهما من خلاف وبسبب مشاكسة

هذا الفقيه، وقبل أن يخرج الشوكاني وضع في يد الفقيه فلوسًا، وقال: هذه لك أنفقها في مصلحتك، فتأثر الفقيه تأثرًا كبيرًا حتى دمعت عيناه، وقال: اسمع يا شوكاني، والله لو أنت حتى يهودي لأدخلك الله الجنة..!

* ****

القاضي العمراني
يترجم لعلماء اليمن المجتهدين

لم يكتف القاضي العمراني بالكتابة عن شيخ الإسلام العلامة الشوكاني وتدريس كتبه بما فيها المخطوطة والعمل على نشرها والعمل على إحياء فكره بل دعا إلى العودة إلى السنة النبوية فقام بتدريس كتب صحيح البخاري ومسلم وسنن النسائي والترمذي وابن ماجة وأبو داوود وغيرهم من رجال الحديث النبوي الشريف بحيث عمل القاضي العمراني على إحياء مدرسة السنة في اليمن والتي بدأها العلامة ابن الوزير واستمرت مع العديد من علماء اليمن المجتهدين أمثال السيد الحسن الجلال والعلامة الشيخ صالح المقبلي والعلامة نشوان الحميري والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني وشكلت مرحلة الذروة مع شيخ الإسلام الشوكاني رحمة الله تغشاه ولم يقتصر على علماء اليمن فتأثر بالشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار وبالعلامة الألباني وغيرهما من علماء العالم الإسلامي.

ولم يكتف القاضي العمراني بتدريس كتب علماء اليمن المجتهدين وإحياء فكرهم من خلال ذكر فتاواهم في المسائل العلمية واختيار وترجيح بعضها والإشارة إلى كتبهم بل قام أيضا بالكتابة عنهم في الصحف وتعريف الناس بغزارة علمهم ومدى اجتهادهم وعرض لكتبهم وفي كتابه (مقالات القاضي

العمراني)(1) بمقال رائع عن النهضة العلمية في اليمن والتي يرى أنها سبقت النهضة الأوربية وذلك من خلال الحرية الفكرية وفتح باب الاجتهاد المطلق في اليمن في القرن الحادي عشر، فقد أنجبت اليمن العلامة السيد محمد بن إبراهيم الوزير والذي ألف كتاب "إيثار الحق على الخلق "، ذلك المجتهد المطلق وكذلك حمل لواء النهضة العلمية الإمام القاسم بن محمد من خلال كتابه " الإرشاد إلى تيسير الاجتهاد " وغيره من علماء اليمن أمثال المقبلي والجلال والأمير الصنعاني ونشوان الحميري، وبحسب القاضي العمراني فحسب القارئ الكريم أن يطلع على ما طبع من مؤلفاتهم ليعرف أن شمس الحرية الفكرية قد طلعت على اليمن في العهد العثماني، بعد أن غربت على سائر الأقطار، تاركة علماءها يتخبطون في ظلمة التقليد وديجور الجمود.

وكان أول مقال للقاضي العمراني في الكتاب عن العلامة المجتهد المطلق الحسن بن أحمد الجلال بصفته أنموذجًا من روح العلم اليمني في بحر القرن الحادي عشر من الهجرة.

كما كتب القاضي العمراني عن العلامة محدث اليمن عبد الرزاق بن همام الصنعاني[2]، وكتب كذلك عن رحلة الإمامين أحمد والشافعي إلى اليمن لطلب العلم على يد المحدث عبد الرزاق الصنعاني وغرائب ما حدث لهما في رحلتهما إلى اليمن، وكيف أن شيخ عبد الرزاق الصنعاني العلامة معمر بن راشد وصل إلى

---

(1) انظر كتاب: (مقالات القاضي العمراني) مرجع سابق.

(2) انظر كتاب (سفينة العمراني- معارف ولطائف) إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 299.

صنعاء بحثا عن العلم فعاش بها وأحبها وأحبَ أهل صنعاء كما أحبوه، فقال أحدهم: لكي لا يرحل عنا ابن معمر قيدوه أي زوجوه فتزوج ببنت من صنعاء وعاش بصنعاء حتى وفاته رحمه الله، وكان يوزر والدته إلى البصرة عندما يذهب للحج، ومات معمر بن راشد وقُبر في صنعاء بجانب مسجد النزيلي الكائن خلف المتحف العسكري في ميدان التحرير حاليًا، وكان القاضي العمراني يزور قبره قبل عام 1962م قبل أن يدخل قبره في تلك البنايات المستحدثة بعد الثورة في تلك المنطقة ويختفي.

كما ترجم القاضي العمراني للعلامة الشهير نشوان الحميري صاحب موسوعة (شمس العلوم) وغيرها من المؤلفات الهامة وترجم للعلامة السيد محمد بن إبراهيم الوزير مؤلف كتاب (العواصم والقواصم) وكتاب (إيثار الحق على الخلق) وغيرها من الكتب، كما ترجم للعلامة الحسن بن أحمد الجلال مؤلف كتاب (ضوء النهار المشرق على صفحات الأزهار) وغيرها من الكتب والرسائل، كما ترجم للعلامة صالح المقبلي مؤلف كتاب " العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ "[1] وذكر قصة رحلته من صنعاء إلى مكة وتأثر أهل داغستان به وقد كتبت مقالًا عن تأثير العلامة المقبلي على مسلمي داغستان وأوردت فيه بعض ما ذكره شيخ الإسلام الشوكاني عنه وبعض ما ذكره القاضي العمراني عنه، كما أورد القاضي العمراني قصة ابنة المقبلي " زينب " المتصوفة

(1) انظر كتاب (سفينة العمراني- معارف ولطائف) إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 316

وما حدث لها مع أبيها بمكة نقلا عن العلامة الشوكاني وزيارة السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير لها ومقابلتها له من خلف حجاب وتسليمها كتاب والدها "الأبحاث المسددة في فنون متعددة " والذي كتبه بخطها للعلامة الأمير وأجازته فيه، ومن طريف ما ذكره القاضي العمراني عن العلامة المقبلي رحمهم الله جميعا أن (العلامة المقبلي كان قد أكثر النقد على المعتزلة في بعض المسائل الكلامية، وعلى الأشعرية في البعض، وعلى الصوفية، في غالب مسائلهم، وعلى الفقهاء في كثير من تفرعاتهم، وعلى المحدثين في بعض غلوهم، ولا يبالي إذا تمسك بالدليل إن خالفه كائن من كان، وقد ألزم نفسه السلوك بمسلك الصحابة رضوان الله عليهم، وعدم تقليد أهل العلم في جميع الفنون، وقد شبهه البعض في هذا بأنه كأنه على رأس أكمة ومن حاول أن يصعد إليه رجمه (رماه بحجر).! انتهى حديث القاضي العمراني رحمة الله تغشاه.

وقد اقتنيت كتاب المقبلي (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ) وقرأت فيه فلم أفهم بعض ما ورد فيه لكثرة ما فيه من مصطلحات المنطق وعلم الكلام فأهديته لصديق من طلبة العلم وقد قرأت أن القاضي العمراني توقف عند تدريس هذا الكتاب بعد أن أبدى الكثير من الطلاب ملاحظات بأنهم لم يفهموا الكتاب ولعل العلامة المقبلي -رحمة الله تغشاه -ألف هذا الكتاب للرد على المعتزلة والأشاعرة وأهل الكلام والمنطق فجاء هذا الكتاب مليئًا بهذه المصطلحات.

كما ترجم القاضي العمراني للعلامة الزاهد صلاح الأخفش رحمه الله صاحب كتاب (نزهة الطرف في الجار والمجرور والظرف) في النحو، وقد عاش العلامة الأخفش زاهدا يسكن في إحدى الغرف الملحقة بمسجد داوود ثم انتقل إلى غرفة ملحقة بالجامع الكبير " منزلة " ثم عاد إلى الغرفة الملحقة بمسجد داوود وكان من ورعه يأكل من عمل يده فكان يصنع الطاقيات "لكوافي" ويرسل من يبيعها في السوق، وقد رفض تولي القضاء وفي أواخر حياته وقد أصبح كبيرا في السن قام للصلاة ورفع يده أثناء تكبيرة الإحرام، وضم يده في الصلاة، فرآه أحد العامة من المتعصبين وقال له: "اختم بخير يا صلاح " أي احذر تموت هكذا وأنت تصلي هكذا وتخالف المذهب الهادوي، وصار ذلك أشبه بالمثل في صنعاء.

ويذكر القاضي العمراني أن الناس ازدحموا على جنازة العلامة الأخفش وغلقت أبواب مدينة صنعاء من شدة الزحام.

كما ترجم للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني مؤلف كتاب (سبل السلام شرح بلوغ المرام) والمحن التي تعرض لها ومنها أن العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، رحمه الله، يخطب في الجامع الكبير بصنعاء أيام الإمام المهدي عباس فلم يذكر في إحدى خطبه الأئمة ويترضى عليهم فحرضوا عليه عند الإمام فأمر بسجنه في غرفة فوق دار ضرب العملة فكانت أصوات الضرب تزعجه كل يوم إلا يوم السبت فيتوقف العمل لأن الموظفين فيها من اليهود ويوم السبت إجازتهم، فكتب شعرا:

ومن أعجب الأشياء أني مسلم حنيف ولكن خير أيامي السبت

كما ترجم القاضي العمراني للعلامة إبراهيم بن خالد العلفي رحمه الله وغيره من العلماء وما حدث لهم من أحداث ومواقف وقصص وتحدث عن مؤلفاتهم وجهودهم العلمية.

وسوف أنشر هنا مقالين للقاضي العمراني كنماذج لهذه التراجم التي كتبها عن علماء اليمن المجتهدين، مقال عن العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني وكتابه (إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد)، ومقال عن الشيخ العلامة صالح المقبلي وكتابه (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ).

*****

القاضي العمراني يكتب عن العلامة محمد بن إسماعيل الأمير وكتابه " إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد "

كنت قد قدمت في الأيام الماضية أنموذجا من روح العلم اليمني في بحر القرن الحادي عشر وأواخره، وذلك بعرض موجز لما قد طبع من مؤلفات المقبلي والجلال، مما دلنا على مقدار الحرية الفكرية في اليمن قبل 360 عاما، وأحب الآن أن أنقل إليكم تحت هذا العنوان صفحة واحدة من التأليف اليمني في بحر القرن الحادي عشر وهو مما أنتجه قلم العلامة محمد إسماعيل الأمير الصنعاني، ذلك المجتهد المطلق الذي طلع عليه فجر القرن الثاني عشر وهو في المهد صبيا لم يتجاوز عمره حولين كاملين، وذلك في أوائل عصر الإمام المهدي محمد بن أحمد بن القاسم المعروف عند المؤرخين ب-" صاحب المواهب " ولكنه لم يغرب عنه ربع هذا القرن حتى رأيناه قد أخذ في كل فن من فنون العلوم الإسلامية بنصيب وافر، وأصبح في طليعة العلماء المجتهدين، محبي السنة النبوية المطهرة، وعشاق التبشير بها وهواة نشرها بين العلماء الذين كان الجم الغفير منهم غارقا في بحور الآراء والتعريفات ولما يبلغ الثلاثين من عمره، وهكذا لم تغرب عنه شمس الثلث الأول من هذا القرن حتى رأيناه قد أصبح إماما كبيرا في جميع العلوم، مستعدا للتجديد والإصلاح أعظم استعداد، والسعي في سبيل

إرجاع الناس إلى الاستقلال في الفكر والفهم في الدين، وترك التقليد الذي كان قد التزمه العلماء بسدهم باب الاجتهاد المطلق، وإيجاب التقليد لأحد الأئمة المتقدمين على كل عالم مهما كان فاصلة وذلك في المدة الأخيرة من أيام " صاحب المواهب " هذا، ومن عارضه من أحفاد عم أبيه وقد كان عمره إذ ذاك لا يتجاوز الخامسة والثلاثين عاما، ثم وقف نفسه على الإصلاح والتجديد والتدريس والتأليف بعزيمة صادقة، وشجاعة أدبية، وجرأة علمية، وعلوم واسعة، وحرية فكرية واجتهاد مطلق بإخلاص عظيم إلى أن توفاه الله سنة 1182هـ-بعد أن بلغ من الكبر عتيا وناف عمره على 83 عاما وتلك المدة -أي مدة الإصلاح والتجديد والدعوة للعالم الإسلامي إلى استقلال في الفكر والفهم في مسائل الدين الأصولية والفرعية معا، ولوجوب فتح باب الاجتهاد المطلق على مصراعيه لكل من كان أهل للدخول فيه -مدة طويلة تقارب نصف قرن من الزمن، وذلك من سنة 1135هـ-إلى سنة 1184هـ-أي: أنه بقي 47 عاما وهو يشغل نفسه بذلك.

ولم يكن إصلاحه قاصرا على الإصلاح العلمي فقط، بل كان مع اشتغاله بالإصلاح يشتغل بالإصلاح الديني والسياسي - أيضا -وذلك بقيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق القيام مع السعي العظيم في إصلاح ذات البين في كل نزاع كان يقع بين الأئمة وأقاربهم الذين كانوا يعارضونهم كثيرًا، وينازعونهم في الملك في بعض الأحوال، وذلك في عصر الإمام المتوكل على الله القاسم بن محمد، ونجله المنصور حسين وحفيده

الإمام المهدي عباس بن المنصور حسين بن المتوكل قاسم بن حسين، وهذا العصر -أي: عصر الأئمة الثلاثة -كان من أحسن العصور الذهبية للحركة العلمية المستقلة في اليمن إن لم أحسنها.

وقد آن لي أن أسمعكم صفحة واحدة من صفحات رسالته المشهورة المسماة ب-" إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد " ولتقارنوا بين عالم اليمن في القرن الحادي عشر وبين كلام غيره في أقطار العالم العربي لتعرفوا الفرق العظيم بين علماء اليمن قبل 200 سنة، وعلماء سائر الأقطار الإسلامية في نفس هذا العصر.

اسمعوا إليه يقول: (فالحق الذي ليس عليه غبار، الحكم بسهولة الاجتهاد في هذه الأعصار، وأنه أسهل منه في الأعصار الخالية لمن له في الدين همة عالية، ورزقه الله فهما صافيا، وفكر صحيحا ونباهة في علم السنة والكتاب، فإن الأحاديث في الأعصار الخالية كانت متفرقة في صدور الرجال، وعلوم اللغة في أفواه سكان البوادي، ورؤوس الجبال، حتى جمعت متفرقاتها، ونفقت ممزقاتها حتى لا يحتاج طالب العلم في هذه الأعصار إلى الخروج من الوطن، وإلى شد الرحال والظعن، فيا عجباه حين فضل الله بجمعها من الأغوار والأنجاد، وسهل سياقها للعباد حتى أينعت رياضها، وأترعت حياضها، وأجريت عيونها، فتهدلت بثمراتها غصونها، وفاض في ساحات تحقيقها معينها، واشتد عضدها وجل ساعدها وكثر معينها، نقول تعذر الاجتهاد! ما هذا والله إلا كفران النعمة وجحودها، والإخلاد إلى ضعف الهمة وركودها، إلا أنه لابد مع ذلك **أولًا** من غسل فكرته عن

أدران العصبية، وقطع مادة الوساوس المذهبية، وسؤال الفتح من الفتاح العليم وتعرض لفضل الله: (وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم). (الحديد الآية 29)، فالعجب كل العجب ممن يقول بتعذر الاجتهاد في هذه الأعصار وأنه محال، ما هذا إلا منع لما بسطه الله من فضله لفحول الرجال واستبعاد لما خرج من يديه، واستصعاب لما لم يكن لديه، وكم للأئمة المتأخرين رائقة، واستدلالات صادقة ما حام حولها الأولون، ولا عرفها منهم الناظرون، ولا دارت في بصائر المستبصرين، ولا جالت في أفكار المفكرين.

هذه صفحة واحدة من رسالة " إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد " وهذه قطعة من كلام عالم اليمن " الأمير " تطلعك على صورة موجزة من حياة العلوم اليمنية قبل 200 عام، وتريك أنموذجا من روح العلم اليمني في بحر القرن الثاني عشر، تلك الروح التي لا يعرف قدرها إلا من اطلع على المؤلفات التي أخرجها علماء العالم العربي والإسلامي في العصر الحالك بظلام التقليد وديجور التعصب والجمود إلى أن توفاه الله سنة 1182هـ[1].

(1) انظر كتاب (مقالات القاضي العمراني) مرجع سابق، صـ 47

القاضي العمراني
يكتب عن: العلامة صالح المقبلي

.. وهاكم نموذجًا من حركة النهضة العلمية اليمنية ذات الحرية الفكرية والاجتهاد المطلق في أواخر القرن الحادي عشر من الهجرة، وهو كتاب (العلم الشامخ في إيثار الحق على تقليد الآباء والمشايخ) للشيخ صالح المقبلي اليمني؛ وقد فرغ من تأليفه سنة 1088 هـ-وهو الكتاب الوحيد الذي قد أخرجته المطبعة من مؤلفات هذا العالم المستقل والمؤلف المتحرر ولم يطبع من مؤلفاته القيمة كتاب غيره (كان هذا وقت كتابة المقال قبل 60 عاما) إذا ما استثنينا تلك التعليقات المفيدة التي كان المقبلي نفسه قد علقها بقلمه على نفس هذا الكتاب القيم وأخرجها لقراء كتابه تحت عنوان " الأرواح النوافح على كتاب العلم الشامخ) وقد طبعت هذه التعليقات بجانب أصلها في مطبعة المنار الغراء بالقاهرة منذ سنين عديدة.

و" العلم الشامخ " أكبر مثال لحرية عالمنا المقبلي الفكرية، وشجاعته العلمية، وأنموذجا لمؤلفاته القيمة التي هي أكبر مثال لنهضة العلم باليمن في أواخر القرن الحادي عشر تلك النهضة التي قامت على مبدأ الاجتهاد المطلق والاستقلال في الفهم والحرية الفكرية الحقة.

ونظرة واحدة في كتاب " العلم الشامخ " وما علق عليه مؤلفه ترينا المقبلي مجددا وترينا المقبلي مصلحا وترينا المقبلي علامة مجتهدا وتدلنا على أن المقبلي ما كاد يتوسط في دراسته لكتب الدين حتى نبه لما عليه أهل عصره من الجمود على ما عليه آباؤهم وأجدادهم وأخذهم جميع ما تركوا لهم من آراء وأقول في كتب مخصوصة قضايا مسلمة، لا يدور حولها نقاش ولا نقد ولا جدال نتيجة للتقليد الذي أوجبوه على أنفسهم فكان حائلا بينهم وبين الفهم لكتاب الله تعالى، ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا فرق بين مذهب ومذهب وبين قطر وآخر يناقش مشايخه في كل ما لم يظهر دليله حتى ولو كان إمام زمانه المتوكل على الله إسماعيل القاسم أو محقق عصره السيد حسن بن أحمد الجلال غير ناظر إلى استهزاء المستهزئين ولا كيد الحاسدين كما هو شأن كل مجدد وكما هي العادة عند كل مصلح، كما يراه أيضا شديدا على هؤلاء المقلدين، صارخا بالتبري من التقليد ومن التمذهب في غضون أبحاث الكتاب نثرا ونظما، داعيا إلى وجود الاجتهاد على من عرف علوم الاجتهاد المعروفة وشب عن الطوق أو شاب ناهيا ن التقليد من استطاع إلى الاجتهاد سبيلا.

وما يكاد القارئ لكتاب " العلم الشامخ " يتوسط في خطبة كتابه حتى يندهش كثيرا عندما يقرع سمعه إعلان المقبلي حريته الفكرية واجتهاده المطلق في أول ما تلمس يده هذا الكتاب ويفتح أول ورقة من أوراقه وفي ثاني صفحة من صفحات هذا الكتاب القيم بشجاعة أدبية وحرية فكرية لا يعهدها ذلك العصر الجامد

ولا يكاد يعرفها إذ تسمعه يقول: (هيهات! لقد أعمى التعصب البصائر وأفسد التمذهب السرائر، غير أني ذاهب إلى ربي سيهدين).

وتسمعه -أيضا يقول: (اللّٰهم لا مذهب لي إلا دين الإسلام فمن شمله فهو أخي وصاحبي)، ويقول أيضًا: (إني بريء من الانتساب إلى إمام معين يكفيني أني من المسلمين فإن سئلت ولم يبق لي من الإجابة بد قلت: مسلم مؤمن).

ثم تراه يقتحم كل لجة من بحار العلوم الإسلامية العميقة، ويخوض تلك البحار خوض الجسور لا الجبان الحذور، وتراه قد توغل في كل مشكلة يهاب الدخول فيها غيره من علماء ذلك العصر الذي ساد فيه الجمود وهجم على كل معضلة يخاف من الهجوم عليها كثير من فقهاء ذلك القرن الذين أوجبوا فيه التقليد، وعم فيه الركود، وتفحص عن عقيدة كل فرقة من فرق الإسلام، واستكشف كل مذهب مشهور من مذاهب علماء الإسلام، وفرق بين المحق والمبطل، وبين الأشعري والمعتزلي، وبين الفقيه والصوفي، وبين المتكلم والسلفي، وبين الشيعي والسني، وبين المحدث الجدلي، وبين صاحب السنة وصاحب البدعة، وبين المجتهد والمقلد، وبين الدليل وشبه الدليل وهلم جرا.

لقد كان المجتهد المطلق الشيخ صالح المقبلي لا يغادر قول سني أو شيعي إلا وقد عرف كيفية تسننه أو تشيعه، ولا يمر بقول سلفي إلا وقد ظهر له وجه قوله، ولا يذكر كلاما لمتكلم إلا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومآله ولا يمضي على قول

جدلي إلا وقد اتضح له صحة مناظرته وجداله، ولا يسرد كلاما لمعتزلي إلا وقد اتضح له وجه دعواه، ولا أشعري إلا وقد ظهر له مفهوم كلامه وفحواه، ولا يقبل رواية راو من أهل الحديث إلا وقد عرف صحة ما رواه، ولا يقبل رأي فقيه استطرده في كتابه إلا وطلب من الفقيه برهانا صحيحا على وجه ما رواه، ولا يعترف لصاحب السنة إلا إذا قد طابق اسمه مسماه، ولا يمر عليه رأي المبتدع إلا وأنكر عليه هواه وكم يشن الغارات على ما يراه في أقول الصوفية من البدع في الدين والمخالفة لنهج سيد المرسلين وهلم جرا.

كل ذلك استطاع له المقبلي بما أولي من فكر ناضج، وعقل راجح، وملكة راسخة في العلوم، واطلاع واسع في جميع المعارف، وقدم ثابتة في جميع العلوم، وحرية فكرية حقة، واستقلال علمي تام، واجتهاد مطلق لا يعرفه ذلك العصر، مع بيان رائع، وأسلوب ساحر، وكلام جذاب لذوي العقول والألباب.

أفرأيت أيها القارئ الكريم، هذا الكتاب الذي لا ينتمي إلى مذهب غير الإسلام، ولا ينتسب إلى فرقة من الفرق غير شريعة الإسلام، ولا يعتزي إلى إمام من أئمة العلم غير نبي الإسلام، ولا يعتمد على كتاب غير كتاب السنة والقرآن، أخرجه مؤلفه في عصر أوجبوا فيه التقليد، وجمدوا فيه الجمود.

وإن هذا العرض الموجز لدليل على ما كنت قلته في أول مقالي من أن حركة النهضة العلمية اليمنية، ذات الحرية الفكرية قد سبقت غيرها في سائر أقطار العالم العربي من هذه الناحية.

والآن أسأل التأريخ وأخبرني، أو سل الأسفار وأنبئني، سل التأريخ: هل أحتفظ بكتاب من كتب الدين التي ألفت في العصر العثماني يماثل كتاب " العلم الشامخ " استقلالا واجتهادا وحرية وإنصافا.

سل الأسفار التي ألفت في هذا العصر الراكد: هل يوجد فيها كتاب ديني يقول مؤلفه مثل قال مؤلف " العلم الشامخ ": (اللّٰهم أنه لا مذهب لي إلا دين الإسلام فمن شمله فهو أخي وصاحبي).

وغير ذلك مما في هذا الكتاب الجلي.

لو كانت الأسفار تستطيع أن تجيب، أو لو كان التاريخ يستطيع أن يتكلم لما كان الجواب إلا سلبيا ولنادى الجميع بأعلى صوت: اللّٰهم لا.

هذا هو " العلم الشامخ في إيثار الحق على تقليد الآباء والمشايخ ".

وأظن أن الذين لم يقدروا المقبلي حق قدره لم يطلعوا على كتاب من كتبه النافعة كهذا الكتاب الذي عرضته على حضرتكم، والذي ما هو إلا قطرة من بحر علم هذا العالم الكبير، ونور واحد من أنوار حرية فكر هذا المجدد العظيم، أو اطلعوا على بعض من تلك الكتب النافعة ولكنهم كانوا في نفس الوقت جامدين، غافلين، لم يخلعوا أغلال التقليد من أعناقهم، ولا كانوا على جانب عظيم من التسامح المذهبي.

ألم تر إلى السيد محمد رشيد رضا لما كان علامة مجتهدا، وباحثا مستقلا، لما اطلع على هذا الكتاب القيم وما علق عليه مؤلفه من حواش أعجب بالجميع إعجابا عظيما، وكان من نتائج هذا الإعجاب أنه طبعه في مطبعة المنار الغراء التي كانت حريصة على أن لا تطبع إلا كتب الإصلاح النافعة كما نشر كثيرا من أبحاث " العلم الشامخ " تباعا في مجلة " المنار "، وأخيرا نظمه في سلك المجددين في الإسلام، كالغزالي، وابن حزم، وابن تيمية، والإمام محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني وذلك في أول كتابه التاريخي المشهور الذي سماه " تأريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده " وناهيك بشهادة من مثل هذا العالم الكبير لهذا المجدد الأسدي العظيم، ولا غرو فلا يعرف الفضل لصاحب الفضل إلا ذويه.

فهذا مثال من أمثلة حرية العلوم الدينية في اليمن في أواخر القرن الحادي عشر، وهي تمثل الحرية الفكرية، والاجتهاد المطلق، بكل ما في الكلمة " الاجتهاد المطلق " و " الحرية الفكرية " من معنى، وإن لم يكن هذا اجتهادا مطلقا فما في الدنيا اجتهاد؛ المقصود هو هدية المنصف، لا مجادلة المتعسف[1].

---

(1) انظر كتاب (مقالات القاضي العمراني) مرجع سابق، صـ 42

تواضع القاضي العمراني
قصص ومواقف

العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني اشتهر بتواضعه وزهده وبعده عن المناصب وبساطته وهناك الكثير من القصص عن تواضعه أوردت هنا بعضا منها، في لقائي مع القاضي العمراني سألته: برغم الفترة الكبيرة التي قضيتموها في نشر وتدريس العلم الشرعي إلا أن مؤلفاتكم قليلة ما هي الأسباب؟

فأجاب القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه -لا توجد لي مؤلفات ولا أحسب نفسي مؤلفًا أولًا وقبل كل شيء قد كثرت المؤلفات في مختلف الفنون فلا يحتاج لمثلي أن يؤلف، والتأليف يكون للعلماء الكبار نحن نحتاج لمن ينشر العلم ويدرسه، أين سيقف تأليفي بجانب مؤلفات المقبلي والوزير وابن الأمير والشوكاني وابن حجر والنووي نحتاج لمن ينشر هذه العلوم.

وقد سأله الدكتور محمد الخامري: لماذا لا توجد لكم مؤلفات علمية، وهل لديكم مخطوطات جاهزة للطبع؟

أولًا أنا لست عالمًا إلى الحد الذي ينشر لي مؤلفات وكتب، أنا رجل عادي ولا يوجد معي مؤلفات، ولا يوجد معي مخطوط لأني لست بعالم، وإذا جاز لي أن أقول إن لي مؤلفات فمعي كتاب اسمه (نظام القضاء في الإسلام) وهو مجموعة محاضرات كنت ألقيها قبل نيف وعشرين سنة عندما افتتح المعهد العالي للقضاء

وقام المعهد بجمعها وإصدارها في كتاب، وهناك رسائل ومباحث موجودة في يد طلاب العلم وأكثرها ضعيفة (في الصياغة) لا ترقي للنشر[1].

وحين سألته: ما هي جهودكم يا قاصٍ في نشر وتحقيق تراث الشوكاني؟

أجاب: لا توجد لي جهود ولا أسمى مجتهدًا، ولكنه حسن ظن بعض الطلبة يقولون: إنني الذي أحييت مؤلفات الشوكاني ويقولون: إنني الشوكاني الصغير.

1-كتاب القاضي العمراني والكتن!

وعندما سُئل القاضي العمراني: سمعنا أن في قوله تعالى: (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعَّد في السماء) هل في الآية إعجاز العلمي وهو أن من يصعد إلى الفضاء يقل عليه الهواء فيضيق صدره فما رأيكم في هذا وما رأيكم في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وهل يستدل به؟

فأجاب القاضي: أنا لست بعالم في الإعجاز العلمي أنا معي اثنتين أو ثلاث مسائل بيطلعن وينزلن وما شاء الله كان ولا أعلم بهذا، أنتم المثقفين الذين أتيتم في زمن الكتب والاطلاع والصحف والجرائد والمجلات، نحن جئنا ووجدنا اثنين من الكتب مخطوطات وملان كتن[2]، كانت الكتن تخرج من الكتب

(1) مقابلة القاضي العمراني مع صحيفة إيلاف اللندنية- مرجع سابق

(2) انظر فيديو على اليوتيوب بعنوان: "تواضع العلامة العمراني في مسألة الإعجاز العلمي.

وتقرصني وأنا أقرأ، وذات مرة وضعت كتابًا لي في مكتبة الجامع وفي اليوم الثاني أرسلوا لي وقالوا:

-الكتاب حقك مكتن سوف ينشر الكتن بين الكتب وأخذته.

وعندما أخبره الإعلامي محمد العامري أن الناس يتناقلون الحلقات التي سجلها معه ويتداولونها في هواتفهم انزعج وقال: من أنا حتى يهتم بي الناس؟

لست ابن باز ولا ابن عثيمين وكان -رحمة الله تغشاه -يقدر هؤلاء العلماء كثيرا وقد سئل رحمة الله تغشاه هل التقيتم يا فضيلة القاضي بسماحة الشيخ ابن باز- رحمه الله تعالى -؟

فقال: نعم التقيت به مرة من المرات لمناقشة مسألة فقهية مشهورة، ولست أهلا لأن أناقش الشيخ ابن باز ولا مشايخ السعودية، ولكن كان هذا تكليفًا من ولي الأمر في هذه البلاد[1].

وسئل: بماذا تصفونه بعدما لقيتموه؟

فقال: أقول فيه كما قال الشاعر:

كانت محادثة الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح أطيبَ الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسنَ مما قد رأى بصري![2]

(1) ذكر هذا تلميذه الشيخ جبران سحاري في كتابه (مسائل جبران سحاري وأجوبة القاضي العمراني) في المسألة الرابعة صـ 16.

(2) انظر كتاب (مسائل جبران سحاري وأجوبة القاضي العمراني) في الهامش انظر جبران سحاري صـ 18

2 -مدرس تحت التجربة!

ومن لطيف تواضع القاضي العمراني في مقابلة تلفزيونية[1]:

(أنا دائمًا حينما يطلب مني التدريس في الجامعة، أو في معهد، أو في أي محل أقول: ليس معي شهادات؛ لأن بعض الدكاترة يقول لهم: أنا دكتور في كذا، ودكتور خريج في كذا، أما أنا شخصيًا فأقول لهم: أنا لست دكتورًا، ولا معي شهادة دكتوراه، ولا معي شهادة ماجستير، ولا أنا من العلماء الذين يدرسون، ولكن حسن ظنهم ترجوا مني، أو طلبوا مني أن أدرس.

فأنا سأدرس يومًا أو يومين تحت التجربة، فإن أعجبكم وإلا فأنتم مقالون؛ لأني لم أدرس الدراسة العليا التي يدرسها الناس، بل دراستي عادية، مثل التي درسها العلماء من قبل، الأمير، والشوكاني، والمقبلي، والسيوطي، والعسقلاني، والسخاوي، والآخرون، وغيرهم، ومرة قلت: أنا خريج الجامع ولست خريج الجامعة، وليس الذكر كالأنثى.

وأتذكر أنني كنت عند الشيخ عبدالمجيد الزنداني -رئيس جامعة الإيمان -أيام عملي معه سكرتيرًا إعلاميًا وقد بلغه أن وزارة التعليم العالي عممت قرارا على الجامعات الأهلية بأن لا يقوم بالتدريس إلا من كانت لديه شهادة دكتوراه فكان الشيخ متبرمًا من هذا القرار ورأى أنه يستهدف التعليم الشرعي وضرب مثلًا بالقاضي العمراني قائلًا: يريدون أن يحرمونا من علم القاضي

---

(1) انظر: مقابلة القاضي العمراني مع قناة المجد في برنامج (برنامج صفحات من حياتي).

العمراني، وقد اقترح البعض عليه يومها أن تمنح جامعة الإيمان القاضي العمراني شهادة دكتوراه عن مجمل أعماله وتحل الإشكالية ولكن الشيخ الزنداني رأى بأن القاضي العمراني أكبر من شهادة الدكتوراه ومن غيرها من الشهادات.

3-منع القاضي العمراني لمن يكتب عنه

ويتحدث الدكتور عبد الرحمن الأغبري مؤلف كتاب "القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني -حياته العلمية والدعوية " عن تواضع القاضي العمراني فيقول: (.. ولأن هذا العالم الفذ ممن يحب الخمول ويكره قاصمة الظهور من مدح أو إشهار أو إبراز له أو الإشادة به، ولسان حاله يقول: " حب الظهور قاصمة الظهور "، ولا نزكي على الله أحدًا، ولأن التواضع أصبح سمتًا له واللين والسهولة والبساطة سجية من سجاياه فقد أحببت أن يكون موضع بحث، وهو جدير من قبل ذلك، ولذا فقد تحفظت كثيرًا وأنا أكتب عنه، مما شدد علي وحذرني منه حينما قال لي: أنت ممنوع أن تكتب عني كلمة، فمن أنا.. إن هناك علماء كبارًا أجلاء فاذهب وابحث لك عن أحدهم لتكتب عنه.

ويرى الدكتور الأغبري أن التواضع الشديد للقاضي العمراني من جملة الصعوبات التي واجهته أثناء كتابة بحثه لنيل شهادة الماجستير فيقول : (كان قدومي واختياري لهذا البحث نوعًا من المجازفة فيما أتصور، ذلك أن هذا الاختيار سبب لي حرجا ومشقة، فما تمكنت من مفاتحة صاحب الترجمة القاضي

العمراني إلا بعد مدة، ثم أن تمنعه من إعطائي أي معلومة بعد أن عرف أني سأكتب عنه، فما تردد أن حجرني: أي منعني خوفا على نفسه وتواضعًا منه، وقال لي ابحث عن علماء لهم اجتهاد ولهم صولة وجولة في التاريخ! فمن أنا حتى تكتب عني!!

ويضيف الدكتور الأغبري: (وقد حاولت في هذه الرسالة[1] بعون الله تعالى قدر المستطاع أن أضع بعض المعالم في الطريق لآراء هذا العالم؛ ليهتدي بها القاصرون أمثالي، وحاولت جاهدًا أن أستخرج ذلك من قصاصات أوراق شيخنا المتناثرة في مكتبته المتواضعة، ومن مجموعاته التي خطها قلمه السيال في أولى مراحل الطلب أيام عنفوان شبابه، ومن خلال هوامش كتبه التي طالما درسها لطلابه، وبعض ما خطته يده كرسائل فقهية وأجوبة على فتاوى ومقالات من هذا وذاك، حاولت أيضًا استخراج بعض من اختياراته الفقهية واجتهاداته الشخصية في بعض المسائل الفرعية.. كل ذلك أملًا أن يهتدي بها الماهرون في الغوص في مسائل الفقه غيري، وعزائي أن من فقد الماء تيمم بالتراب).

4 -من طرائف تواضع القاضي العمراني

ومن طريف تواضع القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه -ما رواه نجله السفير عبد الرزاق العمراني في كتاب السفينة حيث

---

(1) يقصد كتابه عن القاضي العمراني والذي صد عن مكتبة الإرشاد بصنعاء عام 1423هـ الموافق 2002م بعنوان (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني-حياته العلمية والدعوية) إذ الأصل فيه رسالة ماجستير تقدم بها إلى إحدى الجامعات السودانية ونال عليها درجة الماجستير بامتياز.

يقول: (ومن أطرف ما حدث مع الوالد إثناء إعداد هذه السفينة أنه كان عندما يقرأ شيئًا من السفينة مذكورًا فيه " وقال صاحب السفينة " أو حتى عنوان السفينة يقوم الوالد بالتعديل ويكتب " وقال والد صاحب السفينة " ويبدل عنوان السفينة ويكتب سفينة عبد الرزاق محمد العمراني مما تلقاه وسمعه عن والده؛ وهذا من لطف الوالد العزيز –رحمة الله تغشاه –واعترافه بالجهد الذي بذلته في سبيل إخراج هذه السفينة وتجردًا وتواضعًا منه، مما يزيد من إلحاحي على أن تبقى باسمه وأن يكون هو صاحب السفينة فهو المنبع والبحر الذي اغترفت منه.

5-صورة أخرى لتواضع القاضي العمراني

ويروي الأستاذ محمد المحيميد وكيل وزارة الاتصالات التابعة للحكومة الشرعية صورة من لطف وتواضع القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني فيقول: (عام 2004 عدت من جدة إلى صنعاء في الإجازة الصيفية، لم يكن يومها جوالات بكاميرا ولا معي كاميرا خاصة، قلت لصديقي ونحن في الطريق لدرس القاضي العمراني نفسي بصورة مع القاضي، يبدو أن صديقي كلم القاضي دون أن أشعر، بعد العشاء ونحن بجوار منزل القاضي قال: يا محمد أنت وفلان غدا الساعة الخامسة العصر تكونون عندي سنذهب الاستديو نتصور.

وفي اليوم التالي كنا في الموعد وذهبنا لاستديو تصوير في التحرير لأخذ هذه الصورة، ثم رجعنا للمسجد على صلاة المغرب والدرس[1].

لا يفعل هذا وهو بهذا القدر عمرا وعلما إلا قلب مملوء بالحب والتواضع.

6 -من أنا حتى يكون لي سيرة ذاتية؟!

يقول تلميذه الشيخ جبران سحاري: سألت فضيلة القاضي العمراني:

- أريد يا فضيلة القاضي نبذة عن حياتكم العلمية وسيرتكم الذاتية فأجاب:

-ومن أنا حتى تكون لي ترجمة وسيرة ذاتية؟!

هل أنا ابن تيمية أو ابن القيم الذهبي أو ابن حجر العسقلاني أو من؟

لكن بعض الطلاب اجتهدوا وكتبوا عني بعض الكتب سوف أحيلك عليها وفيها الكفاية إن شاء الله.

ويضيف الشيخ جبران سحاري في تعليقه على إجابة القاضي العمراني: وهذا درس جديد في التواضع وإلا فشيخنا من أكبر علماء العصر[2].

---

(1) انظر ما كتبه الأستاذ محمد المحيميد في صفحته بالفيسبوك على هذا الرابط- https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%B5%D9%88%D8%B1%20%E2%80%8F%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%AF%E2%80%8F

(2) انظر كتاب: (مسائل جبران سحاري وأجوبة القاضي العمراني) صـ 22

يقول الشيخ جبران سحاري وعندما أحالني القاضي العمراني إلى كتاب " القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني – حياته العلمية والدعوية " للدكتور عبد الرحمن الأغبري وكتاب "نيل الأماني في فتاوى القاضي العمراني -إعداد الشيخ عبد الله قاسم ذيبان" أخبرت القاضي أن هذين الكتابين معي فسألني: من أين اشتريتهم؟ فأخبرته أني اشتريتهما من معرض الكتاب بالرياض فتألم القاضي العمراني وقال:

-من أنا حتى تباع عني كتب في مدينة الرياض؟!

ويضيف سحاري: وهذا درس جديد في التواضع الذي لا يبرح هذا العالم الجليل.

- **الشيخ شبيبة يتحدث عن تواضع القاضي العمراني**

يقول الشيخ محمد عيضة شبيبة وزير الأوقاف والإرشاد في حكومة الشرعية: (شهدتُ مجلسًا للقاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني بين مغربٍ وعشاء في مسجده وتعرض القاضي لمسألة أثناء الدرس وَبَيَّنَ أن الشيخ محمد الغزالي أفتى فيها بالجواز، ثم عقب القاضي وأذهلني تعقيبه فقال: بلهجته المعهودة.. لهجة أصحاب صنعاء:

-أنا مش جاهل أصدقه، ولا عالم أرد عليه، لكن أنا داري أن أصحاب نجد عيندعوه.

يقول الشيخ لستُ من الجهال أصدق فتوى الغزالي، ولا أنا من العلماء أرد عليه..

ولكن علماء نجد لمعرفة القاضي بتحريمهم الصارم لهذه المسألة سيندعوه: أي سيردون عليه بشدة وقسوة.

هكذا يقول لستُ بعالمٍ فأرد عليه.. وهو المفتي الذي لا يشق له غبار، والعلامة المستوعب للمسائل، والمُلِم بالأقوال والمذاهب، والمرجح بين الأدلة [1].

وسبحان الله بعض الطلاب نقلوا للقاضي خبر وفاة الغزالي لأنه مات ذلك اليوم ولم يكن القاضي قد وصله الخبر، قالوا: يا قاضٍ، الشيخ الغزالي مات، فقال: لا هو حي ما قد مات، قالوا: إلا مات اليوم وأعلنت إذاعة لندن وفاته العصر فترحم عليه وأطرق قليلًا وكأنه يرى أنه قد تناول الشيخ الغزالي بما لا ينبغي، مع أنه لم يتناوله بشيء وإنما ذكر فتواه وأن علماء المملكة لن يقبلوها منه..

ما أعظم تواضع الكبار، وما أنبل أخلاق العلماء وأحسن أدبهم.

رحم الله الشيخ محمد الغزالي ورحم الله القاضي العمراني).

7 -القاضي العمراني يرفض وصفه بالمفتي

من المعروف أن القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه -يرفض أن وصفه بالمفتي والعالم وغيرها من الألقاب ويصر دوما على أنه

(1) انظر ما كتبه الشيخ محمد شبيبة في صفحته على الفيسبوك على هذا الرابط:
https://www.facebook.com/search/posts?q=%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B6%D8%B9%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B6%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A&filters=eyJycF9hdXRob3I6MCI6IntcIm5hbWVcIjpcImF1dGhvclwiLFwiYXJnc1wiOlwiMTAwMDEwNDI5OTU5NDkwXCJ9In0%3D

طالب عالم ففي لقاء مع قناة المجد الفضائية في برنامج صفحات من حياتهم أجراه الإعلامي الدكتور فهد السنيدي يسأله:

-أنت ترافق بعثة الحج اليمنية دوما بصفتك مفتي للبعثة؟

فأجاب القاضي:

-بصفتي مستشارًا وليس مفتيًا.

وعندما جاءه هذا السؤال عبر صحيفة " الثورة " اليمنية:

-توقفت أنا، وأنتم في لقاء سابق عن بداية طلبكم للعلم، وأنكم بدأتهم بطلب العلم، وكان أول ما اصطحبتم معكم للجامع الكبير كتاب: (ملحة الإعراب، ومتن الأزهار)، وكان هذا في بداية الطلب، لا أدري يا قاضٍ، هل من المواقف كانت تمر عليكم ذلك الوقت، وأنتم في حال الطلب؟

أجاب القاضي: أرجو أن تكون الأسئلة من التي ستفيد المستمعين: عن الصلاة، أو الصيام، أو الحج، أو الزواج، أو الطلاق، ولا حاجة لأن تسألني عن شخصيتي، فإنها لا تنفع الناس، إنما ينفعهم اين أجيب عنهم في مسألة من مسائل الطلاق، أو مسائل الزواج، أو مسائل الحج، أو العمرة، لا سيما في رمضان، هذه أيام الحج، والعمرة، وأيام الصيام، وأيام الاعتكاف، فأرجو أن تكون الأسئلة حول هذا الموضوع، ولا يهم أين ولدت، وأين نشأت؟

ومن أنا حتى أنشر أخباري، أو ترجمتي للناس جميعا؟!!

أنا لست بعالم، وإنما شبه عالم، أو ممن يحب العلماء فقط، وقد قلتها مرارا.

فقال السائل: وهل هذا من تواضعكم يا قاصٍ؟

أجاب القاضي بكل سعة صدر:

-لا ليس تواضعًا، وإنما هو الواقع بنفسه، والحقيقة، وأنا أخبر بنفسي.

8-وقصة أخرى عن تواضع القاضي العمراني

ويروي الشيخ عادل أمين الحرازي وهو أحد طلاب القاضي العمراني وقد عمل معيدا في جامعة الإيمان كما عمل أيضا في الشؤون العلمية بالجامعة يقول[1] : (كنت أعمل في الشؤون العلمية بجامعة الإيمان فوصلت للجامعة دعوة من الدكتور صلاح الصاوي رئيس مجمع علماء الشريعة الإسلامية في أمريكا لحضور المؤتمر الأول التأسيسي للمجمع، لما أرسلت هذه الدعوة إلى جامعة الإيمان كلفني الدكتور عبدالوهاب الديلمي بتبليغ القاضي العمراني هذه الدعوة فذهبت إليه وكلمته فاعتذر القاضي العمراني وقال: لا أستطيع.

فرجعت وبلغت الدكتور عبد الوهاب الديلمي بالاعتذار وأثناء تبليغي بهذا الأمر دخل فجأة إلى المكتب شيخنا الشيخ عبد المجيد الزنداني رئيس الجامعة وعلم باعتذار القاضي العمراني فقال:

---

(1) انظر: علّامة اليمن القاضي محمد إسماعيل العمراني حلقة في برنامج " أسمار وأفكار " على اليوتيوب على هذا الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=1F9nsJE_9XI

-قل للقاضي العمراني: رئيس الجامعة يقول لك لا بد أن تحضر هذا المؤتمر فأنت تشرف وتمثل علماء اليمن في هذا المؤتمر وتعرف مقدار المحبة بين الشيخ الزنداني والدكتور الصاوي وحينها رجعت وبلغت القاضي محمد بهذا فما كان من القاضي إلا أن كتب هذه الرسالة التي ما زلت محتفظا بها.

يقول القاضي العمراني رحمة الله تغشاه:

صاحب الفضيلة الدكتور صلاح الصاوي نائب رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة ومقرر اللجنة التحضيرية لإنشاء المجمع الفقهي في الولايات المتحدة الأمريكية المحترم حفظك الله ونفع بعلومكم آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد، فقد وصلتني رسالتكم الرقيقة وأشكركم وأشكر إخواني الكرام في اللجنة التحضيرية على حسن ظنكم بي كما أشكركم على ترشيحكم لي بأن أكون عضوا في هذا المجمع الفقهي الذي سوف تكون له فوائد عظيمة في المستقبل إن شاء الله وأشكركم كذلك على دعوتكم لحضور الاجتماع التأسيسي الأول الذي سينعقد في ولاية واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية في أوائل أكتوبر من هذا العام ولكني أرجو منكم قبول اعتذاري عن قبول هذه العضوية التي كنت أحب كثيرا أن أتشرف بها وكذلك لعدم حضوري الاجتماع التأسيسي الأول وذلك لظروف قاهرة بعضها اجتماعي وبعضها أسري علاوة على أني لم أوت من العلم إلا قليلا ولا أستحق أن أكون عضوا في هذا المجمع الفقهي الهام

والعذر عن خيار الناس مقبول والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. محمد بن إسماعيل العمراني.

وأرسلنا هذه الرسالة بالفاكس ثم احتفظت بها عندي، فهذا موقف عملي واضح ليس فيه تكلف التواضع بل صدق التواضع، وكنت أحاول أن أقنعه بالمشاركة في المؤتمر وأقول له لا ترد رئيس الجامعة ولكنه أصر فهذا رجل رباني جدير بطلابه ومحبيه أن يستلهموا هذا المنهج وهذه الدروس من حياة الشيخ العمراني وأن نسعى لأن نكون امتدادا لهذه المدرسة بالصفات التي أكرمه الله تعالى بها.

9 -فرادة القاضي العمراني

أما الكاتب المعروف نبيل البكيري فيرى أن تواضع القاضي العمراني ظاهرة وفرادة اختص بها هو، يقول: (ربما يعرف الناس كثيرا أن القاضي محمد بن إسماعيل العمراني (1922 – 2021) هو قاضي قضاة اليمن وفقيهها الأكبر ومفتي الجمهورية اليمنية، لكنهم ربما لا يعرفون أنه كان يمثل كل هذه المواقع بدون أي تعيين أو قرار رسمي صدر بذلك، وأنه تبوأ كل هذه المواقع باعتراف الناس وإيمانهم به وبهذه المكانة التي احتلها الرجل، من قلوبهم وعقولهم معًا، قبل أي شيءٍ آخر، ولهذا زهدت كل السلطات المتعاقبة في منح الرجل المكانة التي منحه إياها اليمنيون من تلقاء أنفسهم، وبدون انتظار أي قرار رسمي بذلك من أي جهةٍ كانت.

ويضيف البكيري: احتل القاضي العمراني هذه المكانة بعلمه الوفير والواسع وبزهده وتواضعه الجمّ، عاش في وسط الناس كأي أحد منهم، ولم يصنع حول ذاته هالةً تسوّره عن الناس وحاجاتهم وأسئلتهم ومعاناتهم، بل عاش وسطهم يأكل مما يأكلون ويلبس مما يلبسون. كل ما يميزه عنهم هو سعة علمه المبذول لكل سائل وطالب علم قصد داره أو مسجده الذي جلس فيه للدرس والإفتاء ما يقارب ثمانية عقود.

عاش الرجل زاهدا وقانعا لا يمتلك من هذه الدنيا سوى ما يعول به نفسه وأسرته، وهو القادر على أن يحوز كثيرا من الامتيازات والحضور والمكانة الدنيوية التي كان يمكن أن يحتلها بقليل من التماهي مع السلطات الحاكمة، لكنه مضى في حياته كلها، من موقعه حاملا للعلم وحارسا للقيم وحامل لوائها، سائرا على درب العلماء الزهاد الذين مضوا على الدرب ذاته، في الحفاظ على العلم قيمة عليا، لا يمكن تحويله إلى سلعة في سوق العرض والطلب ككثيرين.

ولست هنا بصدد الرثاء أو المدح للرجل، فأي مديح لا يمكن أن يفي عشر معشار مكانته العلمية والمرجعية والاجتماعية والإنسانية والثقافية، والوطنية، تلك المكانة التي جسّدها بحضوره الكبير زهدا وعلما واجتهادا، وبعيدا عن كل ما يتعارض مع صورة العالم الزاهد العابد الذي يعيش للعلم في خدمة الإنسان وحفظ كرامته وصون حرّيته وكرامته[1].

---

(1) انظر مقال " فرادة القاضي العمراني " في موقع "المصدر أونلاين " على هذا الرابط:

10 -رفض القاضي العمراني للمناصب الرسمية

ومن تواضع القاضي العمراني رفضه المناصب الرسمية وعن هذا الأمر يقول تلميذه الشيخ علي جياش المطري: (مما لاشك فيه أن شيخنا العلامة العمراني من أكثر العلماء هروبًا من تولي المناصب الرسمية، سواء كانت دينية أو دنيوية، ومن ذلك هروبه وتمنُّعه من تولي منصب مفتي الجمهورية اليمنية.

ولقد أخبرنا يومًا في مسجد الزبيري، في وقت صلاة الأوَّابين الساعة العاشرة صباحًا {وكنا ثلاثة من طلابه الدكتور عبد الرقيب عباد ومحمد ناصر العطير والعبد لله علي جياش} فقال:

-عندما توفي مفتي الجمهورية اليمنية السابق وهو السيد العلامة أحمد بن محمد زبارة، اتصل بي رئيس الجمهورية تلفونيًا، وقال:

-نريد أن نوليك الإفتاء في الجمهورية اليمنية، فقلت له:

-أنا لا أستطيع؛ لأنني مشغولٌ بتدريس العلم للطلاب في مسجد الزبيري وفي جامعة الإيمان، وفي المعهد العالي للقضاء، وكذلك الناس يأتوني يوميًا زرافات ووحدانًا إلى مسجد الزبيري، لكي أجيب على أسئلتهم واستفساراتهم، حتى إن بعضهم يأتي بعدي إلى البيت لكي أجيب على أسئلته.

وقلت له:

---

https://almasdaronline.com/articles/230236

-هناك علماء كبار في اليمن يمكن أن يتولى أحدهم هذا المنصب، فأغلق الرئيس التلفون، ثم قال لنا القاضي محمد:

-الرئيس يريد أن يضيف إليَّ عملًا آخر، وهو العمل في وظيفة المفتي للجمهورية اليمنية، وهذا سيضطرني إلى الدوام الرسمي في مكتب هذه الوظيفة، ويشغلني فوق ما أنا مشغول.

- وفي اليوم الثاني اتصل بي الرئيس وقال:

-بحثت في أسماء مَنْ قد يمكن أن يتولى أحدهم منصب المفتي للجمهورية اليمنية، فلم أجد كفؤًا لهذا المنصب إلا أنت، فقلت له:

-مثل كلامي في اليوم الأول، فقال لي: من ترى إذن أن نوليه هذا المنصب؟

فقلت له: رئيس الجمهورية أعرف مني برجال اليمن من العلماء والفقهاء والوجهاء والمشايخ والسياسيين وغيرهم، فاختر من شئت منهم، فأغلق التلفون.

وفي اليوم الثالث اتصل بي للمرة الثالثة، وقال لي:

-لم أجد أحدًا أعلم منك وأقدر وأفضل لتولي منصب مفتي الجمهورية اليمنية، ولهذا فقد وليناك، وعليك أن تباشر عملك، فقلت له: إذا كنت تريد أن أدعو لك فلا توليني هذا المنصب، واتركني فيما أنا فيه بين طلابي في مسجد الزبيري وفي جامعة الإيمان والمعهد العالي للقضاء، وأحيطكم علمًا بأنني لو خيرت بين هؤلاء الطلاب جميعًا لاخترت طلاب مسجد الزبيري وتفرغت لتدريسهم من بعد صلاة الفجر، حتى صلاة العشاء، وتركت

الجامعة والمعهد، وإن كنت تريد أن أدعو عليك فولني منصب مفتي الجمهورية اليمنية، فقال الرئيس:

- إذًا من ترى يصلح لمنصب المفتي، فقلت له:

أنت أدرى مني وَأَخْبَر، واليمن لن تعدم من العلماء الكبار المجتهدين، فقال الرئيس:

-طيب، ما رأيك في فلان؟

فقلت له: لا!

فقال: ما رأيك في فلان؟

قلت: لا، فقال الرئيس:

-ما رأيك في القاضي محمد أحمد الجرافي، فقلت:

نعم.[1]

فلما جاء اليوم الثاني إلا وقد صدر قرار جمهوري بتعيينه مفتيًا للجمهورية اليمنية، خلفًا للعلامة أحمد زبارة، فقلت: الحمد لله أنه لم يصرَّ على تعييني لهذا المنصب، ثم قال شيخنا العلامة العمراني:

-(إنما وافقته على اختيار العلامة محمد أحمد الجرافي، لأنه من مدرسة العلامة المجتهد الحسن بن أحمد الجلال الذي كان يدعو إلى التمسك بالدليل، ونبذ التعصب، ويدعو إلى الاجتهاد، ويحذر من التقليد، فالعلامة الجرافي ليس من الزيدية المتعصبة، وإنما من مدرسة العلامة الجلال الاجتهادية).

---

(1) انظر ما كتبه الشيخ علي جياش المطري على صفحته في الفيسبوك على هذا الرابط:
https://www.facebook.com/photo?fbid=2867311173535113&set=pcb.2867312230201674

يقول عن تواضعه تلميذه الشيخ علي الفقيه[1]: (لم أر أكثر تواضعا ولا بساطة من شيخنا العلامة القاضي العمراني حفظه ورعاه عندما يثني عليه أحد في وجهه يقول:

-ما أنا معترف أني عالم ويخاطب زائره بأنه من المغرر به كونه جاء يستفتيه وهو فقيه اليمن الأول ويلاطف طلابه وزواره ويتاحفهم..

ومن تواضعه درس في مسجده بعض مؤلفات تلاميذه وهو نجم المجامع إذا حضر في المحافل الكبيرة..

لم أر منه ما يحصل من غرور وحب للظهور كما هي عند البعض من الجيل الجديد الذي لا يستطيع أحد أن يمسكهم أو يقرب منهم.

11 -تواضع وعز نفس القاضي العمراني

ويتحدث الشيخ أحمد عبد السلام[2] وهو أحد طلاب جامعة الإيمان عن تواضع وعزة نفس القاضي العلامة محمد إسماعيل العمراني -رحمة الله تغشاه -فيقول: (قبل أكثر من خمسة أعوام أشيع خبر وفاة القاضي العمراني -وما أكثر الإشاعات بهذا الخبر-فقرر بعض أعيان حينا مع بعض طلبة العلم زيارة القاضي

---

(1) سبقت ترجمته.

(2) من طلبة العلم درس في جامعة الإيمان بصنعاء وفي مركز تكوين العلماء بنواكشوط بموريتانيا، انظر ما كتبه في صفحته على الفيسبوك على هذا الرابط:
https://www.facebook.com/search/posts/?q=%D8%B9%D8%B2%D8%A9%20%D9%86%D9%81%D8%B3%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B6%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%20

إلى بيته للاطمئنان على صحته ونفي تلك الإشاعة وصلنا إلى بيته فوجدناه بين **أولاده** وأحفاده يتبادلون أطراف الحديث فاستقبلونا بصدور رحبة ثم سألنا القاضي عن الإشاعة وكيف تعامل معها فضحك وقال:

-قد صلوا علي في السعودية صلاة الغائب.!

ومن ثم سألنا القاضي: من أين أتينا؟

فأخبرناه وكما هو معلوم القاضي موسوعة في الأحساب والأنساب وأسماء المدن والضواحي فعرف المكان وحدثنا عن أماكن قريبة من حينا، ثم استمر في سرد اللطائف والدرر والطرف والشيخ طبعا كان يلبس ثوبا عاديا بحكم أنه بين **أولاده** وأنا رأيت أن أوثق تلك الجلسة الرائعة فأخرجت هاتفي وقعدت أصور، فإذا به يلتفت إلي وهو متغير وجهه ويقول:

-يا ابني احذف الصور إذا كنت قد صورت.

قلت له: حاضر، وقمت بحذفهن ثم قال:

-لا أريد أن ترى الدولة صوري وأنا بهذا اللبس حتى لا يظنوا أني أستعطفهم وأطلب منهم مساعدة، ثم أمر ولده أن يحضر له الجبة والعمامة ليلبسها فلبسها ثم قال: الآن عادي تعالوا تصوروا.

ظرافة العلامة العمراني في مجالسه

من أبرز ما تميز به شيخنا العلامة العمراني رحمة الله تغشاه إضافة إلى العلم والفقه، حسن الخلق والظرافة وطلاقة الوجه وخفة الروح والطرائف التي يحكيها والقصص التي يرويها بعفوية محببة وأسلوب رائع يشد انتباه المستمع وهو ما يجعل لحديثه لذة عجيبة ويضفي على مجلسه الكثير من الود والألفة والمؤانسة وما يجعل الجلوس معه متعة عظيمة لأنك بمجالسته تستفيد من علمه ويجذبك بأسلوبه وما يرويه من مواقف وأحداث وقصص وطرائف.

وقد عكس القاضي العمراني صورة إيجابية للعالم الذي انطبعت صورته في أذهان الناس بالتجهم والسكوت والجدية الصارمة فالقاضي العمراني دون كثير من سواه يبدو أديبًا ظريفًا يروح على تلامذته بالطرفة المضحكة والنكتة المسلية والقصة المعبرة والموقف الذي يخفف عناء الدرس وتعب التحصيل وهي طرق تربوية أثبت نجاحها كثير من الدراسات التربوية الحديثة.

تحفل ذاكرة كثير من طلبة العلم الذين درسوا على يد شيخنا وكثير من الناس الذين اختلطوا به وتعاملوا معه كثيرًا من النكت والقصص التي رواها القاضي والمواقف الظريفة التي قام بها دون أن يفقد وقار العالم وهيبته بل ازداد بها حبًا لدى الناس ورسوخًا في ذاكرتهم وترددًا في ألسنتهم.

وقد جلست مع العلامة العمراني رحمة الله تغشاه في جامعة الإيمان وفي مناسبات عديدة وكذلك في زيارتي له إلى منزله برفقة عدد من المشايخ كما تحدثت سابقا، حيث جلسنا مع العلامة العمراني مع بعد صلاة العصر إلى المغرب، أجريت معه مقابلة لصحيفة " صوت الإيمان " وكان حديثه خارج المقابلة أجمل وأروع حيث طاف بنا في قصص وذكريات ومواقف وما شعرنا إلا بقرب أذان المغرب وحينها استأذنا منه فأذن لنا بالانصراف وذهبنا للصلاة ويعلم الله أن تلك الساعات كانت من أجمل لحظات عمري وتمنيت لو أنها طالت وتكررت كثيرا.

وكل من يجلس مع العلامة العمراني في منزله أو يحضر في مجلس يحضره القاضي يظل طوال عمره معجبًا بحديث العلامة العمراني ولا ينساه.

لقد كان الناس تهفو قلوبهم للجلوس مع العلامة العمراني والاستفادة من علمه وما يرويه من ذاكرته القوية من أحداث ومواقف وقصص طريفة ولذا لم يكد يخلو منزله من زوار في يوم من الأيام.

ظرافة القاضي العمراني في دروسه

ومثلما كان العلامة في مجلسه في منزله أو في أي مجلس يحل فيه ظريفا أديبا مرحا فكذلك في دروسه العلمية التي يورد فيها الكثير من القصص والنكت لتدعيم الفكرة ودفعا للملل عن الطلاب وكذلك هي إشارة تنبيه فمثلا كان العلامة العمراني قد

روى لطلابه في معهد القضاء وفي جامعة الإيمان قصة نصر الدين جحا الذي كان يبيع الخل على حماره وينادي على بضاعته: الخل الطيب من يريد الخل الطيب؟ فكان كلما نادى ببيع الخل نهق الحمار وكلما سكت سكت، وفي النهاية انزعج جحا وسأل الحمار: من الذي يبيع الخل أنا أم أنت؟

أذهب بع الخل أنت وترك جحا الحمار وذهب.![1]

ولذا كان القاضي إذا وجد بعض الطلاب يقاطعونه أثناء الدرس يقول: من يبيع الخل؟

وهي إشارة لهم ليسكتوا بمعنى: من الذي يلقي الدرس أنا أم أنتم؟!

فكانت بعض طرائف العلامة العمراني للتنبيه يلمح بها ولا يفصح.

يقول القاضي إسماعيل الأكوع رحمه الله: (للقاضي محمد العمراني مزية ينفرد بها فيما عرفت عن غيره وهي مزج الدرس بالفكاهات والنكت التي تتعلق بموضوع الدرس، فتزيل الكآبة والرتابة من نفوس المستمعين من طلابه الملتزمين بالحضور وكذلك من غيرهم، فلا يسأمون من طول الدرس، مما يحبب الطلاب في الإقبال على دروسه) [2].

---

(1) انظر كتاب: (قصص وحكايات من اليمن) تأليف د محمد غنيم صـ 11

(2) انظر المقدمة التي كتبها القاضي إسماعيل الأكوع رحمه الله لكتاب: (القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني..حياته العلمية والدعوية). تأليف د عبد الرحمن عبد الله الأغبري. مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى صـ 11.

وعن ظرافة الشيخ العمراني رحمة الله تغشاه ومزجه الفكاهات في دروسه العلمية يقول الشيخ العلامة محمد يوسف حربة أستاذ الفقه المقارن بجامعة الإيمان: (وهو في دروسه يمزج درسه بالنكتة والفكاهة الأمر الذي يجذب طلابه إليه، فهو محبوب لدى طلابه خلقه التواضع واللين، عليه زي العلماء ووقارهم، من لقيه أول وهلة هابه، ومن جالسه وخالطه أحبه، ولا أكون مبالغا إن قلت: إنه قل أن يوجد نظيره من علماء اليمن في وقتنا الحاضر).[1]

ويقول العلامة الدكتور عبد الوهاب الديلمي رحمه الله: (ومن محاسنه التي عرف بها أنه لا ينسى خلال تدريسه أن يمزج أسلوبه دائما بالدعابة والملح الظريفة التي تذهب بالسآمة والملل.)[2]

وقد خلص الدكتور محمد عبدالله الحاوري في دراسته بعنوان: " طريقة التدريس التي يعتمد عليها القاضي محمد بن إسماعيل العمراني في تدريسه

" إلى عشر نقاط منها " إدخال الترفيه والمزاح الوقور، وهذا مستفاد من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أصحابه. فيستخدم القاضي اللغز والطرفة الأدبية أو حادثة

---

(1) نفس المرجع السابق صـ 267

(2) انظر ما كتبه الدكتور عبد الوهاب الديلمي رحمة الله تغشاه في مقدمة كتاب: (القاضي العمراني..حياته العلمية والدعوية). تأليف د عبد الرحمن الأغبري. مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى صـ 11.

للتلميح أو غيرها من أساليب الترفيه على الطالب والتي تشده في نفس الوقت ".

ويضيف الدكتور محمد عبد الله الحاوري: " ومن الأساليب التي تميز بها القاضي العمراني: استخدام القصة، فحفظه للعديد من القصص وأسلوبه الرائع المشوق في دروسه يتكونان جسرا يعبر عليه المتعلم لفهم المراد، فالقصة غالبا تكون مرغوبة للمتلقي وتناسب كل الفئات العمرية، وتبقى في ذهن الطالب فترة طويلة؛ وكلما ذكرها الطالب ذكر الدرس الذي قيلت فيه ".[1]

وعن أسلوب العلامة العمراني في التدريس وإيراده للقصص الطريفة والطرائف يقول عنه تلميذه الشيخ نعمان الوتر[2]: (كان القاضي العمراني مدرسا بارعا والناظر لحياته العلمية يجد أنها مليئة بالدرس والتدريس، الأمر الذي أكسبه موهبة فذة في تقريب المعلومات، ونثر الفوائد على الطلبة بأسلوب بارع بعيدا عن الإملال، حتى وإن طال وقت الدرس، وتشعبت مباحثه، ومن طريقته في التدريس أنه يقوم بالترويح على الطلبة بذكر بعض النكات والطرائف المسلية، والمتعلقة بموضوع الدرس بطريقة تجعل الطالب لا ينسى الفائدة ومثال ذلك: عند شرحه لمسألة طهارة الميت، ومناقشة حديث: (المؤمن لا ينجس

---

(1) دراسة نشرتها مجلة جامعة صنعاء- للعلوم التربوية والنفسية- مجلة أكاديمية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة صنعاء، المجلد (8) العدد (2) يونيو- ديسمبر 2011م.

(2) انظر كتاب (العقيق اليماني بأسئلة نعمان الوتر وأجوبة القاضي العمراني) تأليف الشيخ نعمان الوتر صـ 11

حيًا ولا ميتًا)، يذكر قصة: " العلامة محمد بن يحيى مداعس "، وكان زيدي المذهب، ويعمل أمينا للصندوق في مدينة إب الشافعية، وما حصل له من نقاش حاد، وجدال كبير حول مسألة: (نجاسة الميت)، التي يقول بها مذهبه، واستعظام من يناقشهم من الشافعية هذا القول، وتصلب كل من الطرفين على مذهبه، وأثناء ذلك يدخل عليهم الشيخ حسين الدعيس أحد مشايخ إب، وكان ظريفا، وصاحب طرفة، ونكتة؛ ليقول لهم: (لا داعي للجدال، والنقاش في هذا، واتركوا الشيخ مداعس وأصحاب من نقيل سُمارة، وما فوق على نجاستهم، لا نحاول نطهرهم، " يقصد ديار الزيدية "، ويتركونا من سمارة ومنزل طاهرين لا يحاولون ينجسونا "يقصد ديار الشافعية" فيضحك الجميع).

ويبتسم الطلاب المستمعون لهذه القصة، وكأني بهم جميعا بعد سماع هذه القصة يستحيل نسيان المذاهب والأقوال في هذه المسألة وأمثال هذه القصص كثيرة [1].

فالعلامة العمراني رحمة الله تغشاه لم تكن القصص والطرائف والنكت لديه غاية بحد ذاتها ولكنها وسيلة فعالة لترويح الطلاب وإبعاد الملل عنهم وتثبيت المعلومات لديهم.

وقد أكد هو هذا المعنى حين سأل:

-فضيلة القاضي نلاحظ أنه تكثر الطرائف والنوادر والنكات في دروسكم، لماذا تنتهجون هذا الأسلوب؟

---

(1) جمع الدكتور محمد غنيم العشرات من هذه القصص في كتابه: (قصص وحكايات من اليمن) كما أورد السفير عبد الرزاق العمراني في كتابه (سفينة العمراني- معارف ولطائف) العشرات من هذه القصص.

هذا أسلوبي وأنا أتخذها كفاتح للشهية لكي يرغب الطلاب في حضور الدروس والتركيز فيها، وأنا أعتبرها كالسلطة، عندما يكون الإنسان يأكل اللحم والعسل والسمن ثم يأتون له بالسلطة واللبن فهذا يفتح شهيته للأكل أكثر [1].

---

(1) مقابلة القاضي العمراني مع صحيفة إيلاف اللندنية- مرجع سابق

القاضي العمراني إمام الفقه والظرف

ويؤكد الشيخ علي القاضي أن العلامة العمراني هو " إمام الفقه والظرف " حيث يقول: (لن نوفي الإمام العمراني حقه من الثناء مهما قلنا فهو الإمام المجتهد وهو امتداد لمجددي اليمن كابن الوزير والمقبلي والصنعاني والشوكاني، رحمهم الله، ولن أتكلم عن فقه الإمام العمراني وعلمه فهو مفتي اليمن لعقود وقد أطبقت شهرته الفقهية الآفاق ولكني سأتكلم عن خصلة وهبه الله تعالى إياها إلى جانب العلم والفقه وهي حسن الخلق والظرافة وطلاقة الوجه والنكت الملاح التي تجري بسجية بلا تكلف ولا ثقل وقلما يجتمع مع العلم هذه الصفات: الود والألفة والمؤانسة وحسن العشرة لذلك توافقت القلوب على حبه وإجلاله والفرح إذا ذكر اسمه فضلا عن علمه رحمه الله)[1].

كما يرى الأستاذ خالد الرويشان بأن العلامة العمراني هو: (آخر ظرفاء عصره أيضا مثلما هو كبير علماء وقته وزمانه وحين تجلسُ إليه تجلِسُ إلى روح اليمن الذي نعرف ونحب، تجلس إلى روح مدينة صنعاء وبياض قلبها وضوءِ شُرُفاتها عِلْمًا يضيءُ عقلك، وبساطةً تسحرُ روحك، وظرافةً تأسرُ قلبك فلا تعرف حينها كيف

---

(1) انظر مقال " إمام الفقه والظرف " الشيخ علي القاضي في صفحته بالفيسبوك على هذا الرابط:

https://www.facebook.com/alqady2012/posts/4019084158190698

مرّتْ ساعتُك بين يديه، حتى أنّك تتمنى أن تطول الساعةُ ساعاتٍ كانت هي الأروع بين ساعات عمرك)[1].

تلميذ العلامة العمراني الدكتور محمد عبد الرحمن غنيم الذي جمع طرائف العلامة العمراني في كتابه (قصص وحكايات من اليمن)[2] يقول عن العلامة العمراني بعد أن لازمه لسنوات: (ما تجلس في مجلس من مجالسه إلا وقد خرجت مسرور النفس مرتاح القلب من كثرة لطائفه ونكاته وحكاياته التي تدل على تواضعه وسلامة صدره، وطيب قلبه وسعة اطلاعه).

ويضيف الدكتور غنيم (هذه الخصلة التي هي من أبرز خصال العلامة العمراني، كانت من أبرز أسباب توسيع مكانته في القلوب، وجعلته من أبرز أدباء وظرفاء العصر الذين لهم قدرة على ابتكار النكتة، وسرعة بديهة، تمكنه من الاستفادة من المواقف والخروج من المآزق، وهذه الخصلة اكتسبها القاضي العمراني من كثرة المطالعة في كتب الأدب،

فهو ينقل منها كثيرا عند المناسبة، وأيضا معاشرة العلامة العمراني للناس، واختلاطه بهم في أفراحهم وأتراحهم وسع عنده هذه الدائرة).

وقد روى الدكتور غنيم في كتابه العشرات من القصص والطرائف التي رواها العلامة العمراني رحمة الله تغشاه وكان لهذا

---

(1) انظر منشور الأستاذ خالد الرويشان في صفحته بالفيسبوك على هذا الرابط:
https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=3014234405490850&id=100007129596771

(2) انظر كتاب (قصص وحكايات من اليمن) تأليف د محمد عبد الرحمن غنيم مكتبة خالد بان الوليد صنعاء الطبعة الأولى صـ 6

الكتاب انتشار كثير وطبع عدة طبعات وكان له قبول كبير بين سائر القراء على مختلف اهتماماتهم وانتشرت هذه الطرائف كثيرا.

كما يروي طلاب العلامة العمراني رحمة الله تغشاه الكثير من القصص والطرائف والمواقف التي عايشوها معه حيث تميز العلامة العمراني رحمة الله تغشاه كذلك بسرعة بديهته وبردوده اللاذعة وإجاباته الساخرة أحيانا. فمما يروى في هذا المجال أن أحد الأشخاص جاء إليه من مغص في معدته فنصحه العلامة العمراني بتناول الفتة مع العسل على الريق فقال للعمراني:

-وإذا لم يذهب المغص؟

فرد القاضي:

-وإذا لم يذهب المغص قدوه صبوحك.!

أي إذا لم يشفك العسل فاعتبر ما أكلته إفطارا لك.

وكانت تأتي للقاضي فتاوى كثيرة حول الطلاق فكان يعلق مازحا: (لا يأتونا إلا وقت الطلاق، ما يأتونا وقت الزواج).

يقصد أن الناس لا يذكرونه وقت الزواج ويسألونه عن أحكامه ولكن بعد أن يتزوجوا ويقعوا في مشكلة الطلاق فيأتون إليه ليفتيهم.

*****

مختارات من طرائف
يرويها القاضي العمراني

يس والحلبة

يحكي القاضي العمراني رحمة الله تغشاه: أن مؤذنًا كان يصعد إلى المنارة (أو الصومعة بلغة أهل صنعاء) ليؤذن، فكان يطلع على بيوت أهالي صنعاء وقد أعجبته امرأة، فكان كلما كان يصعد إلى الصومعة يعاكسها ويشير إليها وكانت المرأة عفيفة فلما أكثر من هذه الحركات اشتكت إلى زوجها، وكان ابنها يسمع، فما كان من الزوج إلا أن ذهب إلى الجامع الكبير، وطلب من أحد الفقهاء أن يدرس سورة (أي: يقرأ) يس (سورة ياسين) على هذا المؤذن (أو بلغة اهل صنعاء: ياسين إلى ذمة المؤذن) وأما ابنه فأخذ حلة من الحلبة (الحلبة: أكلة يمينة شعبية لينة) وانتظر حتى صعد المؤذن الصومعة وسكب الحلبة على درجات الصومعة التي ينزل منها المؤذن إلى صوح المسجد، فلما انتهى المؤذن من أذانه، وأراد أن ينزل انزلقت قدماه في الحلبة، فتدحرج حتى وصل إلى صوح المسجد ووصل الخبر إلى زوج المرأة، فقال لابنه: أرأيت ماذا فعلت يس؟ فقال ابنه:والحلبة، فصارت مثلًا.

حمل العِمامة أهون من حمل أُمامة!

يحكي القاضي العمراني أن القاضي محمد بن علي الشوكاني – رحمه الله– كان يُصلِّي في مدينة "ذمار" فسقطتْ عِمامتهُ، فحملَهَا وهو في الصَّلاة، وأعادها إلى رأسِهِ، وكان هُناك أعرابيٌّ يراهُ، فقال: يا شوكاني! هذه لمْ تعُدْ صلاة، هذا لعب. فقال الشوكاني: "حَمْلُ العمامة أهون مِنْ حَمْلِ أُمامة!" يُشير إلى الحديث النبوي الذي فيهِ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم حملَ أُمامة بنت ابنتهِ في الصلاة، وهذه من الأجوبة المُسْكِتة، فَرَحِمَ الله الشوكانيّ.

سمع الله لِمَن خدره!

يحكي القاضي العمراني أنَّ رجُلًا تزوج امرأتين إحْداهُما كانت من قريةِ "حَمده" –قرية تتبع لمحافظة صنعاء–، وهي تابعةٌ لقبيلة "بكيل"، والأخرى كانتْ من قريةِ "خدره" تابعةٌ لقبيلة "حَاشِد"، وكانت كُلُّ واحدةٍ تغار من الأُخرى، فقالتْ المرأة التي مِنْ "خدره": أنتَ تُحب زوجتك الأُخرى أكثر منِّي، فقال الرجل: كَيْف؟ قالت: تذكرها دائمًا في صلاتِك، قال: في أي موضع؟ قالت: عِنْدما ترفع من الركوعِ تقول دائمًا: سَمِعَ الله لِمَن "حَمِدَهْ"، فلماذا لا تقول: سمِعَ الله لِمَنْ "خدره"؟!.

بطش المهدي وفراسة الدوشان!

يحكي القاضي العمراني أن المهدي عبدالله أحد أئمة اليمن كان بطَّاشًا مُتعجِّلًا في سفك الدماء يرتعد منه الناس، وفي يوم من الأيام مرَّ بصنعاء القديمة راكبًا على فرسِهِ، وعليه اللِّباس الغالي،

وحوله الوزراء والدواشون -الدوشان هو شاعر القبيلة في اليمن وحافظ أنسابها وسفيرها بين القبائل الأخرى-، وكانت الأيام أيام عيد الأضحى، فسقطت من أحد البيوت حاجيَّات الكَبْشِ والدماء والأوساخ على المهدي عبد الله، فبُهِتْ الوزراء والحاشية من المفاجأة! وتوقَّعوا أن يأمر المهدي بقطعِ رأس الرَّجل صاحب البيتِ، ولم يدْروا ماذا يصْنعونِ؟

فَمَا كانَ من الدُوشانِ إلاَّ أنْ أنشدَ بيتَ المُتنبي:

لا يَسْلَمُ الشَّرفُ الرَّفيعُ من حتَّى يُراقُ على جَوَانبِهِ الدمُ

فضحكَ المهديُّ عبد الله، وضجَّ الوزراء إعجابًا ببديهةِ الدوشان، وألْقى كُلُّ واحدٍ ما في يدهِ من مالٍ على الدوشان، فمنْهُمْ من ألقى إليهِ خاتمهُ، ومنهم من ألقى إليه الفرانصي - الوحدة النقدية المستعملة آنذاك، وهو عملةٌ نمساوية فضية-، ومنْهُم من ألقى إليه الجنبية، حامدين له إخراجِهم من هذا الموقف المُحْرِج.

عجوز "حجة" والصينيين!

يحكي القاضي العمراني رحمة الله تغشاه -:

كانت امرأةٌ فقيرٌ تسكن في حجة - محافظة تقع في شمال صنعاء- وكان لها قُرابة يطمئنون عليها بالمراسلة، وكانوا لا يستطيعون المجيء عندها؛ لأن الطَّريق بين حجة وصنعاء كانت وعرة جدًا وغير مرصوفة، فكان المُسافر يقطعها في عدّة أيام، وبعد فترة رُصف الطّريق بين صنعاء وحجة على أيدي الصينيين،

فأصبحت قرابتُها هؤلاء يأتون إليها كثيرًا، ويحتاجون إلى ضيافة، وهي ليس عندها شيء، فتستقبلهم قائلة: أهلًا وسهلًا... لا رحِم الله الصينيين!.

اللهم اسقنا الغيْثَ!

يحْكِي القاضي العمراني أن جزَّارًا كان يأتي إليهِ طفْلٌ يشترِي من اللحم، وكان هذا الطفلَ يُتعب الجزَّار، ويعبث بأدواتهِ ويتقفز داخل الملحمة، والجزَّار في غاية الضيق، وفي يوم من الأيَّام استسقي أهل صنعاء، فنزلت الأمطار، ووقعت صاعقة، فأصابت هذا الطِّفل فأهلكته، فارتاحَ الجزَّار مِنْ عبثِ الطِّفل، ثمَّ جَاءهُ طِفلٌ آخر، وأخذ يفعل مثلَ ما كان يفعل الطِّفل الأول، فسألهُ الجزَّار عن اسمهِ وأسرتهِ، فقال: أنا أخو الولَدَ الذي أهلكتهُ الصَّاعقة، فأخذ الجزَّار يُقطِّعَ اللَّحم بالساطورِ وهو يقول: يا الله اسقنا الغيْثَ.. يا الله اسقنا الغيْثَ! يُلَمِّحُ بأن تأتي صاعقةٌ أخرى فتأخذ الولد الثَّاني.

امتنع عن الخروج من النَّار!

يحكي القاضي العمراني أنَّ الإمام الشوكاني –رحمه الله– كان يُقرئ طلبتهُ "صحيح البخاري" وكانت تمر به أحاديث الشَّفاعة التي فيها خرجوا أُناس من النَّارِ مِنْ بعد ما امْتُحِشوا، وكان هُناك طالب من الطَّلبةِ مُعتزلي العقيدة –والمعتزلة ينكرون الشفاعة الثَّابتة من خروج بعض المسلمين من النَّارِ– فكان هذا

الطَّالب كُلَّما مرَّت أحاديث الشَّفاعة حاول أن يشوش ويعترض ويُناقش ويُجادل فما كان من الشوكانيّ إلا أن قال له: عندما يأتون لإخراجك مِنَ النَّارِ امتنع عن الخروج، وقُل: أنا مُعتزليٌّ لَنْ أخرج...!

أحد... أحد...!

يحكي القاضي أنَّ رجلًا كَانَ يضْربُ طفْلًا له، والولد يبكي ويجري ويقول: أحدٌ... أحدٌ... وأبوه يزيد من الضَّربِ ويقول: يا حمار... جعلتني أُميَّة بن خَلَف!.

احتياطًا!

يحْكي القاضي العمراني أنّ رجلًا موسوسًا كَانَ يؤمّ النَّاس في أحد مساجدِ قريةٍ من القُرى، فكان في كلِّ صلاةٍ يسجد للسهو سواء وَقَعَ مِنْهُ ما يستحق أن يسجد له أو لم يقع، فسألهُ المصلّون: لِمَ هذا السجود المُسْتمر؟ فقال: احتياطًا!.

وفي يومٍ من الأيام كان هذا الرجل راكبًا حمارًا، فأمال الحِمَار رأسه ناحية الأرض، وألقى بالرجلِ من على ظهرهِ، وأخذ الحِمار يضرب الرَّجُل بِقَدَميهِ، فتكسر الرجل، وجاء النَّاس لإنقاذهِ، فقال الرَّجُلَ –وهو مصاب–: العجيب أنَّ هذا الحمار ألقى بي مِنْ على ظهرهِ، ولم يكتفِ بهذا بَلْ زادني رفْسًا بِرِجليهِ، ألم يكفهِ إلقائي؟! فقال له النَّاس: احتياطًا... أراد الحمار أنْ يحتاط، فُربما لمْ تتكسَّر من

الرَّمية الأولى، فَرَفَسَكَ برجْلَيهِ احتياطًا، فمذْهب الحِمار في الرَّفسِ كمذهبك في سجود السهو الاحتياطي!.[1]

ما يجوز بعد حتى البرعة

ويقال أن القاضي العمراني حضر ذات يوم عرسًا في العاصمة صنعاء، وحين جاء وقت صلاة العصر قام الحضور ليصلوا، وكان في واحد مخزن في الجهتين من فمه، سأل العمراني قائلًا: يا قاضي لو اقوم أصلي بهم وأنا مخزن يجوز يصلوا بعدي؟!

فرد عليه القاضي العلامة مازحًا:

-"أنت ما يجوز بعدك حتى البرعة ".!

*****

(1) باستثناء الطرفة الأخيرة فإن هذه الطرائف قد وردت في كتاب (قصص وحكايات من اليمن) للدكتور محمد غنيم.

فضيلة الإنصاف لدى القاضي العمراني

كتب الشيخ علي فتيني أحد المشايخ الذين تتلمذوا على يد القاضي العمراني دراسة عن مناقب القاضي العمراني بعنوان:(أضواء سهيل اليماني في مناقب العلامة العمراني) وقد ركز على فضيلة الإنصاف لدى القاضي العمراني ولروعة ما كتبه الشيخ علي فتيني فسوف نقتطف من هذه الدراسة ثلاث صور من الإنصاف لدى القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه -يقول الشيخ علي فتيني:

(لاحظت وغيري ممن تتلمذ على يد الشيخ ولقيه أو استمع له، أنه فريد في التحلي بميزة الإنصاف للموافق والمخالف، وإن شأنه في ذلك لعجاب، ومثير للدهشة والاستغراب، يأسر بها قلوب الجميع، وكأنه وضع نصب عينيه: فضيلة " أنزلوا الناس منازلهم " فتحقق بها، "ورذيلة الكبر: بطر الحق وغمط الناس " فخافها وجاهد نفسه في البعد عنها، فكان لديه إجلال عظيم لأهل العلم، رغم أنه قد يختلف معهم في بعض الأصول والفروع.

وعلى عجل وحسب علمي بالشيخ، وعلمي به قليل متواضع، أذكر ثلاث صور لهذه المنقبة الفريدة من مناقب شيخنا:

1-الصورة الأولى: ذكره أقوال العلماء والمذاهب رغم اختلافه معهم وعلى سبيل المثال الزيدية و علماء السلفية المعاصرة، وهذه عادته في دروس الفقه حيث لديه حافظة عجيبة في سرد

أقوال المتقدمين والمتأخرين، ومن تحصيل الحاصل أن أشير إلى ذكره لأقوال المذهب الزيدي، وليس ذلك غريبا عليه فهو ابن البيئة الزيدية، المتضلع في مذهبهم، وهو تلميذ لكثير من علمائهم، على أنه يختلف معهم في الأصول، وينتقدهم في منهجية التعصب والتقليد، وهذا من المشهور الذي لا يحتاج إلى بيان.

لكن الذي قد يكون غريبا عند البعض خاصة المتعصبين المقلدين أن الشيخ كان يذكر أقوال العلماء المحسوبين على الجانب الآخر، وهم رموز السلفية المعاصرة، أو ما يسمى "بالوهابية " عند بعضهم، ولذلك كان بعض المتعصبين ينكرون على الشيخ ذلك، بل كانوا يتهمونه بأنه " وهابي " كما سمعنا منه في بعض الدروس، وشاهد بعض طلابه والمقربين منه بعضا من مواقف المتعصبين التي تأذى منها.

فمثلا: كثيرا ما سمعناه يذكر أقوال العلامتين ابن باز وابن عثيمين وغيرهما، وقد سئل مرة عن فتوى للشيخين ابن باز والعثيمين ما قولك فيهم وفي رأيهم فقال:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم. إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقد ذكر هو نفسه لقاءه مع الشيخ ابن باز في الحج وذكر بعض طلابه أنه كانت له صداقة خاصة معه وملاطفة ومداعبة بينهما، وشيء من الاختلاف أثناء بعض النقاشات العلمية، مع تقدير وإجلال من الطرفين لبعضهما رحمهما الله وجمعنا بهما في جنات النعيم.

- وأيضا من المعروف عنه ذكر أقوال الإمام الألباني رحمه الله وحفظه لكثير من أحكامه على الأحاديث من حيث التصحيح والتضعيف، وسوف أذكر له موقفا في الثناء عليه والدفاع عنه في الصورة التالية.

2 -الصورة الثانية: ثناؤه على العلماء ودفاعه عنهم: اشتهر عنه عفة لسانه وتقديره لأهل العلم ورده على من يذكرهم بسوء ويتعرض لهم بجرح وثلب، بل يصل أحيانا إلى درجة الغضب كما رأينا في الفيديو الذي يقدم فيه أحدهم سؤالا عن طائفة من الشباب تزهد في العلماء وتنتقصهم ومنهم الألباني وأنهم يرونه ليس محدثا ولا عالما ولا فقيها؟!

فيجيب الشيخ العمراني بطريقة غاضبة ويقول:

من هذا الذي يقول ذلك؟! ثكلته أمه، وعدمته عشيرته! هذا الرجل مغفل أو متعصب!!

ثم قال أكثر من مرة: الألباني أمير المؤمنين في الحديث في هذا العصر.

3 -الصورة الثالثة: الإحالة على من يرى فيه الأهلية للفتوى: وهذا كثير لا يعد ولا يحصى، وهي عجيبة من عجائب الإنصاف، ومن ذلك ما نقله الكثير من طلابه المقربين منه، حيث يحيل بعض المستفتين إليهم، خاصة في بعض المسائل التي يرى أنه متخصص فيها وأهل للفتوى فيها، ومن ذلك أيضا الإحالة في المسائل المعاصرة على خريجي الجامعات والدكاترة الباحثين، وقد اشتهرت عنه دعابة لطيفة وهي قوله: أنا خريج من الجامع وأنتم من

الجامعة، وليس الذكر كالأنثى! كما سمعناه أكثر من مرة في قاعة الدرس يقول مداعبا: أنا صاحب عمامة وليس كرفتة-يشير إلى حاملي درجات الدكتوراه - فاذهبوا إلى أصحاب الكرفتات! وكل ذلك ليس تنقيصا وإنما من ظرافته المعهودة، وليس أيضا عجزا منه عن الجواب، ولكن حذرا وتواضعا بل هضما للنفس، وله مواقف كثيرة في هذا الباب، تستحق التتبع والاستقراء.

ويضيف الشيخ فتيني: (مما يستحق الإشارة إليه قبل الختام أن تلك الصفة وغيرها مما له علاقة بها من عفة اللسان عن القدح والتجريح للعلماء، والتواضع وهضم النفس، هي من الصفات التي أحسب أنها تدل على ثلاثة أمور مهمة في سيرة الشيخ وهي:

الأول: المدى الواسع في تأثر شيخنا العمراني بشيخه الإمام الشوكاني خاصة وكبار علماء اليمن الآخرين من نفس المدرسة، ممن تشابهت مناهجهم وخرجوا من مشكاة واحدة كابن الأمير الصنعاني وغيره ممن ذكروا سابقا، ممن أحيا العمراني مدرستهم وصار رمزا وعلما وامتدادا لهم في عصرنا، ليس في العلم والفقه فقط بل في السلوك والسمات الفريدة، ومن يتتبع منهج الشوكاني كمثال سواء في كتبه الفقهية كنيل الأوطار وغيره من كتب تراجم العلماء كالبدر الطالع، يلاحظ بجلاء مدى ترسخ منهجية الإنصاف التي سلكها رحمه الله.

الثاني: أن ذلك من الأسباب التي جعلت الشيخ محبوبا لدي أكثر العلماء، وسائر مكونات العمل الإسلامي في اليمن، ورزقه الله القبول وعلو المكانة في القلوب، مع بركة في العلم وسعة

انتشار، وإقبال الطلاب عليه من كل مكان، كل ذلك لما رأوا فيه من حب للإنصاف وتقدير للعلماء الآخرين ونبذ وبغض للتعصب والتقليد.

الثالث: كما تدل على أمر آخر مهم جدا، وهو مدى اهتمام الشيخ العمراني بتزكية نفسه ومجاهدتها، حيث إن مثل هذه الصفات لا يتحلى بها إلا من انتصر على حظوظ نفسه وأهوائها.

ونحسب أنه تحقق فيه واقعا دعاء الصالحين: اللّٰهم اجعلني في عين نفسي صغيرا وفي أعين الناس كبيرا، وكأن الشيخ كان يستحضر ذلك ويدعو به)

أول من نادى بحقوق المرأة في اليمن

لم يكن القاضي العمراني فقيهًا منغلقًا يسير مع عادات مجتمعه ولو كانت مغلوطة ويداهن العوام على حساب الشرع والدين، وإنما كان رائدا من رواد التنوير والحرية في اليمن؛ فقد حارب الخرافات والعادات السيئة ودعا إلى تعليم المرأة، بل وأفتى بوجوب تعليم المرأة وعن هذا الأمر يقول نجله الدكتور عبد الغني العمراني[1]: (يعد والدي القاضي محمد بن إسماعيل العمراني رحمة الله تغشاه ونفعنا الله بعلمه أول من نادى بحقوق المرأة في اليمن عبر أثير إذاعة صنعاء، فقد نادى قبل أكثر من 60 عاما بوجوب تعليم المرأة ومنحها حقوقها الاجتماعية والمالية وغيرها، لأن الإسلام اعتبر إنسانية المرأة إنسانية كاملة، وشرع لها من الحقوق الإنسانية العامة، ما شرع للرجل لكونها إنسانًا كامل الإنسانية والأهلية غير المنقوصة، فالنساء شقائق الرجال في كل شيء، عدا بعض الأمور التي تختلف فيها المرأة عن الرجل لطبيعة خلق المرأة وما أعدت له.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، لأنها قد تكون محلًا للغمط والامتهان بل منحها الإسلام قدرا من التكريم والإكرام

(1) انظر المقدمة التي كتبها الدكتور عبد الغني العمراني لكتاب (مقالات القاضي العمراني).

والإحسان والاحترام ما يفوق القوانين الغربية الخاصة بحقوق المرأة.

وقد أذيع هذا المقال (يقصد الذي يطالب فيه القاضي العمراني بحقوق المرأة)[1] في الوقت الذي كانت المرأة في المجتمع اليمني في تلك الفترة تحرم من حقوقها الاجتماعية والمالية وأهمها حرمانها من الميراث، أو الوقف للذكور دون الإناث، كذلك امتهانها والانتقاص منها واعتبارها عورة والتحرج من التصريح باسمها، كما أنها كانت تطلَق لأتفه الأسباب وتسلب حقوقها من النفقة في العدة وفي الحضانة وغيرها.

يضيف د عبد الغني العمراني: (كما أنها لا يعتد برأيها، بل أنها ليس لها رأي في البيت. كل ذلك جعل والدي القاضي العمراني رحمة الله تغشاه يشن الغارة على الذين يسلبونها حقوقها، وينادي بوضوح وصراحة بإعطائها حقوقها كاملة غير منقوصة.

وقد رجعتُ (المؤلف) إلى كتاب " مقالات القاضي العمراني " فوجدته قد كتب ثلاثة مقالات أولها عن " تعليم المرأة بنظر الإسلام " والمقال الثاني عن " وجوب تعليم المرأة في الإسلام " والثالث عن " حقوق الزوجين في الإسلام ".

---

(1) انظر مقال القاضي العمراني عن " وجوب تعليم المرأة " و " تعليم المرأة في نظر الإسلام " في كتاب: (مقالات القاضي العمراني) صـ 115، 120

القاضي العمراني يكتب عن وجوب تعليم المرأة

وقد وجدت أن القاضي العمراني يشدد على وجوب تعليم المرأة وأهمية ذلك بطرح رائع ورؤية متقدمة ولغة رصينة حيث يقول: (إنَ تعليم المرأة من مستلزمات الحياة العظيمة عند الأمم التي تريد أن تتبوأ خلافة الأرض، وتسمو إلى قمة عالية تشرف فيها على سائر الشعوب لتكون مركزًا عظيمًا، وتريد أن تحمل رسالة الحق، وتثبت قوانين العدالة، وتحب أن تكون شعوبها المثل الأعلى في العلم والأدب، والثقافة والأخلاق؛ وذلك لأن المرأة هي العضو الثاني من العضوين اللذين يتألف منهما المجتمع الإنساني في هذه الحياة؛ ولأن منزلة المرأة من النشء الجديد بمنزلة الروح من الجسد، فإذا صحت الأمهات من أمراض الجهل والخرافات، وكانت على جانب عظيم من المعرفة، صحت بصحتها الجيل الجديد بأجمعه فينشأ سليمًا من أمراض الخرافات والأمية والغفول.

وبالعكس إذا جهلت الأمهات، أو كان تعليمهن فاسدًا؛ فإن ذلك يسري إلى جميع أفراد المجتمع الإنساني الجديد الذي ألفه الدهر من **أولاد** الشعوب الحاضرة، ومن أفلاذ أكبادها فينشأ جاهلًا أو غافلًا.

فالدين الإسلامي يوجب على الرجل المسلم أن يعلم بناته وزوجاته ما يجب عليهن، وما يحل لهن، وما يحرم عليهن أيضا؛ لأنهن شقائق الرجال في جميع الأحكام الشرعية التي يقررها

الإسلام إلا في أحكام معروفة مخصوصة قد تضمنها القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة، والكتب الفقهية التي ألفها السلف من علماء المسلمين، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا.

ولأن الأمهات هن المدارس الأولية التي يدرس فيها فلذات أكباد الأمم والكليات التي يخرج منها رجال الغد، وأعضاء المجتمع الإنساني في المستقبل[1].

* **** *

---

(1) انظر مقال القاضي العمراني عن " وجوب تعليم المرأة " في كتاب: (مقالات القاضي العمراني) صـ 120

حرص القاضي العمراني على الوقت

من أهم وأبرز صفات العلامة العمراني -رحمة الله تغشاه - والتي لم يتحدث عنها ممن كتبوا عن القاضي العمراني هي حرصه على الاستفادة من الوقت وعدم تضييعه فلا تجده إلا في حلقات العلم في المساجد أو في قاعات التدريس في معهد القضاء أو في جامعة الإيمان وغيرها أو في برامج الإفتاء التلفزيونية أو الإذاعية وهو في منزله إما يقرأ أو يكتب أو يرد على الأسئلة والفتاوى التي تصله من الناس من مختلف أنحاء اليمن ومن خارج اليمن أيضا.

وهناك أمر آخر لا يعلمه الكثير من الناس وهو أن العلامة العمراني عندما يقرأ في كتاب يقرأ قراءة مثمرة فيضيف بعض الحواشي ويعقب بالرد إذا استدعى الأمر وقد يختار بعض المختارات ويشير إليها وقد جمع نجله السفير عبد الرزاق العمراني الكثير مما خطه العلامة العمراني في كتابه الرائع (سفينة العمراني - معارف ولطائف) وسنتوسع بإذن الله في الحديث عن هذا الأمر في باب مؤلفاته وإنما أوردناه هنا في إطار رصه على الوقت رحمه الله.

ويتحدث نجله السفير عبد الرزاق العمراني عن حرصه على الوقت في حياته وقد بلغ التسعين من عمره ونصيحته لطلبته باستغلال الوقت فيقول نقلا عن والده العلامة العمراني: (يقال في المثل " الوقت من ذهب " لكني أقول للشباب: كلا الوقت أغلى من الذهب والماس أيضا إن الذهب إن فات يعوض وربما أكثر مما

فقد، أما الوقت فلا يمكن أن تعيده قوة مهما كانت فنجده دائما ينصح من قدم إليه من طلبة العلم بأن يستغلوا الوقت في المطالعة والقراءة واكتساب المعارف خاصة في الصغر وينصح الطالب بأن يبدأ بمطالعة كتب التاريخ والسير فيبدأ بمطالعة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم بتراجم الظماء كأبن تيمية والعز ابن عبد السلام وابن حجر العسقلاني وغيرهم من عظماء المسلمين، ويضيف بالقول إن اليوم (24) ساعة فخذوا نصفها للنوم والأكل وغيره، والنصف الآخر استغلوه في طلب العلم، ويضيف أنا نادم على ما مضى علي من وقت.

ويضيف السفير عبدالرزاق العمراني: (هذا رغم أن الوالد لا يزال إلى يومنا يستغل وقته في القراءة أو الفتوى أو التدريس، أما قبل حوالي ثلاث سنوات وهو يقترب من التسعين عامًا فكان يعمل بطاقة تضاهي طاقة الشباب فكان يُدرَس في مسجد الزبيري درسين الأول بعد صلاة الفجر والثاني بعد صلاة المغرب، إضافة إلى درس في جامعة الإيمان وآخر في معهد القضاء العالي صباحًا، ومع هذا يجيب على الفتاوى المكتوبة منها والشفهية، وبالرغم من كل هذا عندما يخلو في البيت يقرأ ويطلع، حتى إنه عندما جاء إلى الأردن للعلاج من ألم أصاب يده اليسرى عندما سمع الطبيب ببعض برامج الوالد استغرب وقال يجب التخفيف وتقليص

البرنامج بحيث لا يكون أكثر من أربع ساعات بين تدريس وإفتاء.)[1].

(1) انظر كتاب (سفينة العمراني لطائف ومعارف) إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 44

القاضي العمراني
وقصصه مع الحجاج اليمنيين

انتدبت وزارة الأوقاف والإرشاد القاضي العمراني لمرافقة بعثة الحج اليمنية فظل لسنوات طوال يرافق الحجاج من أبناء اليمن، يفتي الحجاج ويرد على أسئلتهم واستفساراتهم وفي مقابلة مع قناة المجد الفضائية[1] عندما سأله المذيع الدكتور فهد السنيدي[2]:

-أنت ترافق بعثة الحج اليمنية دوما بصفتك مفتيًا للبعثة؟

فأجاب القاضي:

-بصفتي مستشارًا وليس مفتيًا.

ويقول القاضي العمراني: (بعد الثورة اليمنية عام 1962م ظلت الحرب مستمرة لأكثر من سبع سنين، وبعد السبع السنين توكلت على الله والحرب قائمة وذهبت للحج وبعد أن رجعت من الحج ودخل شهرا محرم وربيع الأول تمت المعاهدة واعتراف المملكة العربية السعودية بالجمهورية اليمنية، وبعد أن حججت وتعبت ذهبت في العام الثاني بالطائرة، وكنت في العام الأول قد

---

(1) لقاء قديم مع القاضي العمراني على قناة المجد الفضائية على هذا الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=wWVrNq3SMAU&t=186s

(2) د فهي بن عبد العزيز السنيدي إعلامي سعودي- أجرى مقابلات مع شخصيات شهيرة في العالم الإسلامي وله مؤلفات منها: (ي صحبة السميط رحلة في أعماق القارة المنسية) و(صناعة المذيع الناجح) وغيرها.

سافرت من صنعاء إلى مكة عبر طريق خولان[1] ثم صرواح[2] ومأرب ثم طريق الجوف إلى أن وصلنا إلى محل يقال له "الصليب"[3] ثم وصلنا إلى نجران ومن هناك دخلنا إلى المملكة العربية السعودية وعاملوا لنا وقطعنا جوازات أخرى غير الجوازات التي كانت معنا من صنعاء.

ويقول السفير عبد الرزاق العمراني نجل القاضي العمراني: (.. وكان الوالد كثيرا ما تنتدبه وزارة الأوقاف للسفر مع بعثة الحج اليمنية ليكون مفتي الحجيج ومرشدهم الأول في مناسكهم لما له من اطلاع واسع على فقه جميع المذاهب، فقد انتدب لرئاسة اللجنة العلمية للبعثة حوالي (22) سنة)[4].

---

(1) خولان: إحدى مديريات محافظة صنعاء إلى الشرق باتجاه مأرب.
(2) صرواح مديرية في محافظة مأرب باتجاه خولان صنعاء.
(3) منطقة بمحافظة الجوف باتجاه الحدود اليمنية السعودية.
(4) انظر كتاب (سفينة العمراني لطائف ومعارف) إعداد السفير عبد الرزاق العمراني ص 38

القاضي العمراني يروي قصة أول حج له

قال شيخنا العلامة العمراني: في مرة من المرات قبل أربعة وثلاثين عاما ذهبت للحج في المرة الأولى[1] (حجة الإسلام، مشينا، وركبنا فوق سيارة مكشوفة من السيارات الكبيرة ونحن محرمون، وملبون بالعمرة من المدينة إلى مكة، والمسافة "450 كم2"، والبرد يضربنا ضربًا شديدًا، وكنت أحس بالبرد، وأشعر به في رأسي، وفي ظهري، وفي جميع أعضاء جسمي، لأنه وافق أن كان حجنا في أيام الشتاء، والرياح شديدة، والبرد قارس، لاسيما برد المدينة النبوية، فلا أشد من برد المدينة أبدًا، وقد كنا نلبس (الفنيلة، والكرك، والجاكت)، ولم تستطع كل هذه الملابس أن تحمينا وتقينا البرد، وكذلك البطانيات التي كانت معنا لم تنفعنا في شدة البرد، فمشت السيارة بنا حتى وصلت إلى محل "مكان ما"، وتوقفت...، وقال السائق:

-لابد أن نتوقف، وننزل هنا؛ لأن البرد أثر علينا، وسننام هنا فوق

السيارة وبجوارها، فنزلنا وصلينا العشاء في البرِّ، على التراب، ثم تعشينا في "صندقة" [وهي دكان صغير للوجبات السريعة، مبني من الحديد، وليس من الأحجار] وَهَمَمْنَا على النوم، والبرد شديد...، فبحثت عن مكان؛ لكي ننام فيه فلم نجد، ثم بحثنا عن "صندقة" لكي ننام فيها فلم نجد، حيثُ لم نجد فنادق؛

---

(1) انظر كتاب: (رحلة حج مع القاضي العمراني) تأليف الشيخ علي جياش المطري.

لكي نبيت فيها في تلك الأيام، فظللت أبحث حتى لقيت مسجدًا في البادية، فدفعت الباب، فإذا هو مفتوح، فدخلته فإذا هو مسجد دافئ، مفروش بالحصير- وهو في (قرية مستورة) في طريق المدينة الأولى القديمة- وأخذت البطانية، ورقدت ورأسي من خارج البطانية، "أي: مكشوف" لأنني محرم، وقد دعوت لصاحب المسجد دعوة مخلصة لا أحسن منها أبدًا، حيث دخلت، ورقدت، ولم أذهب لدعوة الباقين خشية من أن يضيع عليَّ المسجد في الظلام ولا أجده، فرقدت مباشرة من الفرح؛ لأني لقيت مسجدًا أنام فيه، وكذلك أصحابي كل من جاء إلى المسجد دخل فيه فرحًا ونام، ولم يخبر الآخرين، فلما استيقظت في الصباح لصلاة الفجر، رأيتهم جميعًا بجانبي، وقد وضع كل واحد منهم رأسه بجانب رأسي، وباقي أجسادهم موزَّعة على جميع الجهات،[تجملنا من هذا المسجد جمالة لا أحسن منها]، أي: رضينا عن هذا المسجد، ودخل حبه في قلوبنا لقاء ما أكرمنا به من المبيت فيه، في الوقت الذي لم نجد فندقًا لكي ننام فيه، ودعونا جميعًا لصاحب هذا المسجد.

- وبعد عشر سنوات [قلت: بالتحديد في عام 1389هـ]،[1] مررت من ذلك المكان، حيث جئنا فوق سيارة حكومية مكتوب عليها: البعثة اليمنية يقودها سائق مكلف من وزارة الأوقاف، ويوجد معنا من يخدمنا، ونزلنا في ذلك المكان لتناول طعام العشاء، ثم نواصل السير، أما بالنسبة لي فقد تركت تناول الطعام والشاي،

(1) الكلمات التي بين الأقواس [ ] هي توضيحات من مؤلف كتاب (رحلة حج مع القاضي العمراني) الشيخ علي جياش المطري.

وذهبت أبحث عن المسجد، وقلت في نفسي: سأستغل وقت إعداد طعام العشاء، وأبحث عن البقعة التي فيها المسجد الذي أنقذني من البرد في المرة السابقة، لكي أردَّ له الجميل، وأصلي فيه ركعتين، إلى مقابل أنه أنقذني في المرة الأولى، ولم أكن أريد النوم فيه مرةً أخرى، فلما أتيت إليه، إذا هو مغلق بالأقفال، فسألت أحد المقيمين هناك، لماذا أغلقوه؟ قال: لأنهم قد فرشوه، واشتروا له ميكروفونًا، ولهذا أغلقوه، فقلت: اغتنى البدو، وفرشوه، وغلَّقوه علينا! فالمسكين الذي سيأتي، وليس له مكان ينام فيه، بالإضافة إلى ضيق ذات اليد، لا يجد أين ينام! خاصة في هذا العصر، فهذا الموقف أيدَّ لديَّ الفتوى التي أصدرها الأمير، وقد طالعتها قبل نحو 60، أو 65 عامًا، وأنا مازلت مقتنعًا بهذه الفتوى [وهذا يؤكد ما ذهب إليه السيد العلامة ابن الأمير الصنعاني من كراهة فرش المساجد، لكي لا يحرم المسكين وابن السبيل من الاستفادة منها، والمبيت فيها في أيِّ وقت يصل فيه، فيدخل لكي يصلي أو ينام أو يقرأ القرآن أو غير ذلك].

فالواقع أن فراش المسجد يجني على المسجد، وعلى كل مسافر وابن سبيل يريد أن يدخل فيه ليصلي أو ليرتاح، وكذلك اتخاذ مكبر الصوت لرفع الأذان، وإعلان الصلوات، وكذلك الساعة الحائطية، وغيرها مما اضطر الناس إلى إغلاق المساجد.

أما في عهد السلف فقد كانت المساجد بغير فراش، وكانت مفتوحة لمن يريد أن يصلي المغرب أو العشاء أو الفجر أو غيرها، أو يتطوع أو ينام أو يستريح أو غيره.

أردت أنْ أرد الجميل لهذا المسجد:

وقد أردت أن أرد الجميل لهذا المسجد؛ حيث ذكرت قول الشاعر:

إنَّ الكرام إذا ما أيسروا ذكروا　　　من كان يألفهم في المنزل الخشن

وهذا الشعر نستشهد به على الذين يأتيهم الغنى في ساعة من الزمن بعد أن كانوا فقراء، فقد عرفنا أناسًا فقراء، وإذا بهم بعد أيام صاروا أغنياء، فبعضهم بعد أن صار غنيًا، لم يزل على عهده الأول من التواضع والقرب من الناس، حيث كان يلقانا، ويكلمنا ببساطة، كما هي عادته وخلقه من قبل، ولم يؤثر فيه الغنى تأثيرًا سلبيًا.

أما بعضهم فقد اغتنى أو صار غنيًا، ونسي كل معروف أُسدي إليه، ونسي من كان يحسن إليه، ويراعي مشاعره، ويعطف عليه ويساعده، ولهذا أنصحكم أن تحفظوا هذا البيت، لكي تستشهدوا به إذا وجدتم أناسًا من هذا الصنف الذي ينسى الجميل، وينكر المعروف، ويتجاهل كل من كان صاحبًا له، يعيش معه، ويواسيه، ويستمع لشكاويه، ويفرِّغ همومه وغمومه وأحزانه، ويتوجع معه ويسليه، والبيت الشعري هو:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا　　　من كان يألفهم في المنزل الخشن

- فبعضهم إذا صار غنيًا، يقول: رعى الله فلانًا، فيذكره، ويرد الجميل، ويذكر "المنزلة" [والمنزلة: هي غرفة من الغرف التي ينزل فيها طلاب العلم الفقراء أو الغرباء، وتعتبر ملحقًا من ملاحق

مساجد صنعاء وغيرها] التي كان يعيش فيها معه، ويتذكر الفقهاء والعلماء الذين قرأ معهم، أو قرأ عندهم، أما بعض الأغنياء فينسى كل شيء.

وقد روى السفير عبد الرزاق العمراني في كتابه (سفينة العمراني معارف ولطائف) نقلا عن القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه -مجموعة قصص بعنوان " قصص من رحلات الحج بالباخرة " وهي قصص طريفة وسنروي منها قصة الحاج مطير.

كما حدثني الدكتور عبد الولي الشميري أنه رافق القاضي العمراني في إحدى رحلات الحج اليمنية إلى مكة فكان القاضي يتحف الحجيج بالقصص واللطائف وينصحهم وأن تلك الرحلة كانت من أجمل رحلات حياته وقد ذكر لي العديد من القصص والطرائف التي حدثت في تلك الرحلة والتي رواها له القاضي العمراني وحين حدثته أن الدكتور عبد الرحمن غنيم قد جمع بعض طرائف القاضي العمراني في كتابه " قصص وحكايات من اليمن " سر كثيرا وكلفني بشراء الكتاب له وفي اليوم الثاني ذهبت وبحثت في المكتبات واشتريت له الكتاب المذكور وقد ندمت لأني لم أسجل ما قاله الدكتور الشميري عن تلك الرحلة فقد تحدث عن عشرات المواقف والقصص التي حدثت في أثناء تلك الرحلة وتعليقات القاضي العمراني عليها.

كما ألف الشيخ علي جياش المطري كتابًا بعنوان " مع القاضي العمراني في الحج " ويتحدث فيه عن دور القاضي العمراني في بعثات الحج اليمنية ودوره في إرشاد الحجاج والإجابة عن

أسئلتهم وقد أذن لنا مؤلف هذا الكتاب بنقل بعض القصص من كتابه وفيما يلي بعض القصص التي أوردها الشيخ علي جياش المطري خلال مرافقته للقاضي العمراني في رحلات الحج.

* ****

القاضي العمراني
يروي قصصًا طريفة عن الحجاج

لأن القاضي العمراني -رحمة الله تغشاه -رافق الحجاج من أبناء اليمن مرات عديدة قد احتفظت ذاكرته بالكثير من القصص والمواقف والأحداث التي حدثت له ولليمنيين في مواسم الحج سواء في الطريق إلى مكة أو خلال أداء شعائر الحج، نروي هنا بعض هذه القصص:

1) قصة العلامة العمراني مع الشرطي

يقول القاضي العمراني: في سنة من السنوات ذهبت لرمي الجمرات ورأيت الشرطة أمامي، فلما أتممت الرمي أردت أن أرجع من حيث أتيت، وحينها خلعني الشرطي في ظهري (أي: ضربني بالسوط) فتعصب ولدي، وثارت حميته، وعلاه الغضب، وقال للشرطي:

-كيف يحق لك أن تضرب الوالد على ظهره؟!

فقلت لولدي:

-لا، لا ترفع صوتًا فوقه ولا تعاتبه ولا تحاسبه فهذا نظام، ما دام أن هذا الشرطي يقوم بترتيب الحجاج، وما دام هذا في صالح الحجاج، فلا يحق لك أن تتكلم عليه، وفي نفس الوقت لا تخف ولا تنزعج ولا تغضب، فليست ضربة قوية، وإنما هي ضربة خفيفة،

وهو يقول: ابتعد يا حاج ابتعد يا حاج، لا ترجع من هنا، كما أن هذه الضربة الخفيفة لم تكن على رأسي وانما هي على ظهري، وهي أيضًا ليست مؤلمة، كما أنها لا تعد إهانة أبدًا ما دام أن هذا في صالح الحجاج جميعًا.

قال ولدي: لماذا لا يحترمون العلماء؟!

فقلت: وما أدراهم أنني من العلماء، فالحجاج جميعًا يلبسون لباسًا واحدًا، وإزارًا ورداءً وليست العمامة والجوخ والتوزة[1] علي!

وقد قلت للشرطي: ماذا تريد؟! قال: اتجه إلى الجهة الفلانة، قلت: لا بأس أبشر، وخرجت بسهولة، لكننا أتينا في سنة ثانية وقد تركوا هذا النظام ورجعت الفوضى من جديد.

وأقول: هذا من تواضع القاضي العمراني وسعة صدره وعظيم حلمه وصبره وإلا فلو كان شخصًا آخر بمستواه قد تعرض لما تعرض له فلن يسكت ويصبر ويتفهم الأمر بل سيشتبك مع الشرطي وسيشكو للجهات الرسمية ويطالب باعتذار رسمي ورد اعتبار له.

---

(1) التوزة: حزام عريض يلبسه القضاة والوجهاء في شمال اليمن وبه خنجر في وسطه وهو لباس تقليدي.

2) -قصة الحاج مطير

ويروي القاضي العمراني أنه في أحد مواسم الحج في عهد الإمام يحيى حميد الدين حاول البعض من أهل بيت حاضر قتل الملك عبد العزيز، بإيعاز من ولي العهد أحمد بن يحيى حميد الدين، وفشلت محاولة الاغتيال، وقتل المحاولون حينها، وبعد فشل المحاولة أمرت الحكومة السعودية باعتقال كل يمني على الأراضي السعودية بمن فيهم الحجاج اليمنيون، فقام السيد عبد الله الوزير بالتصدر بالأمر والتوسط لدى الحكومة السعودية وتعهد بتسفير كل الحجاج اليمنيين وإعادتهم إلى اليمن بإشرافه ومسئوليته فقام بجمع الحجاج اليمنيين وبدأ في ترحيلهم بالبواخر من ميناء جدة على عدة رحلات، وعاد إلى اليمن في آخر رحلة وقد أصبح في غاية التعب والقلق والسهر، وعند بداية تحرك الباخرة جاء إليه الحاج أحمد مُطير من أهالي صنعاء وقال له:

-أريد أن أخبركم بشيء!!

فأجابه وذهب معه وقال له:

-ماذا؟ أخبرني؟

ظانًا أنه سيخبره بأمر مهم، فقال له الحاج مطير:

-أرى أن تقوموا بفرز الركاب فالذين معهم كعك لوحدهم في جانب من السفينة، والذين ليس معهم كعك لوحدهم.!! كي لا تحصل مشاكل بين الركاب.، فضحك الوزير، وقال:

-إحنا في دنيا وأنت يا حاج أحمد في دنيا ثانية.!

ولما عادوا إلى صنعاء سأل الإمام يحيى وقال للوزير :

-يا سيد عبد الله حدثني عن أغرب ما حدث لكم في الرحلة؟

فقال: أغرب ما حدث لنا قصة الحاج مطير وحكاها له(1).

3) يبكون علينا لأجل هذه الفنطسية!!

ومن أغرب القصص والطرائف (رحلة حج مع العلامة العمراني علي جياش) ما رواه شيخنا العلامة العمراني عن أحد الحجاج اليمنيين الذي سافر قديما إلى الحج على الباخرة، وغرقت بهم، فنجا البعض ومات الكثير، ومن ضمن من نجاه الله تعالى أحد الحجاج وكان ظريفًا، حيث غرقت الباخرة التي كانت تقلهم، فلم ينتبه إلا وهو وسط مياه البحر فأخذ ينظر إلى الباخرة وهي تغرق وينظر بنفس اللحظة إلى الحجاج المسافرين معه، وهم ما بين غريق وناج، وما بين من يعاني من سكرات الموت، وآخر يقول الشهادتين، وآخر يغرق في الماء، ثم يطفو على السطح، وآخر يسبح في الماء، فالتفت هذا الحاج إلى حاج بجانبه، وهم في الموقف العصيب والكرب الشديد، والحال المحزنة وقال له:

-هل تنظر إلى هذه الفنطسية[2] التي نحن فيها؟!!

قالها بكل برودة وموت ضمير وانعدام شعور، غير آبه بالموت، ولا وجل من الغرق، ولا مرتعد من الهلاك! ثم قال:

-إذًا لا ملامة على الناس في بكائهم -الرجال والنساء والكبار والصغار -عندما كانوا يودعون الذاهبين إلى الحج، فهم إنما كانوا

---

(1) الحاج مطير من ظرفاء صنعاء أيام الأئمة وأنظر قصته في كتاب (سفينة العمراني- معارف ولطائف) إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 505

(2) يقصد المسرحية الهزلية.!

يفعلون ذلك بسبب هذه الفنطسية، وهنا ضحك شيخنا العلامة العمراني، وضحك تلاميذه، ثم قال شيخنا متعجبًا:
-عجيب أمر هذا الرجل الذي بادر إلى المزاح والنكتة، وهو يصارع الموت بين أمواج البحر، فأي قوة قلب يملكها!!

4) قصة نوح التاجر!

يقول القاضي العمراني: (سافر نوح التاجر صاحب صعدة إلى مكة لأداء مناسك الحج، وكانت معه زوجته، فلما وصل جدة، قال لها: اجلسي هنا وتركها في مدينة جدة السعودية، وحرَّم عليها دخول مكة، وقال لها: انتظريني في جدة حتى أتم مناسك الحج! ولما قيل له: لماذا أمرتها بالبقاء في جدة، ولم تسمح لها بدخول مكة؟ قال: الحج ليس بواجب عليها، لأن القرآن يقول (.. يأتوك رجالًا..) ولم يقل: نساءً فقد توهم أن رجالًا جمع رجل، مع أن المراد بـ" رجالًا " أي: راجلين.
-ثم قال شيخنا العمراني: هذا الرجل عجيب، ففي التجارة يعتبر من أذكياء التجار، لكنه عندما يأتي ويدخل في مسائل الشريعة، يشطح به عقله ويزل به فهمه، ويلقي به في مهاوي الردى والضلال، فيحكم بأن الشريعة الإسلامية هي القرآن فقط، أما السنة النبوية فليست بشريعة، ولا تؤخذ منها المسائل الشرعية، وليست مصدرًا من مصادر التشريع، فقد اختلط فيها الحابل بالنابل، وحرفها الرواة والوضاعون والمنافقون كما يزعم، فلم تعد صحيحة كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويضيف شيخنا العمراني: الجدير بالذكر أن نوح بن أحمد هذا دعاني في يوم من الأيام إلى مأدبة غداء في بيته ومعي مجموعة من العلماء، فأجبته ولبيت دعوته، ولما وصلت إلى باب بيته امتنعت عن الدخول، وقلت:

-لن أدخل إلى بيتك أبدًا حتى تقول: إن الشريعة الإسلامية هي القرآن الكريم والسنة النبوية، وأن السنة مصدر من مصادر التشريع الإسلامي مثل القرآن، فلما رأى تمنعي ورفضي الدخول إلا بهذا الشرط وأن رجوعي من باب بيته يعتبر عنده عيبًا من العيوب الاجتماعية والدينية الكبيرة، وأن هذا سيقلل من شأنه ومنزله عند الناس بادر قائلًا: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (النحل 60) وقال: أنا مكره منك الآن فقلت له: لن تكون مكرهًا إلا إذا دخلت بيتي، وقلت لك: إن لم تفعل سأقوم بقتلك، لكننا في باب بيتك، وقد تقوم أنت بإكراهي.

فقال لي: لماذا تشترط علي بهذا، وتقول هكذا، وقد قمت بدعوة كثير من العلماء والوجهاء وغيرهم، فدخلوا ولم يشترطوا مثلك، ولا امتنعوا مثلك، فلماذا أنت؟!!

-فقلت له لأن الناس يأتون إلي، ويشكون علي، ويخبروني بأنك تنكر السنة النبوية، ومنكر السنة النبوية كافر، ويريدون مني أن أفتي بأنك كافر، وأنا مذهبي أنني لا أكفر أحدًا من المسلمين إلا بدليل قاطع، وسيقول الناس بأنني أجاملك لأنك غني، ومع أنك لم تعطني منك ريالًا واحدًا، غاية الأمر أن بعض الناس من المحتاجين والفقراء يأتون إليَّ ويطلبون مني أن أكتب لهم تزكية إلى

عندك، لكي تعيهم من مالك، ولا أدري هل أنت تقوم بإعطائهم بعض المال أم لا؟

فلم يجد بدًا من البحث عن ورقة، فبحث في بيته بجهد جهيد حتى وجد ورقة فارغة في كتاب من الكتب، وقام بكتابة ما أمليته عليه، واشترطته عليه، ثم وقع عليها، وناولني، فأخذتها مباشرة، ودخلت إلى بيته، وقمت بلف الورقة وعطفها، وخبأتها في جيبي، وتناولنا طعام الغداء وخرجنا من عنده، وبعد ذلك كل من جاء إلي في المسجد أو غيره وشكا لي موقف نوح بن أحمد من السنة، وإنكاره لها، وأراد مني فتوى بتكفيره، أخرجت له هذه الورقة، وقلت له: أما أنا فقد قال لي بأن الشريعة الإسلامية هي الكتاب والسنة، وإنما الأحاديث الضعيفة هي التي لا يعمل بها، أما الأحاديث الصحيحة فهي معمول بها.

5) السفر مع شخص مجنون!

قال شيخنا العلامة العمراني: كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة في عام الفتح في يوم عاشر رمضان، ووصوله مكة في يوم عشرين من رمضان، وقد كانت تقطع المسافة من المدينة إلى مكة في عشر مراحل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهي نفس المدة التي كان يسافرها أهل اليمن وأهل الشام وغيرهم بالبغال والحمير من مكة إلى المدينة، والآن يستطيع المسافر المعقول أن يقطعها بالسيارة في ست ساعات، أما المجنون فيستطيع أن يقطعها في أربع ساعات!

وقد سافرت ذات مرة مع شخص مجنون فقطعها في أربع ساعات، ولم أكن أعلم بذلك، لأننا كنا في الظلام فلم أتبين سرعة الأشياء من حولي، ولأننا كنا نتحادث فيما بيننا، كما أننا لم ننزل في أي مكان على الطريق للاستراحة، حيث لم نعطش ولم نتعب من شدة الحر، لأن الجو كان باردًا في الليل، ولم نشعر بالجوع، ولم تحتج السيارة إلى بترول، ولهذا كانت السيارة تمشي بسرعة جنونية دون أن أشعر، حتى وصلنا إلى مشارف المدينة النبوية، ورأيت الإضاءات و" المآذن " منارات المدينة، فالتفت إلى السائق وقلت له:

-هل هذه هي المدينة؟ وهل قد شارفنا على الدخول إليها؟

قال: نعم

فقلت له: ما هذه الفعلة التي فعلت بي؟! (أي: ما هذه الجريمة التي ارتكبتها بحقي؟)

لأننا أعتدنا في كل مرة نأتي فيها إلى المدينة أن تمشي السيارة بهدوء وترك العجلة، كما أنها تقف بنا عند أي استراحة؛ لكي نرتاح قليلًا من عناء السفر، ونشرب ما اشتهينا من العصائر، أو نتناول وجبات خفيفة، ثم نواصل السير فبأي سرعة مشيت بنا حتى وصلنا إلى المدينة في هذا الوقت القياسي؟!

فقال: لا ضير، لأننا غير جائعين فقد تعشينا، كما أننا غير عاطشين، وكذلك السيارة ممتلئ خزانها بالبترول، والجو بارد في الليل وهذا يساعد السيارة على المشي.

قال شيخنا: وكانت السيارة جديدة ونظيفة، وقد انطلقنا بعد أن تعشينا وشربنا وسمرنا، ففضلنا أن نساف في الليل، فانطلقنا مطمئنين من ناحية الجوع والعطش، وكنت أظن أننا سنصل المدينة في الصباح، لكننا وصلنا قبل الفجر بثلاث أو أربع ساعات، مع أن المسافة ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة (450كم2) ولما وصلنا إلى مشارف المدينة، وعرفت أنه جاء بسرعة فائقة، وكلمته في ذلك، ما كان منه إلا أن طيب خاطري، وراعى مشاعري، وحاول يسليني، فمشى رويدًا رويدًا في آخر المطاف على مسافة ميل أو ميلين من المدينة النبوية.

وقد كان أخافني لما علمت أنه جاء بنا من الطريق السريع، وقطع المسافة في مدة أربع ساعات تقريبًا، ولو كنت عرفت من قبل أنه يمشي بنا في هذه السرعة الجنونية ما ركبت معه أبدًا، بدليل أننا وصلنا ونمنا قليلًا، ثم قمنا لصلاة الفجر، فصلينا في الحرم المدني وزرنا بعد ذلك، ثم انطلقنا في اليوم الثاني باتجاه مكة المكرمة في الساعة السابعة أو الثامنة صباحًا، فلم نصل مكة المكرمة إلا بعد الظهر، بمعنى أننا قطعنا المسافة التي ما بين المدينة النبوية وما بين مكة المكرمة في ست أو سبع ساعات.

6) العلامة العمراني يفر من الحريق بمنى

يقول شيخنا العلامة العمراني وفي إحدى السنوات ضعت في يوم منى، فرجعوا يتشفون في ويفرحون لضياعي، حيث وقع الحريق، التهبت الدنيا، فأنجيت نفسي، وهربت نحو الجبل الذي

يطل علي مني، حيث هربت برغم وجود الشمس الحارقة اللاذعة، وبرغم حرارة الطريق الإسفلتية، حتى كأنني أدوس على نار، وليس لدي حذاء فاضطررت إلى عمل خرق لرجلي، ولففت الخرقة على رجلي، لكي أمنع عنها حر الطريق المسفلتة، لأن الوقت كان وقت الظهر، والحر على أشده، والرمضاء في قمة حرارتها حتى كأنها الجمر، لا يمكن للإنسان أن يمشي عليها في هذا الوقت، وحينها ذكرت غزوة ذات الرقاع، وأنها سميت بهذا الاسم؛ لأن أقدام الصحابة تمزقت أو تشققت من كثرة المشي، فلفوا على أرجلهم الخرق - فأخذت المنديل التي كنت ألتحف به، وربكت به على إحدى رجلي، أما الرجل الأخرى فقد لقيت نعلًا ضائعًا فلبسته على عجل وهربت نحو الجبل، ثم بقيت في الجبل أشاهد الحريق، وأشاهد الطيارات وسيارات الإطفاء، وأشاهد دبات الغاز، وهي تنفجر وتتطاير، وكأن الموقف من مواقف يوم القيامة، فالصياح صياح، والموت موت، ودبات الغاز تنفجر تباعًا والنار تلتهم الخيام والحريق يزداد والدخان يتصاعد.

فقد بقيت أشاهد، وأنا هناك في الجبل حتى ضعت، ثم بعد ذلك لما هدأت الدنيا، وقابلت أحدهم، أو شكوت على واحد منهم، وأخذت أقص عليه ما شاهدته من حال مروعة، ومناظر مخيفة، وأجواء مفزعة، ومواقف عصيبة، حتى كأنها من مشاهد يوم القيامة، لما أخذت أحكي له ما رأيت، وما الذي حصل لي جراء ذلك قال لي متشفيًا: تستاهل ذلك، الحجة عندك، وأنت تستحق ما وقع بك لأنك أخذت تتكلم، وتؤكد علينا: السنة، السنة في

الصعود إلى منى! أما نحن فقد جلسنا في مكة، ولم نصب بأي أذى وما طلعنا إلا في اليوم التاسع إلى عرفة.!

وأخذ يتشفى في لأنني طلعت إلى منى في اليوم الثامن من ذي الحجة حرصًا مني على السنة! فقد صار الذي ترك السنة يتشفى في الذي طلع إلى منى، وضاع فيها؛ لأنه عمل بالسنة!

7) قصة الشيخ سلمان العودة مع شيخنا العمراني

يقول الشيخ علي جياش أحد تلاميذ القاضي العمراني[1] :

كنت قد اطلعت على كتاب: " افعل ولا حرج " للشيخ سلمان العودة، وقرأته كاملًا، واقتنيت منه بعض النسخ، لولعي بمتابعة كل جديد للشيخ سلمان من الأشرطة والكتب واللقاءات والمقابلات الصحفية، وغيرها، فلما طالعت هذا الكتاب وجدت فيه آراء اجتهادية جريئة وكثيرة، فقمت بالتأشير عليها بقلمي ووضعت الخطوط على أبرز هذه الآراء، ثم ذهبت إلى شيخي العلامة العمراني في مكانه المعتاد بالحرم، وعرضتها عليه -في عام 1427هـ-فطالع هذه الآراء، وقال: هذه آراء جريئة جدًا، وأعجب لها، فكان كلما أتى شيخنا العلامة العمراني أناس يسألونه عن هذه المسائل -بعض مسائل مناسك الحج -ورأى أنهم من المتعلمين، أخبرهم بهذا الكتاب، ونصحهم بشرائه ومطالعته، (وكان هذا بعد أن يجيب عليهم برأيه، ويبين لهم ما اختاره في هذه المسائل)، فإذا لم يعرفوا هذا الكتاب وسألوا عنه، أخبرهم:

---

(1) انظر كتاب (رحلة حج مع العلامة العمراني) للشيخ علي جياش المطري صد 144.

الكتاب مع الشيخ علي جياش أو الولد علي جياش، فيأتون إلي فأريهم الكتاب.

فبعضهم كان يستأذنني، فيأخذ الكتاب، ويقرأه في نفس المجلس بالبيت الحرام، وبعضهم كان يأخذ اسم الكتاب واسم مؤلفه ويذهب لشرائه، ولقد رأيت مجموعة كبيرة من هذا الكتاب (افعل ولا حرج) موزعة على مجموعة من فنادق الحجاج اليمنيين التي زرتها، فحمدت الله تعالى على ذلك، وأن جعلني سببًا في نشر العلم، ومنه هذا الكتاب، وأن جعلني سببًا في معرفة القاضي العمراني بهذا الكتاب، حيث كنت أول من أطلعه عليه، ولما كثر الحديث عن هذا الكتاب في أوساط الحجاج، وخاصة طلاب العلم منهم، واشتهر بينهم، بسبب تزكية القاضي محمد له شفهيًا ووصيته به، تنامى إلى سمع الشيخ سلمان العودة، هذا الثناء وهذا الإعجاب بكتابه.

وتنامى إلى سمع الشيخ سلمان العودة أن القاضي محمد بن إسماعيل العمراني ينصح بقراءته، فأرسل مجموعة من طلابه يدعون العلامة العمراني لزيارته، ولكي يكرمه، وفي نفس الوقت يكتب تزكية لهذا الكتاب، فقال القاضي محمد:

-من أنا حتى أكتب له مقدمة! أنا لست عالمًا ولا علامة! والشيخ سلمان عالم نشيط، وعلامة كبير، وقد قدم له ثلاثة من العلماء الكبار، وهم: العلامة عبد الله بن جبرين، والعلامة عبد الله بن بيه، والعلامة سليمان بن منيع، فمن أنا بجانبهم!

وقد كنت قلت يومها للقاضي محمد: يا قاضي محمد نرى أن تجيب هذه الدعوة، فيقول بتمنع كبير:

-لا لن أجيب، أنا ما جئت إلى هنا إلا من أجل أن أفتي العوام من الحجاج، ولم آت من أجل تلبية الدعوات والزيارات.

وكان طلاب الشيخ سلمان العودة قد أتوا إليه لدعوته بعد العصر فرفض ولم أكن موجودًا، ثم جاؤوا إليه لدعوته بين صلاة المغرب والعشاء، وكنت موجودًا، وقالوا: إن الشيخ سلمان العودة يقدر ظروفك، وما جئت من أجله، ويقدر فيك حرصك التام الأكمل على نفع الحجاج، والإنفاق من علمك، لكنه يريد أن يكرمك، وقد قال: إنه سيأتي إليك هو بنفسه، فرفض القاضي العمراني.

وكنا نقول له أنا والأخ محمد بن إبراهيم الثور وطالب ثالث من طلاب القاضي لا أذكر اسمه الآن، كنا نقول: يا قاضي محمد، الشيخ سلمان يريد أن يكرمك، ويحتفي بك، ويجلك ويرفعك بما يستحقه كل عالم مثلك من الاحترام والتبجيل والحفاوة.. فقاطعنا شيخنا العلامة العمراني: أنا لست بحاجة إلى إكرام أحد، وقد جئت لمهمة محددة، ووظيفة محددة، ولن أنشغل عنها بأي عمل آخر.

فقلنا له الشيخ سلمان يريد أن يتشرف بالسلام عليك ومعرفتك، فقال القاضي محمد: وأنتم تريدون أن تتشرفوا بلقائه والسلام عليه، فضحكنا، وقلنا: صدقت.

وكان طلاب الشيخ العودة قد أتوا إلى القاضي محمد بعد المغرب مباشرة، فلما لم يوفق خرجوا بسرعة، وقالوا إنهم سيعودون بعد قليل، وكنا نحن طلاب القاضي محمد نحاول إقناعه كلما حانت لنا الفرصة، ولم يكن عنده مستفتون أو زوار أو غيرهم، ونتمنى أن يعودوا بسرعة ومعهم الشيخ سلمان العودة.

وكان شيخنا العلامة العمراني يدعو الله تعالى، ويقول: يا الله عجل بأذان العشاء!! وهكذا كانت حالنا معه، حتى أذن مؤذن الحرم لصلاة العشاء ففرح القاضي محمد بدخول وقت صلاة العشاء، وأذان المؤذن، وأخذ ينظر إلينا، ويلمح بإشارات عينيه وحاجبيه، ويقول: لقد فزت عليكم، وغلبتكم، ولم يتحقق مطلبكم ولا رغبتكم.

وصلينا العشاء ورجعنا مع القاضي محمد ورافقته إلى الفندق الذي يسكن فيه، ولم يأت طلاب الشيخ سلمان العودة، ولعله راعى مشاعر القاضي محمد، وقدر له موقفه، وحرصه على نفع الناس، وخشي أن يكون في ذلك إحراج له، فلم يرسل طلابه مرة أخرى، وكانت تلك الليلة هي ليلة الثامن من ذي الحجة -ليلة يوم التروية -فتفرقنا جميعًا، وصعد كل واحد منا إلى منى مع الوكالة التي جاء معها، ولم يتح لي اللقاء بالقاضي محمد إلا بعد الحج في صنعاء، كما لم يتح لطلاب الشيخ سلمان العودة زيارته مرة أخرى.

8) مرض القاضي العمراني في موسم الحج

ويقول شيخنا العلامة العمراني رحمة الله تغشاه (مرضت مرة في موسم من مواسم الحج، وكنت في مكة، فحافظت على الصعود إلى جبل عرفات، ووقفت هناك، لأن الحج عرفة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزلت على سيارة الهلال الأحمر اليمني، ورقدت في مزدلفة، ثم نزلت إلى منى، ومن منى نزلت إلى مكة، ثم مكثت للمرض في مكة، وقلت: المهم أنني أحرمت، ووقفت على جبل عرفات، أما بقية المناسك فهي تُعالج وَتُجْبَر، فأما الرمي فقد وكلت من يرمي عني، لأنني لا أستطيع الذهاب للرمي، وأنا مريض، ولا أستطيع أن أصعد إلى منى، وأنا مريض، فبقيت في مكة طيلة ليالي منى، {أي: مكثت ليلتين في مكة}، وأنا أرى أنه لما قد كان للضرورة وهو عذر المرض، فالظاهر أنه لا يجب عليّ شيء، ثم لم يتبقَّ معي إلا الطواف "طواف الإفاضة"؛ حيث لم أتمكن من الطواف في يوم العيد، ولا في ثاني العيد، ولا في ثالث العيد، ولم أتمكن إلا في اليوم الرابع في آخر يوم من أيام التشريق، حيث تمكنت بصعوبة، وقد كنت عزمت على استئجار سرير؛ لكي يحملني عليه بعض العمال في مكة، فرأيت أن أمرهم فوضى؛ حيث يمشون بسرعة لأجل أن يظفروا بمستأجر آخر لأنه موسمهم، ولا سيما أنهم كانوا يتسابقون في يوم العيد حتى أسقطوا الأمراض من على الأسِرَّة، فقلت: لأن أسقط، وأنا أمشي على الأرض، وأنا قريب من الأرض، خير من أسقط إلى الأرض وأنا محمول على السرير، ولهذا عزمت على الخروج قبل الفجر والجو فيه

برودة، ومازال الحجاج قليلين، وخرج معي ورافقني ثلاثة من أصحابي، أحدهم عن يميني، والآخر عن شمالي، والثالث من خلفي، وحينها استطعنا أن نطوف قبل أذان الفجر، ثم انتقلنا، ودخلنا ما بين الصفا والمروة، وركبت فوق العربة، وقد كانت مريحة جدًا، حيث يستطيع المريض أن يسعى بها، وهو في غاية من الراحة وبسرعة، وفوق ذلك فلها طريق خاصة بها، وهكذا سعينا جميعًا، وسقط عني طواف الوداع، لأن العلماء يقولون من أخر طواف الإفاضة إلى يوم رابع العيد، ولن يعود إلى المسجد الحرام مرة أخرى، ولن يظل في الفندق، وسيسافر في ذلك اليوم، فإن طواف الوداع يسقط عنه، وأنا في ذلك اليوم لم أفرغ من الطواف إلا والسيارة حاضرة، فخرجت من الحرم، وركبت فوق السيارة، وحملتنا إلى السفارة ثم إلى المطار، ثم ركبت على الطيارة، وحملتنا إلى صنعاء، فسقط عني طواف الوداع، لأن آخر ما كان من عملي هو الطواف بالبيت.

- ولهذا فقد قلت إنه لا يجب عليَّ شيء في ترك المبيت بمنى ليالي التشريق، لأن لدي عذرًا وهو المرض، ولأني رأيت أن أبا حنيفة يقول: إن المبيت ليس من المناسك الواجبة، وتابعه على ذلك الشوكاني، وقال الشيخ عبدالله إبراهيم الضحوي: إنه ليس عليه دم، وإنما يتصدق ببعض الحبوب عند الشافعية، علمًا أن الضحوي من الشافعية.

لأنني تركت أصحابي من الزيدية، واخترت لي أصحابًا من الشافعية، لأن المذهب حقنا قاسٍ، سيكلفني بإخراج كبش،

وسيلزم منه أن عليَّ أن أخرج كبشين، كبش عليَّ وكبش على المرافق لي، فقلت يصحبني عبدالله الضحوي، لأن المذهب الشافعي أسهل من المذهب الزيدي، حيث قلت له:

من بات في مكة أيام منى ماذا يفعل...؟ أو ماذا عليه عند الفقهاء الشافعية؟ فقال: يهدي كذا وكذا من الحب أو غيره، هكذا منصوص عليه عندنا.

فقلت له: تعال معي؛ لكي نبيت في مكة، ونخرج كذا كذا نفر من الحبوب أسهل علينا من إخراج كبشين، كما هو منصوص عليه عند الزيدية.... ولهذا فإن أبا حنيفة والشوكاني قالا: إنَّ المبيت بمنى ليس من المناسك، وإنما هي مسألة طبيعة جبلية اضطرارية، أما أنا فقد جعلتها من جملة المناسك، لكن من تركها لعذر، فليس عليه شيء، بل عليه أن يحافظ على ما كان ضروريًا من المناسك، وهو أن يحافظ على الوقوف بعرفة، وعلى الإحرام، وعلى طواف الإفاضة).

9) أفتاني الطباخ، وقال: "عليك طلي!":

قرأ شيخنا العلامة العمراني الحديث التالي من كتاب "الموطأ": وحدثني عن مالك عن محمد بن عبدالله بن أبي مريم أنه سأل سعيد ابن المسيب عن ظفر له انكسر، وهو محرم، فقال سعيد: اقطعه، وسأل مالك عن الرجل يشتكي أذنه (أيقطر في أذنه من البان الذي لم يُطيَّب)، فقال: لا أرى بذلك بأسًا، ولو جعله في فيه لم أرَ بذلك بأسًا....

قال شيخنا: وهذا كله لا حرج فيه، والعوام من الناس أو المتحججون يجعلون على من وقع به مثل ذلك كبشًا، حيث يقولون: عليك طلي!

وقد حصل لي في سنة من السنوات أن انكسر ظفر رجلي، وخرج الدم، فقامت الدنيا، ولم تقعد، حيث رآني أحد الحجاج من العوام، فجاء إليّ، وقال: عليك طلي! قال أحد الطلاب:

-أفتاك هذا العامي بذلك! قال شيخنا:

-نعم، بل يفتيني الطباخ!

وقال: -عليك طلي! ثم أخذ يتاحفني[1]، ويقول: هل ستأتون بالطلي؛ لكي نأكله نحن؟! أم ستذهبون به إلى جهة أخرى، لكي يأكله أناس غيرنا؟ فأجبت عليه، وقلت له: اعرف **أولًا** بأن الذبيحة التي يجوز للحاج أن يأكل منها هي دم التمتع، أو دم القران، أو دم التطوع، أما دم الكفارة، فالعلماء يقولون: لا يأكل صاحبه منه.

ثانيًا: الصحيح والراجح أنه ليس على من كسر ظفره، وخرج منه الدم، ليس عليه كفارة، ولا دم، ولا شيء!

- ثم قال شيخنا: ولهذا لما كثر المتطفلون على الفتوى من العوام

والمعاودين للحج في كل عام، قامت وزارة الحج السعودية بإصدار عدة إرشادات للحجاج في قصاصات صغيرة " مطويات أو نشرات "، تبين فيها أنه لا مانع للمحرم أن يستظل بمظلة، لا مانع له أن يلبس الكمر، وذلك لأنهم يعرفون أنه يوجد بعض

---

(1) يتاحفني: أي يتلطف لي بالكلام.

مذاهب متزمتة في مثل هذه المسائل، وأن هناك أناسًا متزمتون من جميع الدول، وليس من اليمن فقط، ولهذا لما عرفوا أنَّ هذه الأخطاء ستحصل من كثير من الحجاج، وأن هناك من سيُحَرِّج على الحجاج عند الإجابة على أسئلتهم أصدروا هذه الفتاوى والإرشادات في كتيبات صغيرة ومطويات، ومن جملتها: أخطاء ليس على المحرم فيها شيء، مثل: لا مانع للمحرم أن يلبس النظارة، وأن يلبس الساعة و....إلخ، وذلك لأن المتزمتين والمتعيلمين[1] والمتطفلين على الفتوى كثير).

10) لقد أضعتني اليوم بسبب نذرك!

- لقد سمعت شيخي العلامة العمراني، يقول مرارًا وتكرارًا عندما كان يدرسنا كتب الحديث والفقه، ويمر على باب النذر، وعندما كان يسأل سمعته يقول: لا حاجة إلى النذر المشروط، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنه لا يرد شيئًا، إنما يُسْتَخرج به من مال البخيل".

ونص الحديث كالتالي؛ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل: لا يأتي النذر على ابن آدم بشيء لم أقدره عليه، ولكنه شيء أستخرج به من البخيل، يؤتيني عليه ما لا يؤتيني على البخل" وفي رواية: "ما لم يكن أتاني من قبل" الصحيحة للألباني، وقال أيضًا: "وإنما النذر ما ابتغي به وجه الله" الصحيحة للألباني.

---

(1) المتعيلمين: يقصد أدعياء العلم.

- فالنذر المشروط لا يردُّ القدر أبدًا، لكن إذا أراد الشخص أن يتقرب إلى الله تعالى، فليتصدق، ويدعو الله سبحانه وتعالى، فالدعاء مستجاب، والصدقة متقبلة ومشروعة، أما أنْ يقوم الشخص، ويشترط على الله تعالى إلى مقابل "من يد إلى يد"، فلا حاجة إليه، ولا داعي له، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنه لا يرد شيئًا، وإنما يستخرج به من مال البخيل".

- وهناك من الناس من هو مولوع بالنذر، ثم قال شيخنا: وقد وجدت في مكة شخصًا أضاع ابنته، وهي في سن الشباب والمراهقة، وقد أطلعني على جواز سفرها، فإذا هي ما زالت في سن أربعة عشر عامًا، وأخبرني أيضًا أنها متخلفة عقليًا، فاضطررت أنا إلى أن أذهب معه لكي نبحث عنها، وأثناء بحثنا عنها ضعت أنا، حيث أضعت المخيم الذي نزلنا فيه؛ بسبب كثرة البحث، وكثرة المخيمات المتشابهة، وبينما كنا في غمرة البحث عنها، قال هذا الرجل: اِشهدوا عليَّ أنني إذا وجدتها سوف....، وأراد أن يُحدث نذرًا جديدًا!

- وذلك لأنني قلت له: لماذا جئت بهذه البنت المتخلفة عقليًا والصغيرة في السن إلى مكة؟! قال: لأنها مرضت، فنذرت أنَّ الله إذا شفاها، فسآتي بها إلى مكة، وها أنذا قد أوفيت بنذري، وجئت بها إلى مكة، ولكنها الآن ضاعت، فقال: اشهدوا عليَّ أنني إذا وجدتها.....

قال شيخنا: هذا الرجل متدين! حيث إنه الآن سيزل مرة أخرى، ويقع في النذر من جديد.

فقلت له: أصه! "أي: اسكت" لقد أضعتني اليوم بسببك من تحت رأس النذر الأول، أصه اترك النذر بالكلية، وسنبحث عنها حتى نجدها بإذن الله تعالى، فبحثنا عنها ولقيها هو، حيث لقيها بعدما تركته، لأنني تعبت من طول البحث بين أعداد الحجاج الكبيرة، فلما لقيته بعدما وجدها، قلت له: إياك أن تنذر مرة أخرى.

- ثم قال شيخنا لتلاميذه: ولهذا فعليكم أن تَعِظُوا الناس عمومًا والنساء خصوصًا، وترشدوهم إلى ترك النذر المشروط).

رؤية القاضي العمراني للقات

ثم عرفت في زيارتي للقاضي العمراني في تلك اليوم قصة مضغ القاضي العمراني للقات وقد تركه منذ سنوات كما أن مضغه للقات في السنوات الماضية كان قصة بحد ذاتها فقد كان كثير من طلبة العلم والدعاة يستدلون على جواز مضغ القات بأن القاضي العمراني يبيحه ويتناوله ولا يدرون بالقصة التي رأيتها في زيارتي تلك للقاضي فقد جيء للقاضي بصينية صغيرة فيها كمية قليلة من القات المهروس بعناية فتناوله بملعقة صغيرة لمدة ساعة فقط من الساعة الرابعة عصرا حتى الخامسة وهذا كان قبل سنوات أما اليوم كما أعلم فقد ترك تناول القات على قلة الكمية التي كان يتناولها وبعض الناس يطحن له كيسًا كبيرًا بل شوالة من القات وقال: القاضي العمراني يخزن.!!

وقد سُئل القاضي العمراني:

-هل تمضغ القات؟

فأجاب: -نعم أخزن يوميا ولكن لساعة واحدة فقط ولا أزيد من الساعة الرابعة إلى الساعة الخامسة، إلا إذا كنت في خارج اليمن فلا أخزن، والشاهد أني أخزن وأحلله ولا أحرمه إلا للعوامل التي ذكرتها (سيأتي تفصيلها).

وقد سُئل فضيلته: ما حكم الصلاة بالقات (بعض سكان صنعاء يؤدون الصلاة والقات في فمهم)؟

لا يصح، لا يصح، لا يصح، ولا يجوز أبدًا.

يقول القاضي العمراني: (دخل القات إلى اليمن في حوالي 950هجري والمؤرخون الذين أرخوا في مناطق اليمن الأعلى كصنعاء وذمار وغيرها قالوا إن القات وجد في أيام الإمام شرف في منتصف القرن العاشر أي قبل 450 عامًا، أما مؤرخو اليمن الأسفل مثل تعز ونحوها فبعضهم قد قال إن الشيخ أحمد ابن علوان كان يمضغ القات وهذا الشيخ عاش في سنة 660 هجرية أي أنه من علماء منتصف القرن السابع الهجري وأين القرن السابع من القرن العاشر؟

وهل وجد القات في اليمن رأسًا أم جاء من الحبشة؟

اختلف المؤرخون منهم من قال إنه انتقل من الحبشة ومنهم من قال أنه وجد في اليمن وأول من مضغ القات هو التيس فكان الراعي يرى هذا التيس وهو " مخدر " فبحث فإذا هو يرتعي من شجرة القات فأخذ منها أغصانًا ومضغها فإذا هو الآخر " مخدر " بجوار التيس.!(1)

والجلوس مع القاضي العمراني ممتع جدا لما يتميز به من روح الفكاهة ولما يتحف به ضيوفه من الفوائد العلمية والقصص الشيقة والنوادر العجيبة وقد أخبرنا أنه كان قبل تلك الفترة يمضغ القات لوقت أطول وبكمية أكبر وأخبرنا يومها أنه كان ذات مرة مسافرا من صنعاء إلى أوزبكستان في وفد رسمي وقبيل انطلاقه إلى

(1) انظر فيديو للقاضي العمراني في اليوتيوب يتحدث عن " القات والبن وتاريخ دخولهما إلى اليمن " على هذا الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=XuOdzYcEA4g

المطار جاءه أحد معارفه بقات فاخر ووضعه في الحقيبة التي فيها أوراقه فحملها القاضي ولم يعلم أن فيها القات وفي المطار لم يفتشوه وفي الطائرة فتح الحقيبة ليراجع بعض الأوراق فوجد القات فطلب من المضيفة الماء ومضغ القات في الطائرة وكانت الرحلة لساعات طوال.

ويقول الشيخ علي الفقيه وهو من طلاب القاضي العمراني الذين لازموه كثيرا إن الشيخ مجدي عرفة الداعية المعروف لما زار القاضي العمراني إلى مسجده يسأله عن فتوى أشيعت عنه تقول: بأن القات تدور عليه الأحكام الخمسة فقال شيخنا رحمة الله تغشاه: هذا غير صحيح ولكن القات تدور عليه بعض الأحكام وهي الإباحة والحرمة والكراهة وأما الوجوب والندب فلا.

ويضيف الشيخ علي الفقيه: وما أشيع عن الإمام الشوكاني إنه توفي وفي فمه القات إشاعة مغرضة من أحد تلامذته، وكان شيخنا يقول: لا أجيز لأحد يخزن حتى يخرج عن آدميته..

وقد تقدم أن سُئل القاضي العمراني: ما حكم مضغ القات؟

فأجاب: لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الأول: أن لا يكون فيه إسراف؛ لأن الإسراف محرم في كل شيء حتى في الطعام والشراب لقوله تعالى: (كلوا وأشربوا ولا تسرفوا) سورة الأعراف الآية 31).

الثاني: ألا يكون محتاجًا لثمن القات فيما هو أهم منه كالنفقة على أهله وإيجاد قوت عياله.

الثالث: ألا يثنيه عن الواجبات والجمع والجماعات.

فإذا وجدت هذه الشروط فهو مباح.

وقد سأله تلميذه الشيخ جبران سحاري:

-وما قولكم فضيلة القاضي في حديث "نهي عن كل مسكر ومفتر"[1]؟

فأجاب القاضي العمراني:

-يجاب عنه بجوابين:

1 -الأول أنه حديث ضعيف فلا تقوم به حجة؛ لأن في سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف الحديث ومطعون في عدالته.

2 -والثاني: على تسليم صحته فالقات منبه وليس بمفتر وبينهما فرق وقد يحتاجه الباحث ليعينه على السهر في العلم وقد ثبت طبيًا أنه يخفض نسبة داء السكري في الجسم وإن وجد نوع ضار من القات لتقادم عهده فيمنع؛ لأنه ليس بطيب، والقات الطيب مباح ولا ضرر فيه والله أعلم.

وفي مقابلة مع صحيفة " إيلاف اللندنية " أكد القاضي العمراني على القات حلال لأن الله قد حد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تقربوها وفرض أشياء فلا تتركوها وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تتكلفوها، ويكفي أن شيخ الإسلام الشوكاني كان من المخزنين وكان ألف كتابا في إباحة القات تحت عنوان (البحث المسفر في حكم المسكر والمفتر) أباح فيه تخزين القات وقال قد جربنا جميع الأنواع، وأنا قد نشرت مقالات وإذاعات

(1) انظر كتاب: " مسائل جبران سحاري وأجوبة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني" صد 164

حول هذا الموضوع وفصلت فيه أنني أحرمه لعوامل أخرى (غير ذاته) وهو حرام في الحالات التالية: إذا كان تخزينه سببًا لأخذ الرشوة، أو إن أدى تخزينه إلى ترك الصلاة في وقتها " سواء العصر أو المغرب أو الفجر "، كما يحرم في حال كان الشخص يخزن وعائلته محتاجة إلى العلاج والكسوة والنفقة[1].

وأضاف العمراني "أما الذي سيخزن من ماله الخاص ومن سعته ولا يتوصل إلى شيء مما ذكرنا فهذا حلال، حلال، حلال".

ويرى القاضي العمراني أن الزكاة تجب في القات فالقات مما أنبتت الأرض.

*****

(1) أجرى المقابلة لصحيفة إيلاف اللندنية الدكتور محمد الخامري وهي منشورة على هذا الرابط: https://elaph.com/Politics/2004/12/29906.htm

جهود القاضي العمراني
في مجال الإعلام

لقد عمل القاضي محمد بن اسماعيل العمراني ـ رحمة الله تغشاه ـ على نشر العلم الشرعي ومحاربة البدع والخرافات وتصحيح المفاهيم المغلوطة والتعريف بجهود علماء اليمن المجتهدين ونشر كتبهم والتعريف باختياراتهم في المسائل الفقهية وذلك عبر مختلف وسائل الإعلام من الإذاعة إلى الصحيفة إلى التلفاز، فنشر فتاواه في الفضائيات وكان يجيب على الفتاوى التي تصله من الإذاعة ومن الصحف، كما كتب مقالاته في الصحف والمجلات وهي التي جمعت بعد ذلك في كتاب " مقالات القاضي العمراني "[1].

لقد أدرك القاضي العمراني أهمية الإعلام والدور الكبير الذي يقوم في إيصال المعلومة وتصحيح المفاهيم وتشكيل الأذهان وتغذية الوجدان وتثقيف الناس وتوعيتهم ولذا فقد حرص على إيصال رسالته عبر الوسائل الإعلامية لتصل إلى أكبر قدر من الناس فحققت له هذه الوسائل الإعلامية الانتشار والجماهيرية في عموم المجتمع اليمني.

وحين عُرض عليه أن يخصص له برنامج للفتاوى في التلفاز وافق، فكان له برنامج أسبوعي يقدمه المذيع المرحوم يحي الدرة

---

(1) انظر للتوسع: كتاب (مقالات القاضي العمراني) ـ مقالات كتبت منذ 63 عاما ـ دار النشر للجامعات ـ صنعاء ـ الطبعة الأول 2012م.

بعنوان " فتاوى " وبرنامج آخر بعنوان " مع أولي العلم "، ولذا لم يكن القاضي العمراني من العلماء المنغلقين الذين كانوا ينفرون الناس من وسائل الإعلام ويحرمون التلفاز ويحرضون ضد من يقتنيه بل كان يراه وسيلة هامة من وسائل نشر العلم، وسائل يمكن أن نستفيد منها بالخير ولذا لم يمانع القاضي العمراني. رحمة الله تغشاه. في الظهور في قناة السعيدة رغم ما تبثه من المسلسلات والأغاني ولكنه كان يظهر فيها ليوضح للناس ويفتي وينشر العلم الشرعي.

وقد تم جمع الدروس والمحاضرات التي ألقاها في جامعة الإيمان وغيرها فبلغت 10 ألف ساعة بث قامت قناة " رشد " الفضائية ببث عشرات الساعات منها، كما قناة القاضي العمراني في اليوتيوب ببث أغلب هذه الساعات وستتم بث هذه الدروس والمحاضرات في موقع القاضي العمراني على شبكة الانترنت، كما ظل القاضي العمراني ينشر في مجلة " الشقائق " اليمنية سلسلة بعنوان: (التحذير مما لم يكن بصحيح من الأحاديث) وذلك للتنبيه من الأحاديث الموضوعة المنتشرة بين العوام.(1).

- بث التنوير عبر مختلف وسائل الإعلام:

منذ صدور أول فتوى للقاضي العمراني وعمره حينها 35 عاما إلى وفاته وهو العالم اليمني الوحيد الذي صار مرجع أبناء اليمن في الفتوى وعبر مختلف وسائل الإعلام، يقول نجل القاضي

---

(1) مجلة " الشقائق" اليمنية مجلة شهرية كانت تصدر عن قسم الطالبات بجامعة الإيمان ثم توقفت بعد احتلال مليشيا الحوثي لجامعة الإيمان في 21 سبتمبر 2014م.

العمراني السفير عبد الرزاق في كتاب " سفينة العمراني ": (تصدر فضيلة الوالد للإفتاء في سن مبكرة في فتاوى إذاعة صنعاء منذ نشأة برنامج فتاوى واستمر أكثر من 35 عاما حتى ألغي برنامج فتاوى الإذاعي ووفاة معده أحمد العماري وأبرز مقدميه وهو عز الدين تقي، وقد تميزت فتاواه عن غيره من المفتين بالاستقلالية وعدم التقيد بمذهب معين ؛ فيوضح في المسألة أقوال أهل العلم من مختلف المذاهب بما فيها المذهب الهادوي، ثم يقول ورأيي الشخصي كذا وكذا.. دون تعصب أو تحيز لأي مذهب، هذا النهج محل رضا وقبول من الجميع).[1]

ثم خصصت له الفضائية اليمنية برنامج أسبوعي للفتاوى بعنوان (فتاوى) والذي أستمر لسنوات عديدة، ثم خصصت له برنامج آخر هو برنامج " مع أولي العلم " والذي كان يقدمه المذيع الراحل يحي الدرة رحمه انشغل القاضي بسفر ونحوه ولكن القاضي العمراني ظل نجمه الأبرز طوال مدة البرنامج.

كما كان للقاضي العمراني برنامج في قناة " الإيمان " الفضائية، كما بثت له قناة " اليمن اليوم " الدروس التي كان يلقيها من جامع الصالح بالعاصمة اليمنية صنعاء، لقد كانت القنوات الفضائية تتسابق على بث دروس ومحاضرات القاضي العمراني لإدراكها للقيمة التي يمثلها القاضي العمراني لدى اليمنيين وللإضافة الكبيرة التي ستحصل عليها من ظهوره فيها فقد كان

(1) انظر للتوسع: كتاب "سفينة العمراني ـ معارف ولطائف"، جمع وإعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 37.

القاضي العمراني رحمة الله تغشاه رجل الإجماع الأول في اليمن والعالم الرمز الذي يحظى بحب جميع أبناء اليمن وتقديرهم.

● القاضي العمراني نجم قناة السعيدة

منذ تدشين قناة السعيدة الفضائية لبثها الفضائي في 15 أغسطس 2007م حرصت على استضافة القاضي العمراني وتخصيص برامج له للإجابة على أسئلة المشاهدين ثم للإجابة على الأسئلة التي تخص المناسبات والنوازل فكان البرنامج الأول بعنوان "صيد الخاطر" مع المذيع محمد العامري وهو ثلاثين حلقة قامت القناة مؤخرا ببثها في اليوتيوب، ثم توالت بعد ذلك البرامج والمجالس الرمضانية ومنها برنامج " فقه الحياة " وبرنامج " رحلة المشاعر " وهو فتاوى عن الحج وغيرها، وقد ساهم ظهور القاضي محمد بن اسماعيل العمراني على شاشة هذه القناة في انتشارها الجماهيري وفي إثراء برامجها وإكسابها دعاية كبيرة حيث وفقت القناة في اختيار القاضي العمراني الذي شكله ظهوره فيها إضافة كبيرة لها.

وقد ظل القاضي العمراني يسجل حلقات فيها بجامع الزبيري بصنعاء حتى أشتد عليه المرض وكانت هذه الحلقات في البداية تتراوح مدتها 20 دقيقة ولكنها في السنوات الأخيرة صارت لا تتجاوز ربع ساعة بسبب تراجع صحة القاضي العمراني، ولكنها كانت عامرة بالفوائد والنصائح الجمة والطرائف والقصص والنوادر، ومن الرائع أن القناة بثت كل هذه الحلقات في موقعها على اليوتيوب.

كما قامت قناة السعيدة باستضافة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني في يوم الثلاثاء 19 نوفمبر 2013م، لبيان حالة الوضع الصحي للقاضي محمد العمراني وتكذيب الشائعات التي تناولت كذبًا تدهور صحته حفظة الله وبارك في عمره وهو سبق حصري انفردت به القناة فقام القاضي العمراني. رحمة الله تغشاه. بالرد على كافة التساؤلات وعن أسباب غيابه وحالته الصحية، كما قام بالرد على الشائعات التي قيلت عن تدهور حالته الصحية.(1)

كما يحسب لقناة السعيدة أنها بثت فيلم وثائقي(2) عن القاضي العمراني في يوم وفاته والذي كان في يوم الاثنين الثاني من ذي الحجة 1442هـ الموافق 12 يوليو 2021م وفي هذا الفيلم تحدث القاضي عن حياته وطلبه للعلم وعن مشايخه واجتهاداته رحمه الله.

- تأثر القاضي العمراني بمجلة المنار

كما كان القاضي العمراني متأثرًا بالإمام محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا وقرأ تفسير المنار، وكان كثير الاطلاع عل مجلة المنار التي أصدرها الشيخ محمد رشيد رضا، وبخاصة فتاواه المبثوثة في ثنايا هذه المجلة، وكان يجد صعوبة شديدة في اقتنائها، لذلك كان غالبا ما يحصل عليها عن طريق الإعارة.

---

(1) انظر للتوسع موقع قناة السعيدة في اليوتيوب بعنوان: حلقة خاصة 19-11-2013م - القاضي محمد بن إسماعيل العمراني على هذا الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=XWXfPF8v6lA

(2) انظر للتوسع في موقع قناة " السعيدة " في اليوتيوب: فيلم وثائقي عن الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني-رحمه الله-على هذا الرابط:
0https://www.youtube.com/watch?v=GWJxzgej2P

وعن هذا الأمر يقول القاضي العمراني : (أنا متأثرا كثيرا بالقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني لأنني طالعت مؤلفاته قديما ووجدتها مؤلفات شجاعة، طالعت كتاب " وبل الغمام " و" السيل الجرار " قبل نحو 70 سنة وتأثرت بحريته الفكرية واجتهاده المطلق، وكذلك تأثرت بالمقبلي في كتابه " العلم الشامخ في إيثار الحق على تقليد الآباء والمشايخ "، كما أنني تأثرت بعض التأثر بالسيد العلامة محمد رشيد رضا [1] العلامة الكبير الذي كان يخرج مجلة " المنار " والذي توفي سنة 1354 هـ، وكنت أبحث عن مجلة المنار في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، كنت أجدها لأن أحد الترك واسمه " ابراهيم رجب "وكان من الترك الذي بقوا في اليمن وكان مشترك في المجلة وبعد موته أوصى بها للجامع، وبعض الأعداد كان يقتنيها سيف الإسلام محمد بن يحي حميد الدين الذي مات غرقا في الحديدة، واثر موته أوقفوا كتبه في الجامع الكبير ومن جملتها مجلة المنار، وبعضها كنت إذا معي صديق في مصر أكتب له أن يقتنيها لي من مصر، وسر تميزها انها أول مجلة علمية دينية مؤلفها حر مجتهد مستقل؛ لأن كان هناك أيضا مجلة " الأزهر " ولكنها لم تكن مستقلة لكن محمد رشيد رضا كان مستقل وهو أعلم من شيخه محمد عبده في علم الحديث وعلم الفقه، وكنت معجبا به لفتاواه الشرعية الجديدة لا توجد في المؤلفات السابقة).

ويضيف القاضي العمراني: (كانت المجلة ايضا تحتوي على مقالات سياسية ومقالات اجتماعية ومقالات دينية وفي آخرها الفتاوى، وقد تأثرت بالعلامة رشيد رضا وبمجلته)(1).

ولم يتأثر القاضي العمراني بالشيخ رشيد رضا ومجلة المنار وانما تأثر بالكثير من أهل الكتابة والصحافة والإعلام أمثال شيخه الأستاذ عبد الكريم ابراهيم الأمير وهو صحفي وكاتب ورئيس تحرير صحيفة " الإيمان " التي كانت تصدر قبل الجمهورية وسبقت ترجمته وقد أورد الشيخ محمد نايف الكريمي مؤلف كتاب (الوجيز في سيرة فقيد أهل اليمن العزيز) نماذج من الإعلاميين والصحفيين من طلاب القاضي العمراني أمثال الراحل يحي الدرة والأستاذ عبد الكريم الخميسي رحمهم الله وكذلك عبد اللطيف الصعر ومحمد العامري ومنصور البوسي وغيرهم وهم كثر.

- تفاعل إيجابي مع الصحافة والإعلام

لقد أجرى القاضي العمراني في حياته المئات من التصريحات والمقابلات الصحفية والتلفزيونية والإذاعية ولم نسمع يوما أنه قد رد صحفيا أو إعلاميًا أراد مقابلته.

ولم أستطع الحصول على أرشيف المقابلات التلفزيونية والصحفية بسبب ظروف الحرب في اليمن وسطو مسلحو الحوثي على مكتبته وقد استطعت الحصول على بعض المقابلات في شبكة

---

(1) محمد رشيد بن علي رضا ولد عام 1282هـ الموافق 1865م في قرية القلمون بلبنان ثم درس بمدارس القلمون وطرابلس ومال إلى دراسة العلوم الشرعية حتى صار من المبرزين فيها كما يعتبر من رواد الإصلاح الإسلامي، كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا تتلمذ على يد الشيخ محمد عبده أثناء إقامته ببيروت، أسس مجلة " المنار "،توفي بمصر 1354هـ الموافق 1935م.

الانترنت ولكنها قليلة مقارنة بالمقابلات التي أجراها في حياته وهناك فريق الآن يعمل على نشر علم القاضي وسيعمل مستقبلا على جمع هذه المقابلات وأرشفتها لتكون متاحة للجميع بإذن الله.

ومن أبرز المقابلات التي أجريت مع القاضي العمراني مقابلته في قناة " المجد " الفضائية في برنامج " صفحات من حياتي " والتي أجراها المذيع الدكتور فهد السنيدي وتناولت مختلف جوانب حياة القاضي العمراني وللأسف فلا يجد في اليوتيوب منها إلا مقاطع مجزأة.

وعن الصحافة والإعلام يقول القاضي العمراني : (لا أكتب الشعر، أما المقالات فقد كتبت أول مقاله في مجلة (رسالة الإسلام) التي كانت تصدر في مصر أيام الملك فاروق قبل نحو 58 سنة في عام 1369 هجري وكانت المقالة بعنوان : (الزيدية في اليمن) وأرسلتها إلى مجلة "رسالة الإسلام" التي أرسلها لي القاضي محمد بن عبد الله العمري الذي كان وكيل وزارة الخارجية أيام الإمام، فوجدت أن المجلة تتحدث عن جميع المذاهب السنية والشيعية ماعدا الزيدية التي كانوا يعتبرون أنها من الجعفرية ولا يعرفون أنه مذهب صافي ومذهب حر، فكتبت لهم هذا المقال وقلت لهم إن الزيدية مثل الحنفية في الغالب وأنهم لا يسبون الصحابة وأنهم يجتهدون وبعضهم يتعصب وهذا لا يحسب على المذهب كما هو موجود في جميع المذاهب، وهناك مقالة أخرى بعنوان (الحرية الفكرية في اليمن) تحدثت فيها عن العلامة المقبلي وكتابه (العلم الشامخ في إيثار الحق على المشايخ) وتحدثت فيها عن العلامة

الجلال وعن علماء آخرين وقد كتبتها قبل 47 سنة أول ما تأسست إذاعة صنعاء قبل الثورة (1962م) بحوالي خمس أو ست سنين.

ويقول القاضي العمراني في مقابلة مع قناة السعيدة: (كنت في أول شبابي قد اتجهت لأكون مثقفا قبل ما أقرأ كتب السنة، كنت أقرأ مقامات الحريري ومؤلفات المنفلوطي ومؤلفات الرافعي ومؤلفات جورجي زيدان ومؤلفات محب الدين الخطيب، هؤلاء الأدباء من المتقدمين والمتأخرين ولكني تركت الثقافة وأوليت اهتمامي بكتب الحديث وكتب الفقه المقرونة بالأدلة والتي يسمونها الفقه المقارن).(1)

وحين تجلس مع القاضي العمراني تدرك مدى سعة ثقافته وموسوعيته فهو يحدثك عن أعلام ومشاهير وشخصيات وقصص وأحداث ومواقف وهو ممن يحفظ المئات من أبيات الشعر والقصص والطرائف والمواقف والأحداث وبتاريخها الدقيق فقد رزقه الله ذاكرة قوية حفظت العلم الشرعي والتاريخ والكثير من روائع الثقافة اليمنية والعربية والإسلامية.

يقول القاضي العمراني[2]: (بعض أدباء بغداد في العصر العباسي والناس في خوف وشدة وألم ذهب ليحج وقبل انطلاقه إلى الحج ذهب ليغتسل في الحمام العام فلقيه أحدهم فقال له:

-لماذا اغتسلت في هذه الأيام والناس في خوف وشدة ويبكون؟

---

(1) انظر: " فيلم وثائقي عن القاضي العمراني " بثته قناة السعيدة الفضائية، رابط الفيلم في اليوتيوب: :

https://www.youtube.com/watch?v=GWJxzgej2P0.

(2) انظر: " فيلم وثائقي عن القاضي العمراني " بثته قناة السعيدة الفضائية، رابط الفيلم في اليوتيوب:

https://www.youtube.com/watch?v=GWJxzgej2P0

فقال:

ولم أدخل الحمام من أجل لذة وكيف ونار الشوق بين جوانحي

ولكنه لم يكفني فيض أدمعي فجئت لأبكي من جميع جوارحي

* ****

السيرة الذاتية للمؤلف

1 -من مواليد 1979م في عزلة بني عمران العدين محافظة إب.

2-بكالوريوس إعلام قسم صحافة -جامعة الإيمان.

3-يعمل في الصحافة اليمنية منذ عام 2000م.

4 -عمل مديرا لتحرير صحيفة " صوت الإيمان " منذ 2004م حتى 2014م.

5-له مئات المقالات المنشورة في الصحف اليمنية والعربية ولا يزال يكتب في عدد من الصحف اليمنية والعربية.

6 -من طلاب القاضي العمراني ومحبيه وقد أجرى معه مقابلات وكتب عنه العديد من الدراسات والمقالات.

7 -له كتابان تحت الطبع:

الأول: الدولة الرسولية في اليمن -قصص مدهشة من الثراء الحضاري والمعرفي.

والثاني بعنوان: سقطرى جوهرة المحيط تواجه المخاطر.

8 -يكتب القصة القصيرة وصدر له أربع مجموعات قصصية هي:

1-من عجائب تنكة بلاد الخرافات.

2-نحن والحمير في المنعطف الخطير.

3 -عن محاولتي الفاشلة للوصول إلى القمر

4 -لصوص لكن مبدعون.

الفهرست